حرب اكتوبر عام ١٩٧٣

دراسة ودروس



الفريق أول محمد فوزى

إهـــــــداء ٢٠٠٧

الدكتور / عبد الغنى أبو العنين

جمهورية مصر العربية

حرب اكتوبر عام ١٩٧٣

دراسة ودروس

حرب اكتوبر عام ١٩٧٣

دراسة ودروس

الفريق أول محمد فوزى



دار المستقبل العربى

تصميم الغلاف الفنان : محمد بغدادى

الطبعة الأولى ١٩٨٨

دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة
ت ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

المقدمـــة

تأكدت الضرورة لمعركة تحرير الأرض المغتصبة منذ أن رفض الشعب هزيمة يونيو ١٩٦٧ على أساس أنها لاتعبر التعبير الصحيح عن حقيقة توازن القوى بين العرب واسرائيل ولهذا طالبت الجماهير يومى ٩ ، ١٠ يونيو ٦٧ الرئيس عبد الناصر بالتمهيد لمعركة تحرير تتهيأ لها أسباب النجاح وتفتح الباب لمستقبل مشرق للشعب وللأمة العربية .

ومنذ البداية لم يكن الرئيس عبد الناصر يثق فى إمكانية الحل السلمى بسبب الموقف الأمريكى وكان مقتنعا بالحقيقة التاريخية بأن « ماأُخذ بالقوة لايسترد بغير القوة » .

وبذل الشعب مع قواته المسلحة جهودا شاقة وأعطى من إمكاناته وقدراته ورجاله الشيء الكثير فاستعاد التوازن مع اسرائيل قبل مرور ٣ سنوات من هزيمة يونيو ١٩٦٧ . الأمر الذى مهد الطريق للرئيس عبد الناصر أن يصدر قراره بضرورة بدء القتال لتحرير سيناء كاملة تطبقا للخطة ٢٠٠ .

رحل الرئيس عبد الناصر الى جوار ربه قبل أن يحل توقيت معركة تحرير الأرض ، وحل محله الرئيس السادات الذى كان يؤمن على النقيض من سلفه بأُسلوب الحل السلمى بتطبيق استراتيجية المصالحة مع اسرائيل منفردا وعن طريق الولايات المتحدة الأمريكية وكان ذلك مطلبا اسرائيليا امريكيا .

وخلال فترة سنتين ونصف السنة قضاها الشعب وقواته المسلحة فى حالة لاسلم ولا حرب قدم الرئيس السادات خلالها مبشروعاته من أجل الحل السلمى دون أن يصل مع الادارة الأمريكية أو اسرائيل الى نتيجة لاصرارهما على الحل المنفرد مع مصر ثم تطور الموقف الى اسوأ عندما طالبا بالحل الجزئى الذى كان يهدف الى إنسحاب اسرائيل الى منطقة المضايق وفتح قناة السويس دون اى ارتباط بالانسحاب النهائى .

ولما كان من الصعب على الرئيس السادات ان يقدم مزيدا من التنازلات أصبح من الضرورى ان يلقى فى ساحة المعركة السياسية عناصر ضاغطة عسكرية لكى يعطى للعمل السياسى قوة دفع جديدة لاستئناف المفاوضات من أجل الوصول الى تسوية شاملة .

ومن هذا المنطلق حدد الرئيس السادات الهدف السياسى لمعركة عسكرية من اجل الضغط على الموقف التفاوضى ، وليس من اجل تحرير الأرض بالقوة كان نصه . العمل على تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى طبقا لإمكانات القوات المسلحة(*) كما تأكد مضمون المعركة العسكرية فى توجيهاته الاستراتيجية العسكرية بنص قال فيه : ازالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف اطلاق النار اعتبارا من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ والعمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانات القوات المسلحة(٠) .

وعند تطبيق الهدف السياسى جاء تعريف القائد العام لنظرية الأمن الاسرائيلى أنها تمثل قناة السويس كمانع مائى يدعمها خط برليف بينما كان التعريف الاسرائيلى الواقعى لحدود الأمن الاسرائيلى كما حددها موشى ديان تتمثل فى خط المضايق الجبلية غرب سيناء أى ان الأساس الذى بنى عليه الرئيس السادات الهدف السياسى للمعركة جاء خاطئا وان معركة العبور الناجحة التى تمت فى يومى ٦ ، ٧ اكتوبر ١٩٧٣ حققت الهدف الاستراتيجى السياسى الخاطىء الذى قرره الرئيس السادات فى أول أكتوبر ١٩٧٣ وان حد الأمن الاسرائيلى الأمامى (منطقة المضايق) لم يمس بسبب عدم تكليف القوات المسلحة المصرية باحتلال المضايق بتحريره وبذا يمكن الجزم بأن عمليات قواتنا فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ قد توقفت دون ان تتحدى فى الواقع نظرية الأمن الاسرائيلية الحقيقية .

اما بالنسبة للهدف العسكرى للمعركة « تحرير الأرض على مراحل متتالية » . كما ورد فى التوجيه الاستراتيجى فانه لم يكن يتمشى مع نوايا الرئيس السادات الحقيقية والتى عبر عنها فى لقاءاته مع قادة وضباط وجنود القوات المسلحة وهى :

١ ـــ توجيهات الرئيس السادات فى مؤتمر القادة ـــ المجلس الأعلى للقوات ـــ جلسة ٣ يونيو ١٩٧١ اذ قال « انتم مطالبون بالعمل فى حدود الامكانات المتاحة لكم لو انكم عبرتم القناة واحتليتم عشرة سم شرق القناة ـــ مع التجاوز ـــ فان ذلك سوف يغير الموقف السياسى دوليا وعربيا » .

٢ ـــ واقوال اخرى من الرئيس بنفس المعنى قالها عند مروره على التشكيلات الميدانية « انا مش عاوز منكم غير شبر واحد وانا احل الموضوع واوفر دم اولادى فى المعركة » وقول اخر « كل اللى عاوزه منكم ياولادى ١٠ سم فى سيناء وانا كفيل احل الموضوع سلميا » وعلى ضوء هذا التحديد القاطع قرر القائد العام للقوات المسلحة عمق العمليات الهجومية على طول قناة السويس ١٠ ـــ ١٢ كم فقط .

ـــ وعندما تعمقت فى البحث لمعرفة ماهية وحدود الهدف السياسى والهدف العسكرى لمعركة الضغط التى قررها الرئيس السادات وجدت ان الاتصالات التى تمت اثناء المعركة بين الرئيس السادات والجانب الأمريكى قد قيدت هدف المعركة ومواجهتها وعمقها وحددت الاشتباكات كما جاء فى

(*) التوجيه الاستراتيجى السياسى للرئيس السادات الصادر فى أول أكتوبر ١٩٧٣ .

(٠) التوجيه الاستراتيجى العسكرى للرئيس السادات الصادر فى ٥ أكتوبر ١٩٧٣ .

رسالة السادات الى كسينجر فى يوم ٧/١٠/٧٣[*] بانه لاينوى الاستمرار فى التقدم شرقا بعد حصوله على تغيير الموقف فى الجبهة تغييرا ملموسا بالقدر الذى يسمح بالتدخل الأمريكى لوقف اطلاق النار والبدء فى المفاوضات للتسوية المقبولة .

— وعلى ذلك أصبح شكل المعركة مجرد معركة محدودة ــ قاصرة ــ مقيدة من اجل تحريك العمل السياسى واستئنافه للوصول الى تسوية شاملة .

وضع الرئيس السادات هذه الاعتبارات والقيود العسكرية امام هيئة تخطيط العمليات فى ربيع عام ١٩٧٣ واضيف اليها الجدل المتولد من فكر الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان والفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة ثم فكر القيادة العسكرية السورية وكل فكر يحمل اراء متناقضة انحصرت اخيرا فى رأيين . أولهما فكرة القتال من اجل تحريك قضية سياسية وثانيهما فكرة تقضى بضرورة احتلال القوات المصرية للمضايق كمرحلة اولى وكان هذا التناقض فى الآراء بسبب عدم وضوح الرؤية للهدف السياسى الذى حدده الرئيس السادات « تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى » .

وفى المراحل الأخيرة لبناء خطة العمليات طغى فكر الرئيس السادات على تخطيط العمليات العسكرية على اساس تحقيق الواجب الذى اعلنه الرئيس السادات فى جولاته الميدانية وسط الضباط والجنود « بان عليهم العبور وتحرير ١٠ سم شرق القناه وعليه (الرئيس السادات)ان يحل القضية سياسيا والوصول الى تسويه عادلة وشامله من اجل توفير دماء ابنائه الجنود » وبرزت مبادىء حشد القوات وحشد الأسلحة وحشد الطاقات بأكثر كثيرا مما خططته القيادة العامة لعملية العبور والتى ركز عليها الرئيس السادات لتكون هى نهاية المطاف للحرب وجاء تطبيق هذا المبدأ على حساب مبادىء اخرى كان اهمها مبدأ الاقتصاد فى القوى والتفريط فى أهمية الاحتياطى .

وانتهت مرحلة تخطيط العمليات الى اعتماد الخطة جرانيت (٢) المعدلة والتى اطلق عليها اسم « بدر » قبل بدء العمليات بأيام وتوضحت على خريطة العمليات بطريقة مثالية حددت الهدف النهائى ليكون احتلال منطقة المضايق الاستراتيجية فى سيناء . وعند تطبيق هذه الخطة فى حرب اكتوبر اقتصر التنفيذ على الهدف الذى حدده الرئيس السادات للقيادة والضباط والجنود وهو عبور قناة السويس وتحرير شريط ضيق من الأرض شرقها عمقه ١٠ ــ ١٢ كم فقط ومن اجل ذلك صدر من بعض النقاد ان خطة جرانيت (٢) المعدله والتى اتفق القائد العام على تنفيذها مع القيادة السورية هى خطة « وهمية » وهو مايتناقض تماما مع التخطيط المشترك بين القيادة المصرية والسورية الذى يقضى ان تكون المرحلة الأولى فى الخطة المصرية هى احتلال المضايق حتى لاتلقى اسرائيل بكل ثقلها على الجبهة السورية .

وتبين اثناء دراسة مرحلة ادارة العمليات الحربية ان الرئيس السادات اراد ان يطوع سير المعارك وادارتها طبقا لاعتبارات سياسية دون النظر الى الالتزام بتخطيط العمليات الذى اقره وصدق عليه فى

(*) كتاب امريكا والعرب لمحمود رياض ص ١٦٠ وكتاب امن مصر القومى لحافظ اسماعيل ص ٣١٨

الخطة أو الاعتبارات العسكرية والأمنية التى تفرضها المواقف العسكرية على القوات المتحاربة فى مسرح العمليات ــ فأصدر الرئيس السادات بوصفه القائد الأعلى للقوات قرارا الى القائد العام للقوات المسلحة يوم ١٩٧٣/١٠/١١ بضرورة تنفيذ العمليات الهجومية الاضافية شرق قناة السويس بهدف تخفيف الضغط على الجبهة السورية على ان ينفذ هذا القرار صباح ١٩٧٣/١٠/١٣ واخطأ القائد العام عندما استخدم الفرقتين المدرعتين ٤ ، ٢١ الموجودتين فى الاحتياطى التعبوى لمواجهة أى اختراق أو ثغرة كذا موافقته على القيام بتطوير الهجوم فى عملية انتحارية بسبب التفوق العددى للمدرعات الاسرائيلية . وكان لفشل هذه العمليات الهجومية اثره فى تحول الموقف العسكرى من نصر الى هزيمة وفقدت القوات المسلحة توازنها وتمكن العدو الاسرائيلى من استغلال هذا الموقف وقام باختراق دفاعاتنا ونقل المعركة الى الضفة الغربية للقناه خلف قواتنا المسلحة فانهار الموقف العسكرى ولم يجد القائد العام لديه قوات احتياطية كافية لمقاومة توغل العدو فأوصى بطلب وقف اطلاق النار وقام الرئيس السادات يوم ٧٣/١٠/٢٠ بانهاء المعركة فى صالح العدو الاسرائيلى الذى توغلت قواته فى الأراضى المصرية غرب القناة الى ان تمكنت من حصار الجيش الثالث الميدانى ومدينة السويس (٦٠,٠٠٠ مقاتل) مساء يوم ١٩٧٣/١٠/٢٣ .

هذه الدراسة توضح جميع المعارك التى وقعت خلال المدة من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ حتى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ حيث توقف القتال نهائيا عقب وصول قوات هيئة الأمم المتحدة الى قطاع السويس وكانت القوات الاسرائيلية قد احتلت من أراضينا حوالى ١٢٠٠ كم من النطاق الخلفى لمواقع الجيش الثالث حتى علامة الكيلو ١٠١ طريق القاهرة ــ السويس ــ والمعارك والعمليات التى قامت بها تشكيلات الجيشين الثانى والثالث واحتياطى القيادة العامة والوحدات الخاصة وهى ثلاث عشرة معركة هجومية بالاضافة الى معركة العبور الشهيرة شرق القناة وعدد عشر معارك دفاعية غرب القناة .

ثم شرحت اسلوب ادارة معركتى الشرق والغرب على جبهة قناة السويس وكيف تداخلت السياسة فى العمليات الحربية مع تقديرى لمواقف تشكيلات القوات المسلحة المقيده بدرجة اثرت على نتيجة المعركة التى ضحى من اجلها شهداء ابرار كثيرون .

ووضحت كيف تمت القيادة والسيطرة للقوات فى مسرح العمليات مواجهة اكثر من ١٧٠ كم وعمق أكثر من ٦٠ كم والقائد العام للقوات فى المركز (١٠) مقر القيادة الرئيسى بالقاهرة على بعد ٢٠٠ كم لم يخرج منه أو يحاول دفع مجموعة عمليات ميدانية تمثله خاصة فى الأوقات الحرجة التى لم يدرك حسابها من قبل .

وجاءت دراستى لجهود القوى الثلاث الرئيسية ، وهى : القوات البحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوى منفصلة بالنسبة للتميز النوعى فى القتال لكل منها .

كما اوضحت كيف كان توقيت طلب وقف اطلاق النيران خاطئا وزاد الخطأ اكثر باعلان الرئيس السادات بتصريحين ضارين هما « ليس لنا طاقة لمحاربة امريكا » بزعم ان امدادات امريكا العسكرية

لاسرائيل هى السبب فى الاخلال بميزان القوى . والواقع الذى اوضحته يخالف ذلك . وكان التصريح الثانى « ان حرب اكتوبر هى اخر الحروب » وبذا تمكن الرئيس السادات من إجهاض النصر الذى كسبته قواتنا المسلحة فى معركة العبور ، كما اجهض ارادة القتال فى الشعب الذى ظل متمسكا به بعد هزيمة ١٩٦٧ . وكان قرار وقف اطلاق النار الذى طلبه السادات يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ متمشيا مع هدف الرئيس وحده الذى حدد المعركة لتكون معركة عسكرية محدودة — قاصرة — مقيدة — من اجل تحريك القضية والضغط على العمل الدبلوماسى واعطائه قوة دفع جديدة من اجل الوصول الى تسوية نهائية .

ثم قمت بتسجيل الاجراءات العسكرية عن فك الاشتباك الأول والثانى والملحق (١) لمعاهدة الصلح المنفردة مع اسرائيل واتفاق التفاهم بين الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل ، حتى يمكن للقارىء ان يستوعب حصيلة معارك أكتوبر ١٩٧٣ .

وختمت هذه الدراسة بتحليل وقائع وظروف معارك أكتوبر الأربعة وعشرون ذاكرا الدروس المستفادة المكرره منذ هزيمة ١٩٦٧ ودروسا أخرى برزت نتيجة معارك أكتوبر ١٩٧٣ .

وأخيرا أؤكد للقارىء ان هدفى من هذه الدراسة المتواضعة هو توضيح وابراز خبرات قتال على المستوى التعبوى والاستراتيجى من خلال الأعمال الايجابية والسلبية التى قامت بها قواتنا بالاضافة الى دروس ومواقف تصلح لاضاءة الفكر العسكرى لقادتنا فى الأجيال القادمة بإذن الله .

والله الموفق

فريق أول م / محمد فوزى
وزير الحربية الأسبق

يناير ١٩٨٨

الفصل الأول

القوات المتحاربة



القوات العربية

اشتركت القوات المصرية والقوات السورية معا للقيام بعمليات عسكرية لتحرير الأرض العربية من الاحتلال الاسرائيلى واتفقتا على تنفيذ الخطة جرانيت (٢) المعدلة « بدر » ولكن لايوجد أى ارتباط أو تنسيق أو تعاون برى أو بحرى أو جوى بين الجبهتين . وكان الاتفاق على بدء العمليات الحربية فى توقيت واحد هو الارتباط الوحيد بين الجبهتين أى أن ادارة عمليات كل جبهة كانت منفصلة عن الأخرى .

وكان السند السياسى فى هذه المشاركة هو اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا الموقعة عام ١٩٦٦ ، وتعين الفريق أول أحمد اسماعيل على بوصفه قائدا عاما القوات المصرية ، قائدا عاما للقوات المتحاربة .

القوات المصرية

اشتركت كل القوات المسلحة المصرية فى معارك أكتوبر ١٩٧٣ وكان تعداد افرادها فى ذلك الوقت حوالى ثلاثة أرباع مليون مقاتل وادارى وفنى منظمة تظيما شرقيا ، تضم تشكيلات برية فى تنظيم جيشين ميدانيين واحتياطى القيادة العامة — تعاونها اكبر شبكة دفاع جوى تطورا فى العالم ، وقوات بحرية مختلفة المهام فى محورين بحريين . (الأبيض والأحمر) وعدد تسعة لواءات جديه وطائرات مقاتلة قاذفة ولواء قاذف خفيف ولواء قاذف ثقيل ومجموعات من الصاعقة وجنود الجو ولواء مظلات . بالاضافة الى الوحدات الادارية والوحدات الفنية ، وعدد من كتائب المهندسين العسكريين تضم ١٢ « كوبرى » ثقيل حمولة ٣٠ طنا (١٠ سوفيتى + ٢ انجليزى)(*) وعدد ٣٠ معدية بالاضافة الى الكبارى الهيكلية .

قوات عربية فى المعاونة

٣ سرب مقاتل قاذف جزائرى (ميج ٢١ — ميج ١٧ — سوخوى ٧) وصلت مصر أيام ٩ و١٠ و١١ اكتوبر ١٩٧٣ .

٢ سرب مقاتل قاذف — ليبى (ميراج ٣ — ٥) منها سرب قاده طيارون مصريون .

(*) منها واحد كوبرى ثقيل ٣٠ طنا وصل مع أول دفعة تسليح مع الجسر الجوى السوفيتى يوم ١٩٧٣/١٠/٩ .

١ سرب هوكر هنتر مقاتل قاذف عراق بدأ العمليات مع القوات المصرية يوم ٦ اكتوبر
لواء مدرع ــ جزائرى .
لواء مدرع ــ ليبى .
لواء مشاه ــ مغربى .
لواء مشاه ــ سودانى ــ لم يصل مصر الا بعد وقف اطلاق النيران .
كتيبة مشاه ــ كويتية ــ متعاونة مع القوات المصرية منذ عام ١٩٦٧
كتيبة مشاه ــ تونسية .
بالاضافة الى عدد ٣٠ طيارا حربيا من كوريا الشمالية .

القوات السورية

عماد القوات السورية فى جبهة الجولان ٢ فرقة مشاه ــ ٢ فرقة مشاه ميكانيكى وفرقة مدرعة بالاضافة الى الوحدات المقاتلة الفرعية من المغاوير يعانها ٤ لواء جوى مقاتل قاذف ٢ لواء بحرى لنشات بالاضافة الى الوحدات الادارية والفنية . علماً بأن قوات الدفاع الجوى السورى تدخل فى تنظيم القوات الجوية وتحت قيادتها .

قوات عربية فى المعاونة

٣ سرب ميج ٢١ ــ عراق اشترك عدد ٢ سرب فى القتال يوم ١٠/٨
١ سرب ميج ١٧ ــ عراق
١ فرقة مدرعة ــ عراق
١ فرقة مشاه ميكانيكى ــ عراق وصلت مفارزها الى الجبهة السورية يوم ١٠/١١ .
٢ لواء مدرع أردنى منها لواء تحت القيادة السورية والثانى فى المعاونة .
١ لواء مدرع مغربى تحت القيادة السورية .
١ لواء مشاه ــ سعودى ــ فى المعاونة وتمركز فى الأردن

صفات عامة للقوات المتحالفة

تعتمد القوات المصرية والسورية فى تنظيمها التعبوى على نظام الفرق الميدانية (مشاه أو مشاه ميكانيكى أو مدرعة) والفرقة بها كل الأسلحة المعاونة من مدفعية ميدان ، ودبابات ومهندسين عسكريين واشارة ، ومدفعية مضادة للدبابات ، ومدفعية مضادة للطائرات ، أى أن الفرقة يمكنها الاعتماد على نفسها كتشكيل مقاتل دون الاستعانة بوحدات معاونة أخرى . وقبل معركة اكتوبر ١٩٧٣ دعمت الفرقة بسلاحين متطورين اضافيين هما : المدفع الصاروخى المضاد للدبابات ، والصاروخ سام ٧ المضاد للطائرات على المستوى الواطى جدا ، وهو سلاح فردى . كان لهما تأثير قوى جدا فى المعارك . وكانت الفرقة هى أصغر وحدة تكتيكية يمكن الاعتماد عليها فى القتال .

وتدخل القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوى والوحدات الخاصة فى معاونة التشكيلات البرية فى أى عملية عسكرية وفى أى محور من المحاور .

وكانت القوات المصرية والقوات السورية قد احتشدت فى مواجهة العدو فى جبهة قناة السويس وفى جبهة الجولان منذ عام ١٩٦٧ ، وحصلت القوات المصرية على قسط وافر من الخبرة الميدانية من خلال الصدام المسلح مع العدو خلال سنوات ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠ . (حرب الاستنزاف) . الأمر الذى اكسبها خبرة قتالية ، وفاعلية وثقة ، بالاضافة الى حصولها على المعلومات التكتيكية والتعبوية عن العدو لأول مرة بسبب طول فترة المواجهة .

القوات الاسرائيلية

قوات المنطقة العسكرية الجنوبية ــ مقرها بئر سبع ــ وتضم التشكيلات الاسرائيلية التالية : خمسة لواءات مشاه وميكانيكية ــ ثلاثة لواءات مدرعة (تصبح ٦ لواءات بعد استكمال التعبئة) لواء مظلات ــ أربع كتائب دبابات ــ خمس كتائب ناحال ــ ٢٠ كتيبة مدفعية ميدان ومضادة للدبابات ــ ست كتائب مدفعية مضادة للطائرات (هوك) بالاضافة الى وحدات ادارية وفنية موزعة على القطاعات التكتيكية والتعبوية تشتمل سيناء والنقب .

قوات المنطقة العسكرية الوسطى وتشمل قوات المنطقة (لواء مدرع + ٢ لواء ميكانيكى) بالاضافة الى قوات الاضافى الاستراتيجى (منها ٧ لواء مدرع) .

قوات المنطقة العسكرية الشمالية ــ جبهة الجولان وتشمل :

٣ لواءات مشاه وميكانيكية
٢ لواء مدرع (٤ بعد استكمال التعبئة)
٤ كتائب مدفعية ميدان
٢ كتيبة مدفعية ميدان
٢ كتيبة دبابات
٢ كتيبة مضادة للطائرات

وقد اضاف ديان اليها لواء مدرعا آخر من الاحتياطى الاستراتيجى بعد زيارته للجبهة يوم ١٩٧٣/٩/٢٦ . وتعاون القوات الاسرائيلية على الجبهتين قوات جوية مركزية القيادة قوامها :

٤٣٠ طائرة مقاتلة قاذفة من الفانتوم والاسكاى هوك والميراج وسوبر مستير بالاضافة الى ٤٩ طائرة سكاى هوك وروف عبر الجسر الجوى الأمريكى

وان نسبة الطيارين الممتازين فى القوات الجوية الاسرائيلية هى ٣ لكل ٢ طائرة ، أما القوات البحرية الاسرائيلية فهى قوات صغيرة تعتمد أساسا على لنشات طوربيد ، ولنشات مدفعية ، ولنشات صواريخ

سعر تستخدم الصاروخ جبريل الذى تم تصنيعه فى اسرائيل ، وكفاءته القتالية محدودة . وحصلت اسرائيل على غواصتين عام ١٩٦٨ من انجلترا . وليس لاسرائيل فى ايلات سوى لنشات مدفعية (حراسة شواطىء) ، وتعاون القوات الجوية دائما القوات البحرية الاسرائيلية فى عملياتها البحرية .

صفات عامة للقوات الاسرائيلية

تنتظم فى تشكيلات مقاتلة اساسها اللواءات ودائما ماتدعم فى عملياتها بوحدات معاونة أخرى فى القتال وعلى ذلك تقوم القيادة الاسرائيلية بتكوين مجموعات الويه ، والحاق وحدات معاونة من المدفعية والدبابات والصواريخ المضادة للدبابات وسرايا مواصلات ، ووحدات كيمياء الخ من الوحدات المعاونة .

والقوات الاسرائيلية موزعة تعبويا الى ثلاث مناطق عسكرية هى : الشمالية والوسطى والجنوبية . وكل منطقة لها قيادتها وقوات تحت القيادة .

تعتمد القوات الاسرائيلية على الجيش الاحتياطى دائما وعلى جهازها الانذارى الذى يمدها بالمعلومات الدقيقة عن القوات العربية ، وخاصة دول المواجهة وهى المخابرات العسكرية . كذا على سرعة وكفاءة جهاز التعبئة الذى يتدرب مرتين سنويا . يعقبه تطوير فى اسلوب التعبئة وفى الأداء . والجيش العامل الاسرائيلى يكون ثلث الحجم المقرر لتعبئة القوات الاسرائيلية بأقصى طاقتها بينما يكون الاحتياطى ثلثى الحجم . وتتكلف التعبئة فى المرة الواحدة فى اسرائيل اكثر من مليونى دولار ، وتمت آخر تجربة على تعبئة القوات الاسرائيلية فى شهر مايو ١٩٧٣ .

وعامة يعتبر التقييم العام عند مراجعة كفاءة وقدرة القوات الاسرائيلية طبقا للمعادلة التالية :
عقيدة قتال + استخبارات (معلومات) + قوات جوية + قوة المدرعات + امداد خارجى

موازنة القوات المتحاربة

إننى اعتمد على بيان صدر من مرشال الاتحاد السوفيتى « جريشكو » وزير الدفاع فى اكتوبر ١٩٧١ لمناقشة وعرض موازنة القوات المتحاربة فى اكتوبر ١٩٧٣ ثم اضيف اليه التطورات فى الدعم الأمريكى والدعم السوفيتى لكلا الطرفين المتحاربين فى الفترة من اكتوبر ١٩٧١ حتى أكتوبر ١٩٧٣ .

ففى لقاء يوم ١٣/١٠/١٩٧١ بين القمة المصرية والسوفيتية فى موسكو لمناقشة القدرات العسكرية للقوات المصرية ، وهل القوات المسلحة المصرية قادرة على القيام بعمليات واسعة لتحرير سيناء أم لا . تقدم المارشال جريشكو بالبيان التالى أمام الحاضرين « ان هناك ثلاثة عوامل تحدد مقدرة أى جيش هى : التعداد ونوعية التسليح والكفاءة القتالية ، ثم معنويات الجيش . فاذا كان الجيش يتمتع بتفوق فى هذه العوامل الثلاثة يمكن ان يضمن النجاح » . واستطرد المارشال جريشكو يقول : « ان المقارنة بينكم وبين اسرائيل فى العوامل التى ذكرتها تشير الى تفوقكم بالنسبة للتعداد ونوعية الأسلحة والكفاءة القتالية » . ثم قرأ جريشكو من بيان لديه مقارنة بين قوة اسرائيل وقوة مصر وسوريا مجتمعتين بالنسبة

لكل سلاح من الأسلحة ، وأشار الى تفوق عربى بنسبة ٢ : ١ فى عدد القوات ، كذا فى الأسلحة وخاصة الدبابات والمدفعية وصواريخ الدفاع الجوى . أما بالنسبة للطائرات فلديكم تفوق عددى يصل الى ٢ : ١ . وذكر ان الطائرة الفانتوم الأمريكية تحمل سبعة اطنان قنابل وفى هذه الحالة لاتزيد سرعتها على ٩٠٠ كيلومتر / ساعة . وقد اثبتت التجربة فى فيتنام وفى الشرق الأوسط أن الطائرة الميج تمكنت من اسقاط الفانتوم وهى محملة ، أما بالنسبة للأسلحة البحرية فلديكم أيضا تفوق على اسرائيل بشكل قاطع. وبالنسبة للمعدات الهندسية فلديكم مايكفى لاقامة تسعة كبارى على قناة السويس. كما وصلكم كل الأجهزة اللازمة لفتح الثغرات ، كما يوجد لديكم كتائب خاصة بالتشويش والاعاقة ألكترونيا على العدد . ولقد أصبح لديكم المعلومات عن كافة المواقع الاسرائيلية بعد امدادكم بمعلومات الاستطلاع الجوى(*) .

وعلق بريجينيف على هذا البيان بقوله « بعد ان سمعنا هذا البيان التفصيلى لايصح أن نسمع حديثا عن ضعف القوات المصرية ، وانها ليست على مستوى العدو . اذا كان أفراد الجيش المصرى يرددون مثل هذه الأقوال فان الجيش فى هذه الحالة يصبح غير مستعد لأى معركة مهما تلقى من أسلحة » .

الدعم الجديد للقوات المتحاربة

دعم الاتحاد السوفيتى القوات المسلحة المصرية بصفقة ضخمة فى اكتوبر ١٩٧١ وقت ان كان الفريق أول محمد أحمد صادق وزيرا للحربية ولكن تسلم معدات هذه الصفقة بطيئا استغرق وقتا طويلا وتابعها بصفقة اخرى مكملة لها فى مايو ١٩٧٢ . كما دعم الاتحاد السوفيتى القوات المسلحة المصرية بصفقة أخرى فى مارس ١٩٧٣ وقت ان كان الفريق أول أحمد اسماعيل على وزيرا للحربية بالرغم من تدهور العلاقات الثنائية التى أعقبت الاستغناء عن المستشارين والوحدات الصديقة فى يوليو ١٩٧٢ . وتميزت هذه الصفقات بنوعيات جديدة من الأسلحة والمعدات تدخل القوات المسلحة المصرية لأول مرة مثل الدبابة ت ٦٢ والعربة المدرعة المتطورة والمدفع الميدانى طويل المدى « سكود » ووحدات الصواريخ سام ٦ المتحرك ضد الطيران المتوسط والواطى . والطائرة السوخوى ٩ والطائرة القاذفة الثقيلة الصاروخية التى حدث بسببها نقاش حاد تطور الى درجة فقد الثقة بين القيادة السوفيتية وبين الرئيس السادات فى لقاء القمة فى ١ و٢ مارس ١٩٧١ كما اعاد الاتحاد السوفيتى قبل معركة أكتوبر بعضا من الأسلحة والمعدات الحديثة التى كانت موجودة مع وحداته عامى ٧٠ — ٧١ ، مثل سرب الميج ٢٥ للاستطلاع التعبوى الاستراتيجى . أما من ناحية الكم فقد زاد من عدد الدبابات كما زاد من عدد الصواريخ سام ٣ وسام ٦ وسام ٧ المعدل للدرجة التى أصبح فيها الدفاع الجوى قوة ذات فاعلية كبرى .

وعلى الجانب الآخر فان الولايات المتحدة الأمريكية قد أصدرت بيانا فى مارس ١٩٧٠ بشأن وقف البت فى صفقة الطائرات المطلوبة لاسرائيل حرصا منها على عدم تصاعد سباق التسليح فى المنطقة مع

(*) استراتيجية المصالحة للمؤلف ص ٨٧ « البحث عن السلام والصراع فى الشرق الأوسط » لمحمود رياض ٣٨٢ .

قناعتها فى نفس الوقت بأن اسرائيل تحتفظ بالتفوق العسكرى منذ معركة يونيو ١٩٦٧ .

ونشطت اسرائيل فى تجسيم خطورة الموقف على القناة بعد أن نجحت مصر فى زرع غابة من الصواريخ سام ٣ وطلبت المزيد من الدعم الأمريكى على اساس أن زرع هذه الصواريخ فى المنطقة قد قلب ميزان القوى فيها .

حصلت اسرائيل عام ١٩٧١ على دعم مالى كبير بعد أن اعتمد الكونجرس الأمريكى ٥٠٠ مليون دولار كدعم جديد لاسرائيل بهدف دعم تفوقها العسكرى على العرب . وكانت اسرائيل قد طلبت ١٠٠ طائرة سكاى هوك ٢٥ فانتوم امكن استلامها فى ١٩٧١/١٢/٣١ . واستمر الامداد والدعم العسكرى بكثافة الى اسرائيل عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ . وأعلن أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى بأن الامداد العسكرى الذى حصلت عليه اسرائيل عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ يساوى عشرة اضعاف الإمداد الذى وصل الى اسرائيل خلال ٣ سنوات سابقة . وان المعونة العسكرية عام ١٩٧٢ كانت ٦٠٠ مليون دولار وهى قيمة اكبر مما قدمه الرئيس جونسون لاسرائيل خلال مدة رئاسته كلها ، وكان معظمها طائرات فانتوم واسكاى هوك وصواريخ شرايك وطائرات هليوكوبتر تستخدم ضد الدبابات واجهزة الكترونية ، الأمر الذى يؤكد تفوق اسرائيل على العرب منذ عام ١٩٧٣ .

وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ تأكدت هذه الحقيقة عندما نشر تقرير لجنة مكونة من أعضاء الكونجرس الأمريكى كلفت ببحث تأثير الدعم والمعونات الأمريكية على معركة اكتوبر وزارت اللجنة اسرائيل ومصر ونشر التقرير فى فبراير ١٩٧٤ وجاء به :

ان الدعم والمعونات العسكرية الأمريكية التى وصلت اسرائيل عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ يعادل ٣٣ ١/٣٪ من حجم القوات المسلحة الاسرائيلية كلها عام ١٩٧١ .

بعد توضيح هذه البيانات والاحصائيات يمكن الجزم بأن التفوق العسكرى فى اكتوبر ١٩٧٣ بين اسرائيل والعرب كان فى صالح اسرائيل ، كما يمكن الاستدلال بتأكيد أن الفترة بين عامى ١٩٧٠ و١٩٧١ هى الفترة الوحيدة التى كان التفوق العسكرى لصالح العرب . ولذا كان تقدير الرئيس الراحل عبد الناصر سليما عندما أكد أن معركة تحرير الأرض الشاملة مع اسرائيل يجب ألا يتأخر عن ربيع عام ١٩٧١ .

الدعم العربى للمعركة

كان استثمار جهود الدول العربية من أجل التضامن العربى تلبية لمطالب التخطيط لمعركة التحرير الشاملة واعادة الأرض المغتصبة عام ١٩٦٧ واعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين المتفق عليها فى مؤتمر القمة العربى ، ورد الفعل العربى المتولد من صراع حرب الاستنزاف فى جبهة قناة السويس ، ثم جهود الجامعة العربية عامى ١٩٧١ و١٩٧٢ قد اثمرت بتجميع أكبر حشد ممكن من العتاد الحربى والأموال والتشكيلات المقاتلة لمعاونة كل من مصر وسوريا فى عملياتهما المشتركة ضد اسرائيل فى اكتوبر ١٩٧٣ .

ان أربع دول عربية ساهمت بقواتها مع سوريا فى جبهة الجولان بينما سبع دول عربية ساهمت بقواتها مع مصر فى جبهة قناة السويس ، ونالت العراق الأسبقية بين الدول العربية فى الجبهتين معا بالنسبة لحجم القوات البرية والجوية التى قدمتها للمعركة الغربية ضد اسرائيل .

وقد عاصرت الجهد الشخصى الذى بذله الرئيس الراحل عبد الناصر فى مؤتمر الرباط فى ديسمبر ١٩٦٩ للحصول على امداد عسكرى من أجل معركة التحرير من الدول العربية جميعا تحت شعار « قومية المعركة » ومنها استعداد الجزائر لتقديم قوات كبيرة من الجيش والطيران بشرط تمركزهم فى الجبهة قبل المعركة مباشرة . وكان بجبهة قناة السويس ـــ كتيبة من السودان وأخرى من الكويت ولواء مشاه جزائرى تحت التدريب وكتيبة مدفعية ميدان جزائرية .

أى أن الدعم العربى الذى توفر وأعد لمعركة اكتوبر يعد ذا تأثير ايجابى على المعركة ، خاصة اسراب الطيران المقاتلة القاذفة العراقية والليبية التى وصلت قبل المعركة وعددها : ٦ أسراب للجبهة المصرية و٣ أسراب للجبهة السورية . وكان من الواجب استغلال هذا الدعم الجوى بتكوين قيادة عمليات جوية مشتركة بين الجبهتين لادارة عمليات ، واستغلال القدرات الجوية لهذه الأسراب لإمكان توسيع مواجهة القتال والتنسيق بهدف ادارة عمليات جوية مشتركة على كلتا الجبهتين معا . بهدف قذف عمق اسرائيل بالقاذفات الثقيلة التى تملكها مصر ، والمقاتلات القاذفة المعدلة المتوفرة لدى الجبهتين . ولكن تخطيط عمليات اكتوبر على كلتا الجبهتين لم يشمل ذلك .

أى أن العرب بذلوا جهدهم وأبدوا استعدادهم ووفروا ما عندهم من أسراب جوية وتشكيلات ميدانية أخرى ، ولم يتمكن السادات وقيادته العسكرية من الاستفادة منها فى المعركة .

دعم اضافى

كان الرئيس بومدين قد سافر الى موسكو فى أوائل اكتوبر ١٩٧٣ من أجل الضغط على الاتحاد السوفيتى لدعم المعركة ضد اسرائيل ، وقام بدفع ٢٠٠ مليون دولار الى الاتحاد السوفيتى لصالح الجبهتين ، تحولت الى ١٥٠ دبابة لصالح مصر وصلت بعد وقف اطلاق النيران . كما قام المارشال تيتو بارسال ١٤٠ دبابة الى مصر وصلت بعد وقف اطلاق النيران . ثم قام الشيخ زايد (أبو ظبى) بدفع ١٠٠ مليون جك ، ثم جاءت السعودية ودفعت ٣٠٠ مليون دولار ، وتلاها الكويت ودفع ٢٥٠ مليون دولار ، ثم ليبيا ١٧٠ مليون دولار ، ثم العراق الذى دفع ١٠٠ مليون دولار مع بقاء دعم مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ مستمرا وقدره ١٣٥ مليون جنيه استرلينى سنويا .

وطالما وصلنا الى خط تقدمى فى التضامن العربى وتمكنا من قبول مبدأ تجميع تشكيلات القتال بجانب تجميع الأموال الى دول المواجهة كى تحارب اسرائيل . وان حجم التشكيلات المقاتلة التى خصصت من دول عربية تبعد عن جبهات القتال أكثر من ٤٠٠٠ كيلو متر ضمن جهود عامة الدول العربية لهو دليل قاطع لانتماء شعوب هذه الدول الى الهدف الاستراتيجى الموحد ، وهو قتال اسرائيل

بواسطة كل العرب . وهذه حقيقة تطابق الصفات والشعور والأهداف التى تتمتع بها كل الشعوب العربية .

دعم القوات المتحاربة

١ ــ مصر وسوريا

بدأت الامدادات العسكرية السوفيتية لمصر وسوريا عن طريق الجسر الجوى اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/٩ بعد ٩٠٠ رحلة حملت حوالى ١٥٠٠٠ طن معدات وأسلحة . وعن طريق النقل البحرى اعتبارا من ١٩٦٧/١٠/٩ وصلت ٦٣٠٠٠ طن وبذا يكون جملة الامدادات السوفيتية لمصر وسوريا ٧٨٠٠٠ طن .

- الدعم السوفيتى بدأ مبكرا أى بعد بدء العمليات بثلاثة أيام فقط ، وكان حجم الامدادات وسرعته دليلا على كفاءة جهاز النقل والامداد فى الاتحاد السوفيتى .
- اشتركت جميع الأسلحة والمعدات السوفيتية المنقولة جوا وعن طريق البحر فى العمليات الحربية وكان منها كوبرى .P.M.P نقل فى أول دفعة امداد مما رفع كفاءة وقدرة كبارى العبور الى ١٢ كوبرى ثقيل حمولة ٨٠ طنا .
- وصل من الاتحاد السوفيتى يوم ١٩٧٣/١٠/٩ عدد ٤ طائرات ميج ٢٥ وتمركزت فى مطار غرب القاهرة ومعها ٤٠٠ فرد سوفيتى بين طيار وفنى وادارى . كما وصل فى اليوم نفسه ٢ مدفع ميدانى صواريخ أرض / أرض طويل المدى سكود بمدربين سوفييت .
- كما وصل يوم ١٩٧٣/١٠/١٢ اللواء الثالث صواريخ سام ٦ .

٢ ــ اسرائيل

فى يوم ١٠/٩ بدأت اسرائيل تطلب امدادا جويا بالحاح وصرح نيكسون بارسال كميات محدودة وبدأت من يوم ١٠/١٠ طائرات البوينج الاسرائيلية ــ تحمل كميات صغيرة من مخازن الولايات المتحدة الأمريكية وأهمها الصواريخ المضادة للدبابات طراز « فاو » .

وبرغم تأكد كيسنجر ان السوفييت سبقوا فى امداد مصر وسوريا بالأسلحة الثقيلة الا ان رفض السادات لندائه بوقف اطلاق النار فى المواقع التى وصلت اليها القوات . كان احد العوامل المؤثره لقرار نيكسون فتح طريق الامداد الجوى الى اسرائيل اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/١٣ حيث اصبحت المسألة بالنسبة له « اختبار للارادات بين واشنطن وموسكو » .

بدأ الجسر الجوى الأمريكى بكثافة من سعت ١٥٠٠ يوم ١٠/١٣ بقوة ٣٠ طائرة نقل ضخمة بحمولة تعادل ١٠٠٠ طن يوميا والأيام التالية الى أن وصلت الرحلات الجوية للاسرائيل لعدد ٥٦٦ رحلة نقل جوى . واضاف نيكسون ٣٠ طائرة فانتوم مجهزة بحمالات الكترونية ضد الشوشرة الألكترونية

بالاضافة الى أجهزة انذار (صوت وضوء) ضد الصواريخ السوفيتية ، وصواريخ مضادة للدبابات وصواريخ جو / أرض .

اعتمد نيكسون والكونجرس مبلغ ٢٫٢ مليار دولار لدعم الجسر الجوى الأمريكى لاسرائيل . وبذا تكون جملة مانقل جوا لاسرائيل هو ٣٩٥ ٣٣ طنا .

كما اضيف اليها عن طريق النقل البحرى اعتبار من ١٩٧٣/١١/٢ ٢١٠ ٣٣ أطنان معدات وأسلحة ، فيكون جملة مادعمت به امريكا خلال المعركة وبعدها هو ٦٠٥ ٦٦ أطنان معدات وأسلحة .

— تم نقل المعدات والأسلحة الى اسرائيل بالجسر الجوى الأمريكى عن طريق جزر الأزورس والبرتغال بعد ان رفضت دول حلف الأطلنطى استخدام قواعدها لهذا الغرض . كما تم نقل حوالى ٣٠٠٠ طن معدات واسلحة فى مخازن الجيش الأمريكى فى المانيا الغربية وبلجيكا سرا .

— لم تشترك المعدات والأسلحة الأمريكية الواردة عن طريق الجسر الجوى الأمريكى فى المعركة الأساسية على الجبهة المصرية اذ ان القوة الأساسية الاسرائيلية التى نجحت فى اختراق الدفاعات المصرية فى ثغرة الدفرسوار كانت مجمعة فى منطقة غرب المضايق الاستراتيجية اعتبارا من يوم ١٠/١٢ أى قبل وصول الدعم الأمريكى . وفى اعتقادى ان الدعم الأمريكى لاسرائيل عبر الجسر الجوى دخل مكان الاحتياطى الاستراتيجى الاسرائيلى التى اسرعت اسرائيل بدفعه الى الجولان منذ بدأت عمليات اكتوبر . كما ان الدعم الأمريكى استغل بعد وقف اطلاق النيران فى الجبهة المصرية فى استعواض قوة لواءات الدبابات الاسرائيلية التى فقدت نسبة كبيرة جدا من دباباتها كذا بالنسبة لباقى الأسلحة النوعية الأخرى وذلك عدا ما استخدم فعلا فى جبهة قناة السويس من الدعم الأمريكى مثل الصاروخ « تاو » الذى ورد بواسطة طائرات النقل الاسرائيلية واستخدم فى قناة السويس يوم ٧٣/١٠/١٣ وصواريخ مافريك جو/أرض اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/٢٢ بعد تدريب عاجل من خبراء امريكان (شركة هيوز الأمريكية) لأفراد السرب ٦٩ فانتوم اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/١٨ فى قاعدة رامات رافيد الجوية .

— كانت المعدات والأسلحة الواردة لاسرائيل عبر الجسر الجوى كلها معروفة لدى اسرائيل ماعدا الصواريخ جو/أرض واجهزة الكترونية متطورة للشوشرة والاعاقة . أى أن التركيز فى الدعم الأمريكى كان لغرض الاستعواض للأسلحة والمعدات التى خسرتها اسرائيل . ومن هنا جاء القول الذى اضيف الى معادلة ميزان القوى لاسرائيل « **سرعة وضمان الامداد الخارجى لاسرائيل** » وأصبحت ميزة فى صالح توازن القوى لاسرائيل . وقد أعلن قائد الطيران الاسرائيلى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٣ ، أن اسرائيل استعوضت كل طائراتها وأصبحت القوة مثل يوم ١٩٧٣/١٠/٥ .

— ومن هنا نتبين الأكذوبة التى طرحها السادات على الشعب العربى لكى يبرر بها قراره بطلب وقف اطلاق النيران يوم ٢٠ أكتوبر ، وانه ليس لديه الطاقة فى محاربة امريكا التى انزلت معداتها ودباباتها ومدفعيتها فى مطار العريش ومنها الى جبهة قناة السويس مباشرة وكان الرئيس السادات يعلم منذ

البداية ان الموقف الأمريكى يحتم ارسال دعم عسكرى الى اسرائيل وان امريكا مشتركة مع اسرائيل فى هدفها القاضى بمنع مصر وسوريا من تحرير أراضيهما من الاحتلال الاسرائيلى . فما هى المفاجأة التى اعترضت التقدير المصرى فى حرب أكتوبر .

استخلاص من مقارنة القوات المتحاربة

١ ــ ان اسرائيل تتفوق على مصر فى المدرعات وفى المقاتلات القاذفة ، اذ أنها بعد اتمام التعبئة امكنها استخدام عدد ١٩ لواء مدرعا ، ٤٣٠ طائرة مقاتلة قاذفة . بالاضافة الى دعم ٤٩ طائرة سكاى هوك وردت عبر الجسم الجوى الأمريكى .

بينما كانت تقديرات القوات المسلحة تركز على وجود ١١ لواء مدرعا ، و٣٦٠ طائرة مقاتلة قاذفة وهى التقديرات التى كانت متوفرة منذ عام ١٩٧١/٧٠ .

أى أن التخطيط للعمليات الحربية فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ بنى على أساس مخالف للحقيقة عن قوة وقدرات اسرائيل .

٢ ــ هذه الزيادة اضيفت الى اسرائيل خلال عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ وتميزت صفقة مارس ١٩٧٣ من الولايات المتحدة الأمريكية لاسرائيل بكم وكيف عاليين جدا فى المدرعان وفى المقاتلات القاذفة وأضيف الى الأخيرة مساعدات فنية ملاحية وصواريخ جو/جو وجو/أرض جديدة ومتقدمة ودقيقة .

٣ ــ تميزت اسرائيل بعدد طياريها (٣ طيارين لكل ٢ طائرة) بينما كان عدد الطيارين المؤهلين لدينا معدل (٤ طيارين لكل ٥ طائرات) وهو فارق يؤثر على قدرة القوات الجوية عموما .

٤ ــ تميزت المعدات والأسلحة الاسرائيلية باضافات بسيطة من الأجهزة الألكترونية المتطورة فى طائراتنا المقاتلة / القاذفة وفى اللنشات البحرية وفى وحدات الاستطلاع الأمر الذى رفع قدرات هذه الأسلحة فى القتال بما يفوق قواتنا حتى لو تفوقت عليها فى العدد .

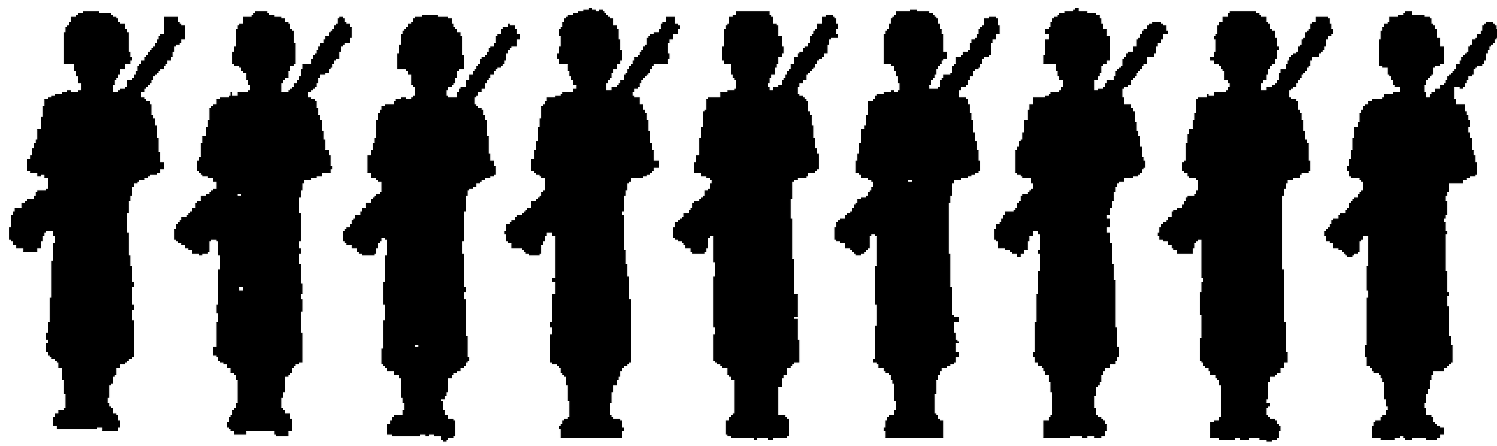
٥ ــ القوات المسلحة المصرية أخذت امداد تسليح من الاتحاد السوفيتى ــ صفقات أكتوبر ١٩٧١ ومارس ١٩٧٣ ولكنها ليست بالكم ولا الكيف اللذين تميزت بهما صفقات اسرائيل .

٦ ــ فقدت القوات المسلحة المصرية عنصر الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى الذى كانت تتمتع به قبل عام ١٩٧٢ بوجود ٤ طائرات ميج ٢٥ ، ولواء استطلاع جوى استراتيجى ت ى ١٦ وهما سوفيتيان كانا يتعاونان مع القوات المسلحة المصرية وامدادها بالمعلومات التعبوية والاستراتيجية عن مسرح العمليات وبالذات عن اسرائيل . وكان فقدهما بسبب استغناء الرئيس السادات عنهما فى يوليو ١٩٧٢ خسارة كبيرة للقوات المسلحة المصرية ، خاصة وانه ليس لديها من الوسائل البديلة مايعوضها هذه الخسارة . وكانت أولى السلبيات هى عدم توفر المعلومات الدقيقة عن قوة ومقدرة العدو الحقيقية قبل المعركة .

٧ ــ فقدت مصر مصدر الدعم الوحيد بالسلاح بعد استبعاد الاتحاد السوفيتى بينما استمر الدعم الى اسرائيل مضمونا ومؤكدا من الولايات المتحدة .

الفصل الثاني

التخطيط لعمليات أكتوبر ١٩٧٣



أولا ــ مقدمه

من المسلم به ان سياسية الدولة لاتتغير بتغيير الأشخاص حيث أنها تقرر بواسطة أجهزة ومؤسسات وبعد دراسة متخصصة ، وبالتالى فان الاستراتيجية العليا للدولة السابق اقرارها من الجهاز السياسي للدولة والمنبثقة من قرارات مؤتمر القمة العربى بالخرطوم عام ١٩٦٧ ، لم يكن ليطرأ عليها أى تعديل الا بقرار معلن وموثق من الجهاز السياسى نفسه ، ونظرا لعدم صدور مثل هذا القرار وبالتالى عدم صدور أى توجيه سياسى عسكرى للقيادة السياسية خلافا للتوجيه الصادر من الرئيس عبد الناصر فى ١٩٦٧/٦/١١ فقد كان من المفترض ثبات خطط العمليات العسكرية المعده على ضوء هذا التوجيه ، وهى خطة التحرير الشاملة ٢٠٠ ومرحلتها الأولى للوصول الى المضايق الاستراتيجية (الخطة جرانيت) .

ومما ساعد على هذا الثبات والاستمرارية اعلان رئيس الجمهورية الجديد ــ الرئيس السادات ــ عند توليه الرئاسة باستمرارية السياسة السابقة على رئاسته بحكم مشاركته فى اعدادها وهو نائب للرئيس عبد الناصر . الا ان القيادات العسكرية بدأت افكارها تتشتت وتبعتها القيادات التخطيطية والميدانية للقوات المسلحة لرفض الرئيس السادات التوقيع على قرار المعركة عام ١٩٧١ فى التوقيت الذى كان الرئيس عبد الناصر قد حدده ــ لايتأخر عن ربيع ١٩٧١ ــ وماتبع ذلك من مبادرات واقتراحات الرئيس السادات السلمية الرامية الى نبذ الاستراتيجية العليا ، وهو ازالة اثار العدوان بحرب تحريرية شاملة . وبعد ان اعدت الدولة نفسها واستكملت قدرات قواتها المسلحة لبدء هذه الحرب الشاملة . وقد زاد الغموض للقيادة العسكرية تصريحات الرئيس السادات المعلنة بالتصميم على الحرب متلازما مع هذه المبادرات السلمية المتتالية والاتصالات السياسية مع الادارة الأمريكية ــ الحليف الرسمى للعدو الاسرائيلى ــ واستمرار ذلك مع عدم اصدار أى قرار أو توجيه سياسى عسكرى موثق على مدار هذه الحقبة الزمنية وحتى أول أكتوبر ١٩٧٣ م .

اوحت مبادرات الرئيس السادات وأفكاره بتجزئة الانسحاب الاسرائيلى وتنفيذه على مراحل الى بعض القادة العسكريين بالمبادرة الذاتية أو بالايحاء غير المباشر بتقديم مذكرات وتقارير بأفكار محدده للمعركة الحربية تتواءم مع افكار السادات ، وذلك باستبعاد فكرة الحرب الشاملة واستبدالها بحرب محدودة يكتفى فيها بعبور قناة السويس واتخاذ مواقع دفاعية شرقها بما لايتجاوز عمق ١٠ ــ ١٢ كم ، متعللين فى

ذلك بقصور قدرة القوات المسلحة ومدى فاعلية شبكة الدفاع الجوى شرق القناة ، وكان أولهما لواء سعد الدين الشاذلى . وثانيهما لواء أحمد اسماعيل رئيس المخابرات العامة الذى استبعده الرئيس عبد الناصر لعدم اهتمامه بواجباته الميدانية وقت ان كان يشغل مركز رئيس هيئة الأركان فى سبتمبر ١٩٦٩ ، ولم يكن لديهما الالمام الكامل بقدرات القوات المسلحة الحقيقية بسبب بعد الأول عنْ مركز التخطيط الأعلى وبعد الثانى عن تطور القوات منذ استبعاده .

إلتقط السادات افكارهما وقرر الاستعانة بهما ، فعين الأول رئيسا للأركان العامة ، كما عين الثانى وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة فى ١٣ مايو ١٩٧١ .

ثانيا ــ موقف العدو الاسرائيلى فى سيناء

كانت الفكرة الاستراتيجية والتعبوية للدفاع الاسرائيلى فى سيناء تتبلور فى الآتى :

١ ــ تركيز المجهود الرئيسى فى اتجاه القناة مع تكثيف نشاط الاستطلاع والمخابرات لمتابعة حجم وأوضاع ونوايا القوات المسلحة المصرية .

٢ ــ فى الأحوال العادية تقوم القوات الاسرائيلية بتأمين الدفاع عن الضفة الشرقية لقناة السويس كمانع مائى بأقل قدر من القوات التى تقوم باحتلال نقاط قوية ترتكز على الاتجاهات الرئيسية والمناطق المحتملة لعبور القوات المصرية ، مع الاحتفاظ باحتياطيات محلية وتكتيكية وتعبوية تعمل فى مجموعات سرايا وكتائب والويه على اعماق مختلفة للقيام بالضربات المضادة ، واستعادة الموقف على الخط الأمامى ، أو لتهيئة الموقف للاحتياطيات التعبوية ضد عمليات رئيسية ، بالاضافة الى القيام بنشاط دوريات واجراءات تأمين عمق سيناء ضد النشاط الفدائى أو التسلل .

٣ ــ فى حالة اكتشاف نية قواتنا للهجوم تعمل القوات الاسرائيلية فورا على انتزاع المبادأة بتوجيه اعمال مضادة لاحباط استعدادات قواتنا للهجوم ، وفى الوقت نفسه تقوم برفع درجات الاستعداد والفتح التعبوى تمهيدا لتطوير عملياتها طبقا للموقف .
وتتم هذه العمليات فى تعاون وثيق مع نيران المدفعية المركزة ، وفى ظل تفوق جوى وتحت حماية من وسائل الدفاع الجوى الأرضية والجوية .

٤ ــ فى حالة التنسيق المشترك بين الدول العربية للقيام بعمل تعرض شامل . فان خطة الدفاع الإسرائيلى تقضى بتصفية الموقف على اكثر الجبهات تهديدا لأمن اسرائيل مع تثبيت الجبهات الأخرى على أن يتم نقل المجهود الرئيسى الى كل جبهة على التوالى ، لتحقيق مبدأ الحشد وتنفيذ إسلوبه القاضى بسرعة حسم الموقف عن طريق الحرب الخاطفة .

٥ ــ اما بالنسبة لجنوب سيناء (اتجاه عمل ثانوى) فيتم تأمينها بقوات محدودة تحتل النقط والمناطق الحيوية على ان تتم السيطرة على الفواصل بالدوريات والكمائن مع الاعتماد على اعمال الاسقاط والابرار البحرى والجوى لاستعادة الموقف فى المنطقة فى حالة نجاح القوات المصرية فى الاستيلاء على اجزاء من جنوب سيناء . على ان تركز اسرائيل مجهودها فى جنوب سيناء للدفاع عن منطقة شرم الشيخ اساسا .

٦ ــ كانت استراتيجية اسرائيل قبل عدوان ١٩٦٧ تلتزم بالعمل التعرضى وسرعة نقل المعركة خارج حدودها مستندة فى ذلك الى كفاءة قواتها الجوية ووحداتها المدرعة اللتين تكفلان لها تطبيق سياسة اليد الطويلة فى مسرح العمليات . ثم بنت اسرائيل خطة أمنها القومى بعد معركة ١٩٦٧ على اساس منع الدول العربية والمقاومة الفلسطينية من استعادة الأرض المحتلة لاستخدامها كعمق أمن لها حتى تيأس من جدوى استمرار الصراع وتطويع الارادة العربية ، فتحقق الغاية القومية الصهيونية بفرض شرعية الوجود الاسرائيلى فى فلسطين وتأمينه ، ورفع القيود على نموه ، مع استمرار تحقيق التوسع الاقليمى كلما سنحت الفرصة . ولتحقيق هذا الهدف تطلب الالتزام بضرورة الحفاظ على التفوق العسكرى على الدول العربية مجتمعة وخاصة قواتها الجوية . وكان فشل التضامن والتنسيق بين الجبهة الشرقية (الأردن) وبين الجبهة الشمالية (سوريا) عاملا مساعدا لاسرائيل لاقتصار جهدها على جبهتين فقط هما مصر وسوريا .

ولذا قامت اسرائيل بتجهيز خطوط دفاعية على اعماق مختلفة فى سيناء يستند اولها على المضايق (رمانة ــ أم مرجم ــ مضيق الجدى ــ ممر متلا ــ قلعة الجندى ــ مرتفعات سدر) . ويستند ثانيهما على شرق القناة مباشرة متمثلا فى تحصينات نقط قوية ــ خط بارليف .

كما قامت بتجهيز خط اخر بين الاثنين . ومع تصاعد الاشتباكات على طول الجبهة اثناء حرب الاستنزاف تحولت اسرائيل الى تهديد العمق المصرى. كما امتدت الجبهة الى خليج السويس وساحل البحر الأحمر بغرض تبثيط القوة العسكرية المصرية واضعاف جبهتها من جانب ، واقناع مصر بعدم قدرتها على مجاراة القدرات العسكرية الاسرائيلية من جانب اخر .

هدف خطة العمليات الاسرائيلية :

كان الهدف الأساسى لخطط اسرائيل الدفاعية هو منع القوات المصرية من عبور قناة السويس ، وتدمير هذه القوات فى المناطق الابتدائية ، واثناء العبور على الحد الامامى للدفاعات ، وذلك بالتمسك بالمواقع الدفاعية شرق القناة لأطول فترة ممكنة بأقل حجم من القوات ، وذلك لاعطاء الفرصة للتعبئة والحشد ودفع الاحتياطيات من العمق .

وضعت اسرائيل خططها للعمليات على الجبهة المصرية فى اكتشافها المسبق لنوايا القوات المصرية الهجومية ، وكذلك فى حالة عدم اكتشافها المسبق لهذه النوايا كما خططت للقيام بعمليات تعرضية تقوم بتنفيذها بمبادأة منها فى حالة ملاءمة الموقف الدولى .

وتأثر فكر القيادة الاسرائيلية فى تخطيطها للدفاع عن سيناء ببعض عوامل منها :

١ ــ وجود قوات مصرية ذات حجم كبير (جيشان ميدانيان غرب القناة) بصفة مستديمة وعلى اتصال بالقوات الاسرائيلية .

٢ ــ صغر حجم القوات البرية الاسرائيلية العاملة وصعوبة الاحتفاظ بنسبة كبيرة من الاحتياطى المعبأ .

٣ ــ العمل على الاحتفاظ بالتفوق الكبير فى القوات الجوية الاسرائيلية .
٤ ــ مدى قدرة ونشاط المخابرات الاسرائيلية فى مجال جمع المعلومات وقدرتها على منع المفاجأة .
٥ ــ العمق التعبوى الذى تحققه أرض سيناء .

وهى جميعها تهدف الى احتفاظ اسرائيل بقواتها فى سيناء والعمل على منع المصريين من عبور القناة تمهيدا لتحرير أرضهم بالقوة .

(والكروكى المرفق يبين خطة اسرائيل فى حالة قيام قواتنا بعملياتها الهجومية لتحرير سيناء ــ تقييم مارس ١٩٧١ ــ) مرفق رقم (٢) .

ثالثا ــ مراحل تخطيط عمليات اكتوبر

١ ــ كان عدم استناد خطط عمليات اكتوبر ١٩٧٣ الى قرار استراتيجى عسكرى يحدد الهدف من الحرب جعل المخططين يتلمسون الهدف من واقع ميول القيادة العليا ومن خلال المداولات والاجتماعات دون اصدار قرار محدد موثق بل وكانت هذه الميول الشخصية تتأرجح من وقت الى آخر .

٢ ــ يتضح من هذا التردد من تتابع الخطط والأفكار مع تغيير القيادات بداية بالأفكار المقترحة من الفريق الشاذلى والتى تهدف الى مجرد عبور القوات قناة السويس وإنشاء رؤوس كبارى ثم اتخاذ أوضاع الدفاع بعمق ١٠ ــ ١٢ كم شرق القناة وكانت الفكرة تمثل هدف الرئيس السادات . فى نفس الوقت الذى ظل فيه الفريق أول صادق محتفظا بفكر الرئيس عبد الناصر وتمسك بالخطة جرانيت مع بعض الاضافات لتكون الخطة جرانيت (٢) .

٣ ــ وكانت جولة الفكر الثانية بين الفريق الشاذلى والفريق أول احمد اسماعيل الذى وافق فيها على فكرة الفريق الشاذلى لتطابقها مع فكرته التى تضمنها تقريره وقت ان كان رئيسا للمخابرات العامة .

٤ ــ وكانت الجولة الأخيرة التى قرر فيها الفريق أول أحمد اسماعيل تطوير خطة الفريق الشاذلى كى تصل القوات الى المضايق الاستراتيجية ولكن على مرحلتين ــ لتكون الخطة جرانيت (٢) المعدلة .

٥ ــ خلال تبادل وجهات النظر فى عمليات الجبهتين معا فى توقيت واحد لم يوافق السوريون على الاشتراك فى العمليات المنسقة بين الجبهتين طالما كان هدف المصريين هو مجرد الوصول الى المضايق وتمسكوا لاشتراكهم فى العمليات الموحدة بأهداف الخطة ٢٠٠ السابق موافقتهم عليها عام ١٩٧٠ للوزير السابق محمد فوزى فى عهد الرئيس عبد الناصر والتى حددت الهدف النهائى للقوات المصرية الوصول الى الحدود الدولية وأن الاستيلاء على المضايق ما هو الا المرحلة الأولى للقوات المصرية .

وبناء عليه تم الاتفاق بين الجانبين على ان تكون المضايق الاستراتيجية الجبلية فى سيناء وقفة تعبوية للقوات وان يكون الهدف النهائى هو الوصول الى الحدود الدولية .

وقد كان واضحا لجميع القادة المصريين ان عدم اشتراك سوريا فى العمليات فى توقيت واحد سوف يخل بالمبدأ الأساسى السابق اقراره للدخول فى الحرب وهو ارغام اسرائيل على القتال فى جبهتين فى وقت واحد .

٦ ــ اما الخطة جرانيت (٢) المعدلة والتى تم توزيعها على القوات المصرية . فقد كانت تختلف فى أهدافها عن الخطة التى تم الاتفاق عليها مع القيادة السورية . وكانت تنقسم الى مرحلتين : المرحلة الأولى تتمثل فى العبور واتخاذ مواقع دفاعية شرق القناة بعمق ١٠ ــ ١٢ كم . والمرحلة الثانية الوصول بالقوات الى المضايق ان امكن حسب نمو وتطور امكانات القوات المسلحة .

٧ ــ وكان من رأى السوفييت الذين عاونونا فى تخطيط عمليات تحرير سيناء ان يكون هدف القوات المسلحة الابتدائى احتلال المضايق الجبلية وتأمينها وان مصر تملك الامكانات العسكرية الكفيلة بذلك .

رابعا ــ الخطة جرانيت (٢) المعدلة

حدد الرئيس السادات اهداف خطة حرب اكتوبر ١٩٧٣ من واقع اتجاهات الادارة الأمريكية التى كان يضع ثقته الكاملة فيها وفى قدرتها على تحقيق التسوية العادلة الشاملة مع اسرائيل .

وعلى ضوء هذه الاتجاهات وضع الرئيس السادات الهدف الاستراتيجى السياسى للمعركة على أنه « تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى » كما حدد الهدف الاستراتيجى العسكرى انه « إزالة الجمود العسكرى والعمل على تحرير الأرض على مراحل متتالية حسب نمو وتطور امكانات القوات المسلحة على ان يتم هذا العمل العسكرى منفردا بواسطة القوات المسلحة المصرية أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية » .

كما الزم الرئيس السادات القيادة العامة للقوات المسلحة بقيود سياسية تحدد شكل وحدود العمل العسكرى كالآتى :

١ ــ ان يكون العمل العسكرى محدودا لايتعدى تحرير شريط ضيق من الأرض شرق قناة السويس من اجل تحريك الموقف السياسى الجامد وليس من أجل تحرير الأرض الشاملة .

٢ ــ ان يكون العمل العسكرى محدودا وقاصراً على محور قناة السويس ــ سيناء ــ حتى لاتتطور العمليات العسكرية الى حرب شاملة .

٣ ــ ان يكون العمل العسكرى محدودا فى مدى وعمق الاشتباكات البرية أو الجوية أو البحرية كذا فى اتساع المواجهة بشرط التزام اسرائيل بالمثل .

وعلى ذلك أصبح من الصعب على جهاز التخطيط العسكرى ان يكيف العمل العسكرى (معركة عسكرية) مهما كان شكلها كى تتمشى مع أهداف واتجاهات الرئيس السادات دون ان يخل بالمبادىء والأسس والقواعد التى تبنى عليها أى خطة عسكرية فى العالم .

تكشفت اتجاهات السادات مع الادارة الأمريكية فى شأن المعركة عندما ارسل الرئيس السادات

رسالة الى كسينجر ظهر يوم ١٩٧٣/١٩/٧ عن طريق المخابرات الأمريكية يذكر فيها « اننا لاننوى(*) تعميق القتال أو توسيع المواجهة العسكرية » ويعلق عليها كيسنجر بأن مصر لاتنوى المضى فى العمليات الهجومية ضد اسرائيل بما يتجاوز شريط الأرض الضيق الذى استولت عليه القوات المصرية حتى يوم ٧ أكتوبر . ثم قام كيسنجر باخطار اسرائيل بهذه المعلومات الخطيرة عن نية واتجاهات مصر فى الحرب فى الوقت الذى كانت فيه القيادة الاسرائيلية فى حالة ارتباك شديد وتبذل الجهد للتعرف على محاور الهجوم المصرى إلا أن السادات رغبة منه فى تفادى الحرب الشاملة رأى أن نتنازل عن اكبر ميزة تحصلت عليها القوات المصرية المهاجمة فى الحرب وقدمها طواعيه الى اسرائيل لتصبح المبادرة فى يدها بعد يوم واحد فقط من بدء القتال .

والقى الرئيس السادات تبعية هذه القيود على أفكار وتقارير ومزاعم كل من الفريق سعد الدين الشاذلى والفريق أول أحمد اسماعيل بانامكانات القوات المسلحة لاتمكنها من الوصول الى المضايق وان قدرات شبكة الدفاع الجوى لاتمكنها من تغطية القوات حتى المضايق .

وعند بناء خطة العمليات فضل القائد العام اظهار الشكل العام للخطة العسكرية ان تكون سليمة من الناحية الشكلية وان يكون هدفها النهائى الشكلى المضايق فى سيناء اما التطبيق العمل لها فيكون ملتزما بالقيود التى وضعها السادات على المعركة الحقيقية .

جاء تنفيذ الخطة جرانيت ٢ ــ المعدلة والتى اطلق عليها اسم « بدر » قبل بدء العمليات بأيام بحيث تنفذ على مرحلتين :

المرحلة الأولى : وشملت المهمة المباشرة للقوات المسلحة وهى :

تقوم القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات السورية بعمليات هجومية تهدف الى هزيمة العدو وتدمير خط برليف وذلك باقتحام معبر قناة السويس وانشاء رؤوس كبارى جيوش بعمق ١٠ ــ ١٢ كم على الضفة الشرقية للقناة .

واطلق على هذه المهمة المباشرة ، معركة العبور . وهى المعركة المحدودة المطلوبة فى توجيهات الرئيس السادات الرسمية (التوجيهات الاستراتيجية السياسية والعسكرية) كذا فى تصريحاته العلنية للقادة والجنود وانها التزمت بالقيود التى وضعها الرئيس السادات .

اما المرحلة الثانية : وشملت المهمة التالية للقوات المسلحة فهى :

بعد نجاح القوات المسلحة فى معركة العبور وبعد وقفة تعبوية تكون القوات المسلحة مستعدة لتطوير الهجوم من خلال رؤوس الكبارى لتدمير التجميع الرئيسى لقوات العدو والاستيلاء على الخط العام المحدد بالهيئات ــ مضيق سدر ــ قلعة الجندى ــ مضيق الجدى ــ جبل ام خشيب جبل ام مرجم ــ مصفق (وهو المعروف بخط المضايق الاستراتيجية) وتعزيزه ثم التحول للدفاع عن ان تكون هى المهمة

(*) امريكا والعرب لمحمود رياض ص ١٦٠ امن مصر القومى لحافظ اسماعيل ص ٣١٨

النهائية للقوات المسلحة .

هذه المرحلة والمهمة التى شملتها هى التى أضفت الصفة الوهمية لخطة العمليات جرانيت (٢) المعدلة بسبب :

١ ــ أنها خارجة عن حدود القيود التى وضعها الرئيس السادات للمعركة .

٢ ــ لم يخصص لهذه المرحلة قوات احتياطية يمكنها تحقيق الهدف النهائى (المضايق) بعد ان استنفد القائد العام معظم قواته لتحقيق المهمة المباشرة فى المرحلة الأولى .

وكان التزام الفريق اول احمد اسماعيل للسوريين الذين اصروا على تنفيذ التخطيط العسكرى للجبهتين على اساس تحرير الأرض المغتصبة كاملة تطبيقا لاستراتيجية المواجهة المقررة فى مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ هى التى اجبرت القائد العام ان يضيف هذه المرحلة (الوصول الى المضايق) الى خطة عمليات حرب اكتوبر ١٩٧٣ تجاوبا مع رغبة السوريين حتى يلتزموا بالاشتراك مع الجبهة المصرية فى توقيت واحد وأصبحت هذه المرحلة فى نظر المصريين مرحلة وهمية .

خامسا ــ خطوات بناء خطة العمليات

وزع القائد العام مهام العمليات الرئيسية على قادة الأفرع الرئيسية وعلى قادة الجيوش الميدانية وقادة المناطق العسكرية ورؤساء الهيئات ومديرى الادارات التخصصية والفنية والادارية وقائد القوات الخاصة وطلب منهم عرض قراراتهم .

اقترح قادة الفرق المشاة الواقع عليهم الجهد الأساسى فى معركة العبور امكانية انشاء رؤوس كبارى فرقهم بعبور لواء واحد فقط واستكمال رأس الكوبرى على الشاطئين بوجود لواءين غرب القناة وفى هذه الحالة تكون قيادات الفرق مع الغالبية أى لاتعبر القناة . وكان التخوف من عبور القناة والخسائر المحتملة فى عملية العبور مسيطرا على اغلب القادة فى ذلك الوقت كذا عدم ثقتهم فى استمرارية القتال مع اسرائيل .

رفض القائد العام هذا الاقتراح ولكنه اضطر تحت ضغط من قادة الفرق كذا من اجل ترضيتهم وتشجيعهم ان يلجأ الى دعم كل فرقة بلواء مدرع انتزعه القائد العام من قوات النسق الثانى التعبوى للقوات المسلحة . واعتبر هذا القرار العاطفى الخاطىء اول خطأ جسيم يقع فيه الفريق أول أحمد اسماعيل خاصة وان كل فرقة مشاة تضم فى تنظيمها وتسلحها ١٢٠ دبابة .

وكان تركيز قادة الفرق المشاه على اقتراحهم ان عبء العمليات كلها متوقف على نجاح الفرق الخمس المشاه فى تحقيق مهامها النهائية وهو الهدف العسكرى الذى يريده السادات وعبر عنه فى المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ٣ يونيو ١٩٧١ « انكم مطالبون بالعمل فى حدود الامكانات المتاحة لكم . لو انكم عبرتم القناة واحتلتم عشرة سم فقط شرق القناة فان ذلك سوف يغير الموقف السياسى دوليا وعربيا » .

وتمشيا مع رأى السادات قامت هيئة عمليات القوات المسلحة المختصة باعداد الخطط بالتركيز التام على المرحلة الأولى للخطة وهى عبور القوات وانشاء رؤوس كبارى واتخاذ مواقع دفاعية شرق القناة مع ذكر تفصيلات خطوات ومراحل عملية العبور بدقة متناهية كما حشدت غالبية القوات المسلحة فى النسق الأول المكلف بالعبور على حساب قدرات وفاعلية الاحتياطى التعبوى واحتياطى القيادة العامة المكلف باتزان وامن القوات المسلحة فى الميدان .

نتج عن ذلك ان اصبح تجميع قوات النسق الأول مكونا من ٣٠ لواء مشاة وميكانيكى ومدرع بينما اصبح الاحتياطى مكونا من ٥ لواءات مدرعة وميكانيكية اى سدس القوات المهاجمة بينما تقتضى قواعد الحرب الا يقل الاحتياطى عن ثلث القوة المهاجمة . وتسبب فى هذا الخلل القرار الخاطىء للقائد العام بانتزاع ٥ لواءات مدرعة من الاحتياطيات والحاقهم بفرق النسق الأول .

استكملت هيئة عمليات القوات المسلحة تخطيط المرحلة الثانية لخطة جرانيت (٢) المعدلة والتى حدد هدفها القائد العام ـــ وصول القوات المسلحة المصرية الى خط المضايق وتعزيزه وربط تنفيذ مهام هذه المرحلة بعد اتمام وقفه تعبوية لقوات العبور بعد نجاحها ولم يحدد مدة هذه الوقفه كما ربط تنفيذ مهام هذه المرحلة على قدرة ونمو وتطور العمليات الحربية على جبهة قناة السويس الجولان .

واضطرت هيئة عمليات القوات المسلحة ان تشرك قوات النسق الثانى التعبوى مع القوات التى نجحت فى العبور لتنفيذ مهام المرحلة الثانية بتطوير الهجوم من خلال رؤوس الكبارى لتدمير التجميع الرئيسى لقوات العدو والاستيلاء على الخط العام ـــ مضيق سدر ـــ قلعة الجندى ـــ مضيق متلا ـــ مضيق الجدى ـــ جبل ام خشيب ـــ جبل ام مرجم ـــ مصفق وهى منطقة المضايق وتعزيزها ، ووزعت هيئة العمليات مهام هذه المرحلة كالآتى :

الجيش الثانى الميدانى

اتجاه الضربة الرئيسية ـــ المحور الأوسط

يمين ـــ جنوب الطريق الأوسط ـــ فرقة ٢١ مدرعة وفرقة ١٦ مشاه عدا لواء .

الواجب ـــ تطوير الهجوم تجاه المحور الأوسط حتى جفجافه شرق المضايق

يسار ـــ شمال الطريق الأوسط ـــ فرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى والفرقة ٢ مشاه عدا لواء

الواجب ـــ تطوير الهجوم تجاه المحور الأوسط حتى الخاتمه ـــ ام مرجم شرق المضايق

محور فرعى ـــ القنطرة ـــ رمانة ـــ الفرقة ١٨ مشاه لواء ١٥ مدرع مستقل

الواجب ـــ تطوير الهجوم تجاه رمانة ـــ مصفق

عقب نجاح عمليات تطوير الهجوم تقوم قوات الجيش الثانى بتعزيز الدفاع عن الأرض المكتسبة من جفجفافه داخل حتى مصفق داخل بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى والقوات البحرية والقوات الجوية .

الجيش الثالث الميدانى

اتجاه الضربة الرئيسية ـــ مضايق متلا والجدى

يمين ـــ اتجاه متلا ـــ الفرقة ١٩ مشاه والفرقة ٤ مدرعة عدا لواء ميكانيكى

الواجب ـــ تطوير الهجوم تجاه متلا الاستيلاء على سدر الحيطان شرق المضايق

يسار ـــ اتجاه الجدى ـــ الفرقة ٧ مشاه ولواء ٢٥ مدرع

الواجب تطوير الهجوم تجاه ممر الجدى والاستيلاء على وادى المليز

فرعى ـــ اتجاه الشط ـــ قلعة الجندى ـــ الفرقة ٦ مشاه ميكانيكى

الواجب ـــ اتجاه ممر سدر والاستيلاء على قلعة الجندى

عقب نجاح عمليات تطوير الهجوم تقوم قوات الجيش الثالث بتعزيز الدفاع عن الأرض المكتسبة من قلعة الجندى (ممر سدر) ، داخل حتى وادى المليز ، داخل مع التركيز على ممرى متلا والجدى .

سادسا ـــ تشكك الجانب السورى

تشكك الجانب السورى ـــ شريك المعركة ـــ فى جدية الخطة من اساسها من واقع المساومات منذ البداية على أهداف خطة الحرب من الجانب المصرى والتى تمثلت فى الرغبة المصرية الأولى لاقتصار هدف هذه العمليات على مرحلة الوصول الى المضايق الاستراتيجية فى سيناء وموافقته بعد ذلك على ضوء إصرار الجانب السورى على تحديد هدف الحرب للوصول الى الحدود الدولية أى التحرير الشامل لسيناء وكان للجانب السورى مبرراته المنطقية من حيث توافق هدف الحرب مع الاستراتيجية العليا للأمة العربية المقررة فى مؤتمر القمة العربى بالخرطوم فضلا عن توازى خطتى العمليات على كلتا الجبهتين السورية والمصرية حيث ان التخطيط المسبق لهذه العمليات بالنسبة لسوريا يقضى بتحرير الجولان فى مرحلة واحدة تصل فيها قواته الى خط نهر الأردن وشاطىء بحيرة طبرية وكانت القيادة السورية ترى ان عبور القوات المصرية للقناة والتوقف عن التحرك شرقا سوف يلقى على الجبهة فى الجولان عبء وثقل المجهود الرئيسى لاسرائيل مما يفوق طاقة القوات السورية . وعلى ذلك أصبح هناك خطتان : الأولى أخطرت بها سوريا وتقضى بالتوقف عند المضايق كمرحلة اولى يتبعها مرحلة التحرك نحو الحدود ، والثانية هى التى تم تنفيذها بناء على توجيه الرئيس السادات وهى توقف القوات المسلحة فور عبور القناة .

ولعل الهدف الرئيسى من اتمام عملية تنظيم التعاون التى تمت فى ١٩٧٣/٧/٦ هو الايهام على غير الحقيقية امام القادة بما فيهم السوريون اساسا ، وبوضوح لايدعو الى الشك ان الهدف المرحلى الأول للحرب هو الوصول الى المضايق من سيناء ودون الافصاح عن الوقفة التعبوية المقرره فى الخطة المصرية قبل الوصول الى هذه المضايق . ومن هنا كانت القيادة السورية على حق فى تساؤلها للجانب المصرى عن اسباب توقف القوات المسلحة بعد نجاحها فى عملية العبور ، وعدم التقدم الى المضايق طبقا للخطة .

سابعا ــ مآخذ التخطيط العسكرى للعمليات الرئيسية

١ ــ ضياع فرصة استغلال العمليات العسكرية على الجبهتين فى وقت واحد . مخطط عمليات الجبهة المصرية كان يدرك منذ البداية ان الجبهة السورية هى الأخطر بالنسبة لاسرائيل وان الجهد الرئيسى سوف يوجه اليها لمنع تهديد مستعمراتها الشمالية فى الجليل الأعلى ، وان صحراء سيناء التى تسيطر عليها القوات الاسرائيلية تشكل صمام أمن عظيم لاسرائيل بالنسبة لأى احتمالات تقدم مصرى مفاجىء فى اتجاه الحدود .

وقد استغل السادات اقتناع السوريين بضرورة اشتراكهم فى العمليات إلى جانبنا لتحقيق أحد المبادىء الأساسية لهذه الحرب ــ أى دفع اسرائيل للقتال على جبهتين وفى وقت واحد . فتعمد التمويه على الجانب السورى بالموافقة على ان يكون هدف القوات المسلحة هو التحرير الشامل لسيناء على ان يتم ذلك على مرحلتين بينهما وقفة تعبوية تهدف الأولى الوصول الى المضايق ، وتهدف الثانية الوصول الى الحدود الشرقية لمصر . وقد وافق الجانب السورى على ذلك مشترطا تقصير فترة الوقفة التعبوية لأقل مدى .

٢ ــ بدأ الشك السورى فى جدية اهدافه الخطة على الجبهة المصرية من واقع توزيع المهام وتنظيم التعاون لخطط العمليات الذى تم فى مقر القيادة العامة فى ١٩٧٣/٦/٧ . والتى حضرها القائد العام الفريق أول أحمد اسماعيل والفريق الشاذلى رئيس الأركان وقادة الجيوش ورؤساء وافرع القوات المسلحة ــ الجوية ــ البحرية ــ الدفاع الجوى والوحدات الخاصة ومجموعة عمليات القوات السورية وكان سبب التشكك ناتجا من متابعة احداث مجرى عمليات الجيوش الميدانية فى تعاونها مع القوات المجاوره ومتابعتهم للتفصيلات الدقيقة فى عملية العبور وملاحظتهم ان القادة عند شرحهم للعملية التالية الخاصة بتطوير الهجوم شرقا الى المضايق بعد نجاحهم فى انشاء رؤوس الكبارى يذكرون خطوات تنفيذ عملياتهم بشكل عام دون الوصول فى التفصيلات ، وفى مناسبة أخرى يصدر من القائد العام اشارة للاكتفاء بالشرح الذى قام به قائد التشكيل عن عملية العبور وانشاء رؤوس الكبارى فقط ، ثم يدعو قائد التشكيل التالى لشرح عملياته . بمعنى ان التركيز والتدقيق فى مرحلة الوصول الى المضايق لم يكونا واضحين لدى جميع القادة الذين حضروا تنظيم التعاون بما فيهم القادة السوريون . وقد كان ذلك امرا طبيعيا لمطابقته مع ما اوضحه الفريق الشاذلى فى مذكراته من ان الخطة جرانيت (٢) المعدلة « بدر » تم اعدادها طبقا لرغبة الرئيس السادات ، هى خطة وهمية وهى تهدف نظريا الوصول الى المضايق وقسمت الى مرحلتين يفصل بينهما وقفة تعبوية كان يتعمد تعميق الفاصل بينهما عند الشرح للقادة المصريين وذلك لمجرد الانتقال من شرح المرحلة الأولى وهى العبور الى المرحلة الثانية وهى المضايق . وكان القائد العام يتعمد القول وبعد وقفة تعبوية نقوم بالتطوير الى كذا وكذا .

وكان التفوق الساحق فى كل الأسلحة البرية المصرية فى عملياتها الهجومية عبر قناة السويس فى

سيناء كافيا دون ادنى شك فى التغلب على القوات الاسرائيلية المتمركزة شرق القناة بعمليات قوية وخاطفة تعتمد على عامل الزمن المتاح فى صالحها ، طالما ان الجهد الرئيسى للقوات الاسرائيلية موجه الى جبهة الجولان ولمدة تزيد على أربعة أيام وكان حشد القوات المصرية المكونة من خمس فرق مشاه يدعمها ٥ لواءات مدرعة واكثر من ١٠٠٠ دبابة و٢١٠٠ مدفع ميدانى و٣ مجموعات صاعقة وشبكة دفاع جوى متطورة ومرنة وقوة جوية تكتيكية لها التفوق المحلى بالتعاون مع شبكة الدفاع الجوى ووسائل عبور متنوعة الأحمال متوفرة لعبور هذا الحجم من القوات فى ساعات .

هذا الحشد من حيث الكثافة والقوة يمكنه بسهولة عبور القناة ويتقدم مباشرة الى المضايق الاستراتيجية فى سيناء ويأمنها قبل ان تستطيع القوات الاسرائيلية التقاط انفاسها للتدخل واجهاض هذه العملية القوية الخاطفة خاصة وان مقارنة القوات او اعتبار جبهة قناة السويس جبهة ثانوية من وجهة نظر القيادة الاسرائيلية خلال الأربعة أو الخمسة أيام الأولى للقتال لاتدع مجالا لأى شك بحتمية وصول القوات المصرية الى المضايق خلال ثلاثة أيام ، اذا كان التخطيط للعمليات على جبهة قناة السويس قد تم اعداده لتحقيق هذا الهدف .

وفى تقديرى انه اذا تم ذلك تكون المعركة قد تحددت بالنسبة لاسرائيل خاصة بعد نجاح القوات المصرية فى تثبيت اقدامها فى المضايق وقيام التشكيلات المعاونة خاصة الدفاع الجوى والقوات الجوية والقوات البحرية تأمين سلامة المواقع الجديدة . ولم تكن اسرائيل قادرة على الاحتفاظ بانتشار قواتها شرق المضايق مدة طويلة . اذ ان موقفها سيكون ضعيفا ، كما انها لم تعتد ان تقبل معركة دفاعية لمدة طويلة من الزمن وتكون فى موقف ضعيف عسكريا .

وهذا التخطيط من الناحية الزمنية يعتبر مقبولا لايقاع العمليات على الجبهتين . اذ ان اسرائيل لم تتمكن من الاستعداد للهجوم المضاد على الجبهة المصرية قبل يوم ١٠ اكتوبر ، اى بعد ٤ أيام من بدء العمليات ، وهى المدة الزمنية التى تستغرقها القوات المصرية فى الوصول الى المضايق الاستراتيجية وتأمينها كما ذكرت .

وقد ثبت من وقائع معركة العبور ان هجمات العدو المضادة التى قام بها ضد الجبهة المصرية شرق القناة أيام ٧ و ٨ و٩ أكتوبر كانت لاغراض تثبيت القوات المصرية فى أماكنها التى اكتسبتها فقط ، لحين وصول التعزيزات المناسبة للقيام بضربة مضادة قوية بغرض اختراق الدفاعات المصرية والعمل خلف الخطوط كعادة اسرائيل .

ثامنا ــ التخطيط لعمليات الوحدات الخاصة

عند تخطيط عمليات قتال الوحدات الخاصة (مظلات ــ صاعقة ــ اقتحام جو) استمر جهاز التخطيط فى تخصيص مهام تقليدية للوحدات الخاصة على اساس ان الهدف النهائى لعمليات حرب اكتوبر هو الوصول الى المضايق . فقام بتخصيص مهام لوحدات كبيرة من الصاعقة شرق

المضايق بهدف منع وتعطيل تشكيلات العدو الاحتياطية ، الانتقال من النطاق التعبوى فى سيناء الى مسرح العمليات غرب المضايق التى وضعها كهدف نهائى للقوات بغرض حثهم على التقدم للوصول الى الهدف المباشر فقط (١٠ ــ ١٢ كم شرق القناة) ، وانه لاينوى الوصول أو الاستيلاء على المضايق . وعلى ذلك تكون المهام التى كلفت بها وحدات الصاعقة شرق المضايق مهام انتحارية ، اذ ان القاعدة المعروفة لدى جيوش العالم كلها ان المهام التى تكلفت بها وحدات كبيرة من القوات الخاصة لايجب ان تستغرق اكثر من ٧٢ ساعة بأى حال من الأحوال وتصلها القوات الرئيسية .

كما ان تخصيص مجموعات سرايا صاعقة تنقل جوا بطائرات هليكوبتر يومى ٦ ، ٨ اكتوبر ١٩٧٣ من منطقة البحر الأحمر العسكرية الى منطقة ابورديس على الشاطىء الشرقى بهدف معاونة قوة اللواء الأول المشاه الميكانيكى الذى بدأ عملياته يوم ١٠/٩ من شرق مدينة السويس ويتجه بعملياته جنوبا إلى رأس سدر ثم الى منطقة ابورديس التى تبعد حوالى ١٥٠ كم وتحت سيطرة جوية كاملة من العدو يعتبر تخطيطا غير سليم اذ ان المنطق يحتم دفع سرايا الصاعقة عند وصول اللواء الى هدفه فى أبو رديس وليس قبل وصوله بثلاثة أيام وكانت النتيجة هى فقد كل افراد الصاعقة التى انزلت جوا على الشاطىء الآخر لخليج السويس فى منطقة أبو رديس حيث فشل اللواء الأول فى الوصول اليه كلية .

ثامنا ــ دراسة مقارنة بين خطة عمليات أكتوبر ١٩٧٣ وفكرة للخطة جرانيت عام ٧١/٧٠

إن مجرد اطلاق الاسم جرانيت وتصنيفه برقم (٢) المعدل يعنى فى حد ذاته انه تطوير للخطة جرانيت المرحلة الأولى من الخطة ٢٠٠ الدفاعية السابق اعدادها عام ١٩٧٠ فى عهد الرئيس عبد الناصر كمرحلة أولى تصل فيها القوات الى المضايق وتأمنها تمهيدا للمرحلة الثانية التى تهدف وصول القوات الى الحدود الدولية .

يعنى ذلك ضمنا ان اسس واهداف كل من الخطة جرانيت وجرانيت (٢) والخطة جرانيت (٢) المعدلة كتطوير لها واحدة وكان مبدأ تطوير خطط العمليات الحربية امرا مقررا منذ عام ١٩٦٨ طبقا لتغيرات القدرات العسكرية لكل من الطرفين المتحاربين .

ــ فاذا وصفت الخطة جرانيت (٢) المعدلة بأنها خطة هجومية فان ذلك يعنى منطقيا وصف الخطة الأصلية بنفس الوصف .

ــ ولعل التمسك بهذا المسمى ــ دفاعية ــ الذى اطلق على خطط عام ١٩٧٠ يرجع الى محاولة معدى خطط حرب اكتوبر ١٩٧٣ إيهام قواتنا المسلحة بثبات هدف العمليات الحربية ، الا وهو تحرير الأرض المغتصبة طبقا لنفس المفاهيم السابقة لاستمرار بقاء القوة الدافعة الوطنية لخوض الحرب . ولعل حرب التحرير الدفاعية السوفيتية فى الحرب العالمية الثانية خير مثل على ذلك حيث بدأت القوات السوفيتية من موقع دفاعى متحرك من لينينجراد على خليج فنلندا فى الشمال حتى روستوف اودون على بحر أزوف فى الجنوب بهجمات مضادة استرجعت وحررت أراضيها المغتصبة من الغزو النازى بعمليات هجومية مضادة كاسحة ضمن الخطة الدفاعية نجحت من خلالها فى تحرير كل اراضيها ثم اعدت القوات السوفيتية خطة

هجومية بعد ذلك تمكنت بواسطتها من الوصول الى قلب ألمانيا نفسها .

ومن الناحية الواقعية سوف يتبين عند المقارنة بين اهداف الخطتين ان جرانيت (٢) المعدلة انتهت الى كونها مجرد خطة دفاعية. اما الخطة جرانيت فقد كانت المرحلة الأولى لخطة هجومية شاملة (الخطة ٢٠٠) من اجل تحرير سيناء بكاملها . ويتضح ذلك من المقارنة التالية :

١ ــ ان فكرة الخطة جرانيت كانت تمثل مرحلة أولى لخطة التحرير الشاملة ٢٠٠ وكان هدفها الوصول الى منطقة المضايق وتأمينها والارتكاز عليها كمنطقة دفاعية طبيعية منيعة تمهيدا للانطلاق منها لتنفيذ المرحلة الثانية من خطة التحرير الشاملة للوصول الى الحدود الدولية بمعنى تحرير سيناء كاملة على مرحلتين .

٢ ــ ان خطة جرانيت (٢) المعدلة قد اعدت على أساس الوصول الى المضايق على مرحلتين : الأولى قابلة للتنفيذ ، أما المرحلة الثانية فلم يكن مقررا تنفيذها فعلا .

أى ان الخطة جرانيت (٢) المعدلة لم تهدف فى حقيقتها الوصول الى المضايق اصلا بقدر ماكان هدفها التمويه على الجانب السورى للحصول على موافقته على مشاركتنا فى هذه الحرب ، وكان ذلك هو الاختلاف الأول .

٣ ــ اسلوب تحقيق الوصول الى المضايق فى الخطة جرانيت يتم على مرحلة واحدة عقب عبور القوات قناة السويس مباشرة .

أما خطة جرانيت (٢) المعدلة فيتم الوصول الى المضايق على مرحلتين تتوقف قوات العبور فى المرحلة الأولى عند خط يتسم بالخطورة لوجوده فى أرض صحراوية مكشوفه ، وكان ذلك هو الاختلاف الثانى .

٤ ــ افتقار خطة جرانيت (٢) للمعلومات التعبوية والاستراتيجية عن قوى وأوضاع العدو لعدم وجود وسائل الاستطلاع التعبوية والاستراتيجية .

اما الخطة جرانيت فقد اعتمدت على توفر هذا العنصر لوجود سرب الميج ٢٥ × ٥٠٠ ولواء للاستطلاع الاستراتيجى الجوى وكلاهما سوفيتيان ويدعمان القوات المصرية بالمعلومات التعبوية والاستراتيجية حسب طلبها . وقد تم ممارسة هذا الواجب فى المشروع التدريبى الاستراتيجى الذى تم لقيادة القوات المسلحة وافرعها الرئيسية وتشكيلاتها الميدانية فى مارس ١٩٧١ حيث قدمت ادارة المخابرات الحربية والاستطلاع نموذجا جيدا لقدرتها على عرض موقف العدو وقواته وقدراته واحتمالات تصرفاته ازاء نجاح قواتنا فى عملياتها الهجومية لتحرير سيناء تطبيقا لأسس الخطة جرانيت .

اعتمد هذا التقرير على تقديرات سليمة عن قوى العدو وتصرفاته بسبب الدراسة المتأنية لادارة المخابرات والاستطلاع والمعتمدة على تقارير الاستطلاع التعبوية والاستراتيجية التى كانت تصب فى هذا الجهاز من وسائل الاستطلاع المختلفة ، ومن الاستماع والتداخل على اجهزة العدو فى مسرح عمليات سيناء ، وكل هذه الوسائل استغنى عنها الرئيس السادات عندما قرر الاستغناء عن المستشارين

والوحدات السوفيتية فى يوليو ١٩٧٢ ، فقدت القيادة العامة للقوات المسلحة افضل وسائل الاستطلاع التعبوى والاستراتيجى التى كانت توفرها لنا الوحدات السوفيتية . واضطرت القيادة العامة ان تعمل فى ظل نقص شديد فى المعلومات منذ ذلك الوقت . وكانت هذه السلبية فى قدرات قواتنا المسلحة احد النواقص التى اثرت على ادارة عمليات اكتوبر ١٩٧٣ .

٥ ــ اعتمدت خطة تحرير الأرض الشاملة ــ الخطة ٢٠٠ ومرحلتها الأولى جرانيت على حائط الصواريخ كأساس تعتمد عليه القوات فى عبور قناة السويس ، وفى تقدمها شرقا حتى تصل الى الهدف النهائى ، وذلك باجراء نقلات متتالية لأنساق شبكة الدفاع الجوى حسب معدل تصل القوات شرقا . هذه الأنساق تتعاون مع بعضها البعض ومع التكتل الموجود غرب القناة ومع اسراب المقاتلات الميج ٢١ المكملة لقدرة الدفاع الجوى . وبذا تتم حماية القوات فى تحركها او فى تمركزها فى خطوط ومناطق عملياتها فى سيناء .

اما الخطة جرانيت (٢) المعدلة فقد اجهضها القائد العام باعتقاده الخاطىء ان شبكة الدفاع الجوى غرب القناة لايمكنها تغطية التجمع البشرى للقوات عند وصوله الى المضايق ، وان معداتها ثابتة لايمكنها التحرك مع القوات البرية عند تقدمها شرقا . واعتقد ان القائد العام تعمد نشر المعلومات الخاطئة عن قدرة وحدات الصواريخ سام حتى يمكنه تنفيذ رأى الرئيس السادات القاصر على جعل المعركة محدودة ومقيدة بعبور القناة والتمركز شرقها فقط .

وان ماحدث يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ فى اظهار قدرة كتائب الصواريخ التسعة التى عبرت القناة وتمركزت شرقها وكانت جاهزة للاشتباك وتغطية عمليات تطوير الهجوم صباح يوم ١٩٧٣/١٠/١٤، يعتبر مثلا عمليا يثبت قدرة الصواريخ على التحرك والاشتباك ، متعاونة مع قوات الجيشين الثانى والثالث فى تقدمها شرقا الى المضايق .
يمكن القول أخيرا ان خطة حرب اكتوبر ١٩٧٣ وهى الخطة جرانيت (٢) المعدلة كانت تشمل فى اساسها أسلوب الحرب الدفاعية الثابتة لاتهدف الى الاندفاع والتقدم تتلقى فى مواقعها الثابتة ضربات العدو وهجماته المضادة ، الى ان نجح العدو ليلة ١٦/١٥ اكتوبر ١٩٧٣ فى إحداث ثغرة الدفرسوار التى أدت فى النهاية الى حصار الجيش الثالث ومدينة السويس ، واجبرت الرئيس السادات على طلب وقف اطلاق النيران .

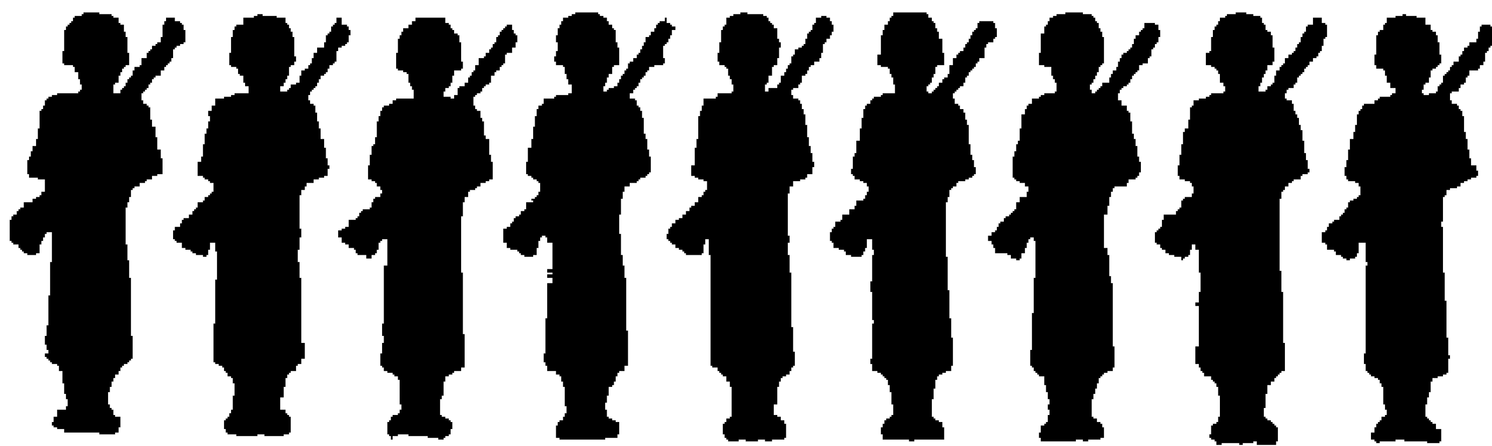
بينما كانت الخطة ٢٠٠ ومرحلتها الأولى جرانيت تمثل اسلوب الدفاع المتحرك من واقع استمرارية التقدم على مراحل متصلة تنتهى أولاها الى منطقة المضايق ، حيث تنطلق قوات المرحلة الثانية الى الهدف النهائى للقوات المسلحة ، وهو منطقة الحدود الدولية .

ان هبوط مستوى التخطيط العسكرى لخطة عمليات اكتوبر ١٩٧٣ يرجع الى عدم وضوح الرؤية

لجهاز التخطيط الذى واجه الهدف السياسى الغامض الذى حدده الرئيس السادات للقيام بعمل عسكرى محدد « تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى » والقيود السياسية والعسكرية التى وضعها الرئيس السادات لتقليل شكل وحجم المعركة . كما ان الهدف العسكرى لخطة العمليات الذى حدده القائد العام « خط المضايق » لايستند الى أى شرعية فى توجيهات الرئيس السادات للقادة والجنود عن معركة تحريك قضية الصراع العربى الاسرائيلى .

الفصـــــل الثالـــــث

قــرار معـــارك أكتوبـــــر ١٩٧٣



الاستراتيجية العليا

فور انتهاء معركة يونيو ١٩٦٧ عقد مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم أغسطس ١٩٦٧ ، وصدرت عنه توصيات تحدد السياسة العليا للأمة العربية ازاء اسرائيل ، والتى تعرف فنيا بالاستراتيجية العليا للأمة العربية متمثلة فى الآتى :

١ ــ ازالة آثار العدوان عام ١٩٦٧ .
٢ ــ اعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين وانشاء دولة له على أرضه .
٣ ــ اتخاذ اسلوب الحل السياسى للتفاوض غير المباشر كوسيلة لامتصاص الرأى العام العالمى لحين استكمال المقومات الأساسية لمعركة تحرير الأرض المغتصبة بالقوة .

وبذا كان قرار الأمة العربية فى الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ قد حدد الاستراتيجية العليا لدول المواجهة مع اسرائيل كما حدد الهدف النهائى للحرب .

وحدد نوعية الحرب بأنها شاملة وهدفها النهائى السياسى استخلاص الحقوق كاملة للعرب وللفلسطينيين . كما حدد القرار مراحل هذه الاستراتيجية . بدأ بمرحلة المحاولة السياسية لتصفية العدوان وفى حالة الفشل خوض الحرب الشاملة من أجل انهاء العدوان وبذا تحققت أول حلقة من حلقات القرارات السياسية للدولة . كما شملت أهم عناصر التخطيط الاستراتيجى وهو حشد وتنمية وتنسيق وتوجيه الامكانيات الذاتية للدولة بدعم من الدول العربية ذات الهدف الاستراتيجى الموحد .

الاستراتيجية العسكرية

١ ــ على المستوى السياسى / العسكرى صدر توجيه القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس عبد الناصر الى القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول محمد فوزى يوم ١٩٦٧/٦/١١ شمل المراحل التالية :

المرحلة الأولى :

ــ ازالة آثار العدوان ــ طبقا لقرارات مؤتمر القمة العربى بالخرطوم . العمل على قهر الارادة الاسرائيلية بالقوة واجبارها على التخلى عن موقفها المتعنت تجاه الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والوصول بالقوات الى خط الحدود المصرية الفلسطينية وتأمينها على أن يتم ذلك خلال ٣ ــ ٤ سنوات على الأكثر .

المرحلة الثانية :

ــ استغلال هذا النجاح سياسيا لاسترداد حقوق الشعب الفلسطيني والعمل على اقامة دولته المستقلة على أرضه وذلك بالتعاون مع الدول العربية الأخرى .

٢ ــ اعداد الدولة للحرب

صدر القانون رقم ١٩٦٨/٤ ينظم أسلوب الدفاع عن الدولة والقيادة والسيطرة على القوات المسلحة وتحديد مسئوليات واختصاصات اجهزة الدولة فى خدمة اعداد الدولة والشعب ومسرح العمليات للحرب وهو أمر حتمّته الاستراتيجية العليا للدولة التى قررت الحرب الشاملة . ومسرح عملياتها مما استلزم تكريس طاقات الدولة وامكانياتها لمواجهة هذه الحرب .

٣ ــ المستوى العسكرى الاستراتيجى

صدر التوجيه العسكرى الاستراتيجي من القائد العام للقوات المسلحة المقرر من المجلس الأعلى للقوات المسلحة بالمراحل الزمنية للحرب الشاملة كالآتى :

ــ مرحلة الصمود من يوليو حتى مارس ١٩٦٨ .
ــ مرحلة المواجهة مارس ٦٨ حتى ابريل ١٩٦٩ .
ــ مرحلة التحدى والردع ابريل ٦٩ حتى يوليو ١٩٧٠ .
ــ مرحلة التحرير الشاملة .

بصدور هذه القرارات العسكرية الاستراتيجية انتهت حلقات التوجيهات السياسية والعسكرية وقامت أجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة بتنفيذها كل فيما يخصه .

(أ) قامت هيئة عمليات القوات المسلحة بتجهيز خطة العمليات الحربية بمراحلها المتعددة وحتى خطة تحرير سيناء الشاملة ــ الخطة ٢٠٠ ــ والوصول بالقوات الى خط الحدود الدولية طبقا للتوجيه الاستراتيجى العسكرى ، وذلك على مرحلتين زمنيتين : مرحلة أولى ، الخطة جرانيت ــ شملت عبور القوات قناة السويس عنوة والاندفاع شرقا الى المضايق الاستراتيجية ٥٠ ــ ٧٠ كم وتأمينها أى الوصول الى الخط مضيق سدر ــ قلعة الجندى ــ شرق مضيق متلا ــ شرق مضيق الجدى ــ أم خشيب ــ جفجافة ــ ام مرجم ــ مصفق على الطريق الشمالى ــ وتأمينه .

مرحلة ثانية ، اندفاع القوات الميكانيكية والمدرعة عبر المضايق الاستراتيجية لاتمام معركة المدرعات فى صحن سيناء وتدمير العدو والوصول بالقوات الى حدود مصر الشرقية مع فلسطين وتأمينها .

وكان من الواضح ان التخطيط فى العمليات المشتركة مع سوريا يمكن أن يحقق فوائد مشتركة للجبهتين فى حدود الدعم والتنسيق فقط . أما من الناحية العسكرية فانه من الصعوبة تبادل المنفعة المشتركة المباشرة بين الجبهتين بسبب إتساع المسافة بينهما ، وانهما جبهتان منفصلتان

من وجهة نظر ادارة العمليات ، كما يمكن أن يتم تعاون مشترك بين القوتين الجويتين لكلتا الجبهتين بعد تنسيق عملياتهما(*) .

استخرجت القيادة العامة من هذا التخطيط الحجم المطلوب توافره واعداده من التشكيلات البرية والجوية والدفاع الجوى والبحرية والقوات الخاصة .

(ب) قامت هيئة التنظيم بخطوات تدبير الامكانيات البشرية والمادية — تسليح — مركبات — ذخيرة لتنفيذ هذه الخطة من خلال البرنامج الزمنى الذى أقره القائد الأعلى يوم ١٩٦٧/٦/١١ — ٣ الى ٤ سنوات على الأكثر .

(جـ) قامت هيئة التدريب بالتخطيط لتدريب الأفراد والتشكيلات للوصول الى المستوى القتالى الذى يحقق الهدف الاستراتيجي .

(د) قامت هيئة الامدادات والتموين بالتخطيط واعداد الأجهزة الادارية والاعاشة لخدمة هذا الحجم الكبير من القوات ، سواء فى مسرح العمليات أو فى القواعد العسكرية مع الوضع فى الاعتبار الارتباط بينهما بالنسبة لانشاء الطرق والمدقات وأماكن التشوين والاعاشة الخ .

(هـ) قامت هيئة التفتيش والمتابعة التى أنشئت حديثا لمتابعة عجلة التنفيذ التى بدأت بأقصى سرعة ، سواء فى التشكيلات البرية أو فى أفرع القوات المسلحة الرئيسية . وقد ظهر فائدة هذا الجهاز خاصة بعد أن توحدت الأسلحة الرئيسية فى القوات المسلحة بعد معركة ٦٧ مباشرة .

(و) ادارة الشئون المعنوية — قامت بقسط وافر من الجهد المعنوى والسياسى من أجل تطوير وصقل كل فرد مقاتل من خلال المعبر المعنوى — منهج علمى للتأهل السياسى والمعنوى — كى يجعله مقاتلا صالحا يؤمن بربه وبالهدف الاستراتيجي المطلوب تحقيقه .

٤ — الدعم الخارجي

فى الوقت الذى بدأت عجلة نمو القوات المسلحة واعدادها وضع رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة ووزير الخارجية تخطيطا محكما لاستغلال دعم الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية بهدف الحصول على الأسلحة والمعدات الحديثة المتطورة ، كذا سرعة تشغيلها بكفاءة للحصول على المزيد . وكان انضمام المستشارين السوفييت لجهود القوات المسلحة والشعب خير معين للوصول الى استعداد القوات المسلحة فى أقرب وقت ممكن . كذا الاستفادة من الدعم العربى المباشر أو غير المباشر والمتمثل فى شراء الأسلحة لصالح مصر(*) .

(*) تم اتفاق ثنائى للتعاون والتنسيق فى مجال الدفاع الجوى والقوات الجوية على مستوى الرئيس عبد الناصر والدكتور نور الدين الاتاسى فى أغسطس ١٩٦٩ .

(*) سارع الرئيس بومدين — الجزائر يتخصص ميزانية نظير شراء دبابات لمصر وسوريا دعما للمعركة كما جرد القذافى — ليبيا شراء طائرات ميراج عام ١٩٧٠ دعما للمعركة المواجهة مع اسرائيل .

٥ ـــ رد فعل الأعداء

(أ) اسرائيل ـــ وجدت نفسها أمام مواجهة جديدة صاعدة مصممة على تحقيق هدفها بتحرير الأرض المغتصبة بالقوة . وأن قرار مجلس الأمن لم يحقق لها السلام . وانها فشلت فى استغلال نجاحها فى يونيو ١٩٦٧ . وأن القوات المسلحة المصرية صامدة غرب القناة ، وبدأت تنمو ويظهر تأثيرها ، وأن التضامن العربى قد التأم مرة أخرى فى مؤتمر الخرطوم ، وأن الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية تساند مصر وسوريا .

تدخلت اسرائيل بقواتها المسلحة لعرقلة الجهود المصرية فى تجميع ونمو القوات المسلحة . وبدأت حرب طويلة النفس ، اطلق عليها الطرفان حرب الاستنزاف .

(ب) امريكا ـــ شعرت ان هزيمة ١٩٦٧ لم تؤثر على الحكم فى مصر ولم يحدث أى تغيير فى استراتيجية الدولة بل وخسرت امريكا العلاقة الدبلوماسية مع مصر ومعظم الدول العربية والأفريقية ، وشعرت بأن تصميم القيادة السياسية والقوات المسلحة والشعب على الاستمرار فى القتال لاستعادة الأرض المغتصبة بالقوة ، وانه هدف غير قابل للمساومة . وقد إتضح ذلك عندما حاول « دين راسك » وزير الخارجية الأمريكى فى نوفمبر ١٩٦٨ ، أن يعرض على مصر انسحابا كاملا من سيناء مقابل التوقيع على اتفاقية بانهاء حالة الحرب مع اسرائيل .

ورفض الرئيس عبد الناصر عرض الولايات المتحدة بانهاء حالة الحرب ، أى خروج مصر فى المواجهة مع اسرائيل مقابل انسحابها من سيناء وقال تعليقا على هذا العرض « اذا قبلنا مثل هذا العرض فسوف يقضى علينا عربيا » .

ولم يأت تعليق الرئيس عبد الناصر من فراغ فقد كان هناك تحالف عسكرى بين مصر وسوريا والأردن عندما هُوجمت مصر فى يونيو ١٩٦٧ وخاضت سوريا والأردن الحرب لمعاونة مصر ولذا كان خروج مصر من المواجهة يعرض حلفاء مصر فى الجبهة الشرقية الى انفراد اسرائيل بكل من سوريا والأردن . وكان هدف اسرائيل عزل مصر عن الدول العربية ومنعها من الاستمرار فى بناء قواتها المسلحة مما يتيح لها بعد ارغام سوريا والأردن على الاستسلام لها أن تعود لمهاجمة مصر لتفرض شروطها .

ويجب أن نتذكر انه فى نوفمبر ١٩٦٨ وبرغم أن الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل كانتا تحاولان استغلال نصر معركة يونيو ١٩٦٧ ، فإن آمالهما السياسيه لم تتعد مجرد توقيع مصر على اتفاقية بانهاء حالة الحرب مقابل الانسحاب الكامل من سيناء .

ولم يصل بهما الحال والموقف فى صالحهما ان يطلبا اكثر من ذلك مثل توقيع معاهدة صلح منفرد أو معاهدة سلام مشروطة ومقيدة لعلمهما الأكيد برفض مصر القاطع لذلك .

واستمرت حرب الاستنزاف بين مصر واسرائيل وصعدت مصر العمليات النشطة عبر قناة

السويس ضد القوات الاسرائيلية بهدف اقناعها بعدم جدوى احتلالها لسيناء . كما كانت معركة الطيران الاسرائيلية ـــ ذراع اسرائيل الطويلة ـــ مع شبكة الدفاع الجوى المتطورة غرب القناة فى ٣٠ يونيه ١٩٧٠ مقياسا جيدا لظهور القدرة الدفاعية ذات الكفاءة القتالية العالية وحدوث خسائر كبيرة فى الطيران الاسرائيلى مازالت قواتنا للدفاع الجوى تحتفل بذكراه للآن .

٦ ـــ تركيز الرئيس عبد الناصر على تحضيرات المعركة .

يحضر الرئيس لقاءات بالقيادة العامة لكافة أفرع القوات المسلحة وبصحبته نائبه (السادات) وحضور القادة حتى مستوى القادة الاصاغر وخاصة قادة اللواءات الجوية وكتائب الدفاع الجوى للتأكد من استعداد القوات لمعركة التحرير مركزا على **ضرورة الحصول على تفوق جوى ولو محلى لقواتنا قبل بدء القتال** .

وفى يونيو ١٩٧٠ تقدمت امريكا بمبادرة الى مصر بطلب من اسرائيل بعرض لايقاف القتال مقترنا ببعض التنازلات السياسية متمثلة ـــ فى الموافقة على تنفيذ الانسحاب عبر مفاوضات غير مباشرة عن طريق هيئة الأمم ـــ ووافقت مصر وأوقف القتال فى ١٩٧٠/٨/٨ .

فى أواخر أغسطس ١٩٧٠ ابدى القائد العام استعداد القوات المسلحة لمعركة تحرير الأرض فور الانتهاء من فترة وقف اطلاق النيران المحدد لها ١٩٧٠/١١/٧ .

فى أوائل سبتمبر ١٩٧٠ أصدر القائد الأعلى ورئيس الجمهورية الرئيس عبد الناصر ـــ توجيهه السياسى / العسكرى بالاستعداد لمعركة تحرير الأرض مبتدئا بالمرحلة الأولى « الخطة جرانيت » فور انتهاء فترة الثلاثة أشهر لوقف اطلاق النيران وقمت بتجهيز قرارات القيادة العامة وأفرعها الرئيسية والجيشين الثانى والثالث وكذا قرار عمليات الجولان السورية الموقعة على خرائط العمليات لتصديق الرئيس عليها .

أعاد الرئيس عبد الناصر تأكيده على ضرورة بدء معركة التحرير ليس متأخرا عن ربيع عام ١٩٧١ وقد صدر ذلك أمامى بحضور الزميل محمود رياض وزير الخارجية . وكان من المقرر تصديق الرئيس على هذه القرارات فى مرسى مطروح فى فترة نقاهته ، ولكن لم تسنح الظروف بسبب حضور الرئيس معمر القذافى وزميليه الى مرسى مطروح فجأة ومن ثم تأجل التصديق الى حين العودة الى القاهرة .

٧ ـــ قرار حرب عام ١٩٧٠

ان توجيهات الرئيس عبد الناصر بضرورة استعداد القوات المسلحة لبدء معركة تحرير الأرض الشاملة عقب ٣ ـــ ٤ سنوات مع اسرائيل كان قرار حرب مبنيا على الأسس التاريخية التالية :

١ ـــ انه قرار حرب نابع من استراتيجية عليا للأمة العربية فى مؤتمر القمة العربى بالخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ .

٢ ـــ انه قرار حرب يعتمد على تصديق اجهزة سياسية وعسكرية ـــ مجلس الوزراء ـــ مجلس الدفاع الوطنى ـــ ومجلس أعلى للقوات المسلحة ، بمعنى أنه قرار جماعى نابع من ارادة مصرية خالصة .

٣ ــ انه قرار حرب صادر من القائد الأعلى لوزير الحربية والقائد العام وبعد الاطلاع على قرارات القوات المسلحة وأفرعها الرئيسية وادارتها بعد متابعة شخصية من الرئيس للقيادات العليا وحتى الميدانية .

٤ ــ انه قرار حرب حدد الهدف النهائى للعمليات الحربية كما حدد مراحلها واسلوبها كذا توقيتاتها ومسرح عملياتها اى حرب شاملة . تكون المبادرة فيها لقواتنا .

٥ ــ ان التوجيه الاستراتيجى العسكرى صدر من القائد العام منبثقا من التوجيه السياسى العسكرى بمرحلتيها أى المضايق ثم الحدود الدولية .

٦ ــ ان قناعة القائد الأعلى للقوات المسلحة بالمقدرة للقوات نبعت من حضور الرئيس لمعظم تدريبات العمليات المشتركة للقوات كذا المناقشات المباشرة مع قادة التشكيلات المقاتلة واقرارها من المجلس الأعلى للقوات ومن مجلس الدفاع الوطنى ولم يثبت فى أى مناقشة أو اجتماع أى معارضة أو تردد فى تنفيذ مهمة القتال .

تؤكد الخطوات التاريخية السابقة أن قرار الحرب الذى صدر فى أواخر عام ١٩٧٠ انه قرار جماعى نابع من ارادة مصرية صميمة .

وكان الرئيس السادات رئيسا لمجلس الأمة وعلى علم بمقررات الاستراتيجية العليا والقومية المقرره فى مؤتمر الخرطوم كما كان مشاركا بنفسه كنائب لرئيس الجمهورية بعد ذلك فى اجتماعات مجلس الدفاع الوطنى ومؤتمرات الرئيس مع قيادات القوات ولم يصدر عنه مايناقض أى قرار أى أن قناعته بها تجعله مشاركا فى قرار حرب عام ١٩٧٠ وان هذا القرار استنفد كافة مراحله السياسية والاستراتيجية وحتى خطوط واتجاهات عملياتها الحربية النهائية كما تم اختبارها من خلال المشروع التدريبى على المستوى الاستراتيجى والذى حضره كل قادة القوات المسلحة فى المدة من ٣/١٤ حتى ١٩٧١/٣/٢٥ .

٨ ــ قرار حرب ١٩٧٣ ــ مرفق رقم (٤)

تمثلت العوامل الضاغطة التى أدت الى قرار حرب ١٩٧٣ منذ بداية تولى السادات رئاسة الجمهورية ، فى الاجتماع الشعبى العارم يومى ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ والذى ارغم الرئيس عبد الناصر على العدول عن الاستقالة لاستكمال مسيرته لاستخلاص الحق المغتصب عن طريق المحاولات السلمية وفى حالة الفشل فكان من الضرورى اتباع الحقيقة التاريخية وهى « ما أخذ القوة لايسترد بغير القوة » ، وهو الذى أعلنه السادات للشعب منذ توليه السلطة ، فضلا عن اجماع القيادة السياسية بمختلف مستوياتها من التنظيم السياسى ومجلس الدفاع الوطنى على تحقيق هذا الهدف القوى .

الا أن السادات لم تكن لديه الجرأة لاتخاذ قرار الحرب فور توليه السلطة وكان متهيبا الخسائر المتوقعة عنها اذ أنه ــ كما قرر لى ــ لايتحملها مثل ما كان يتحملها الرئيس عبد الناصر. فكرس جهوده منذ البداية على تجنب المعركة واذا لم يتمكن فتأجيلها على قدر المستطاع .

ركز الرئيس السادات جهوده على الحلول السلمية والتقارب مع الادارة الأمريكية التى كان يعتقد أنها قادرة على حل القضية سياسيا وعمل على تغيير استراتيجية مصر العليا تغييرا جذريا .

رفض السادات الانصياع لقرار مجلس الدفاع الوطنى فى ١٩٧١/٢/٢ والذى اجمع على ضرورة استئناف القتال مع اسرائيل — رغم علمه بأن قرار المعركة كان على وشك التوقيع من الرئيس الراحل قبل رحيله مباشرة وان التوقيت المناسب والأخير لتنفيذ المعركة هو ربيع عام ١٩٧١ .

وقد بدأ السادات سلسلة التنازلات عندما اعلن فى مبادرته السلمية فى ١٩٧١/٢/٤ فى مجلس الأمة المصرى دون الرجوع الى الأجهزة الدستورية ، كذا وزير الخارجية ، وهى تتمثل فى اقتراح انسحاب اسرائيلى جزئى من سيناء مع استعداده لفتح قناة السويس للملاحة الدولية . وكان هذا الاقتراح أول تنازل سياسى من رئيس الجمهورية بتجزئة الانسحاب الى مراحل . مخالفا بذلك استراتيجية الدولة المقررة من قبل على المستوى القومى العربى كذا على المستوى الوطنى ، ورغم معرفته بأن المحاولات السلمية السابقة قد استنفدت اغراضها وأن قرار تحقيق الهدف السياسى للدولة قد تقرر قبل رحيل الرئيس عبد الناصر .
ولم تكن هذه المبادرة الا تجاوبا لمخطط اسرائيل يهدف الى معرفة اتجاهات رئيس الجمهورية العربية الجديد الرئيس انور السادات بدأ هذا المخطط باقتراح من وزير الدفاع الاسرائيلى موشى دايان فى أوائل نوفمبر ١٩٧٠ يقترح « انه قد يكون من الحكمة بالنسبة لكل من مصر واسرائيل ان يخففا قواتهما على جانبى القناة بل وربما يسحبا هذه القوات الى مسافة معينة ويتركا القناة ليعاد فتحها[*] دون ان يذكر الارتباط بأى مراحل انسحاب لاحقه .

لم ينتبه الرئيس السادات الى ان اقتراح موشى دايان فى ذلك الوقت هو دعوة لمحاولة[٠] امتداد فترة وقف اطلاق النار وفتح الحوار مع اسرائيل فى الوقت الذى تصرح فيه اسرائيل بعدم قبولها مبدأ الانسحاب الكامل الى حدود ١٩٦٧ .

رفض الرئيس السادات اقتراح دايان امام اعضاء اللجنة المركزية فى ١٩٧٠/١١/١٦ الا انه لم يسقط فكره دايان من حساباته القادمة اذ انه وضعها كأساس بنى عليها افكاره ومشروعاته السلمية .

وكان الرئيس السادات يعلم ان تأخير المعركة عن ربيع عام ١٩٧١ سوف لايكون فى صالح قواتنا المسلحة اذ ان ميزان القوى العسكرى سوف يتصاعد لصالح اسرائيل وان بقاء الجنود المصريين فى خنادقهم بعد فترة ايقاف النار غرب القناة مده زمنية طويلة سوف يضعف من ارادتهم للقتال .

وبالرغم من تكرار هذا الحديث منى ومن الزميل محمود رياض كأسلوب ضغط على الرئيس السادات الا انه لم يكترث بمثل هذه الحقائق . واستمر الرئيس السادات يقدم اقتراحاته ومشروعاته

(*) كتاب امريكا والغرب واسرائيل — وليام كوانت — الترجمة العربية ص ١٩٤ .
(٠) تنتهى فترة وقف اطلاق النيران فى ١٩٧٠/١١/٧ م .

السلمية هادفا الى استمرار بقاء الحوار ساخنا مع اسرائيل عن طريق الادارة الأمريكية التى سعت الى تحقيق الاتفاق حول « اعادة فتح القناة » والذى تحول الى مجال مساومة بين الرئيس السادات وبين اسرائيل اشترك فيها « روجرز » وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كوسيط لم يبد رأيا محددا بل كان يرى انه لابديل فى تقديره عن الاتفاق المباشر بين مصر واسرائيل ، وان مهمته هى التوفيق بين الطرفين المتصارعين .

هذا وقد حضرت بنفسى ختام مرحلة الحوار غير المباشر بين الرئيس السادات وبين اسرائيل بحضور سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكى يوم ١٩٧١/٥/٩ والذى عاد من اسرائيل حاملا رد حكومتها عن مشروع اتفاق حول « اعادة فتح القناة » يتلخص فى الاتفاق حول اعادة فتح قناة السويس دون ارتباط بالانسحاب النهائى مع وقف إطلاق النار ورفض عبور القوات المصرية شرق القناة مع الموافقة فقط على عبور عمال فنيين يساهمون فى اعمال تطهير وفتح القناة مع احتفاظ اسرائيل بمندوبيها المدنيين لحراسة وصيانة منشئات وتحصينات خط بارليف بعد تعديل اوضاع القوات الاسرائيلية لتكون من ١٥ ــ ٣٠ كيلومترا شرق القناة ــ مع مرور السفن والبضائع الاسرائيلية عبر القناة عند فتحها للملاحة وإجراء ترتيبات امن مصرية اسرائيلية مشتركة مع استبعاد دور هيئة الأمم المتحدة .

رفضت مصر اقتراحات اسرائيل وقبل ان يغادر سيسكو القاهرة فى طريقه الى واشنطن دعاه الرئيس السادات الى لقاء خاص فى منزله وأبلغه الخطوط الرئيسية التى تحدد نوايا وأهداف الرئيس المستقبلة بالنسبة للسياسة الداخلية فى مصر .

وفى يوم ١٩٧١/٥/١١ رفض(*) السادات التوقيع على توجيهات المعركة التى اعددتها لاستئناف القتال مع اسرائيل بناء عن توجيهاته لى يوم ١٩٧١/٥/٤ وتبين بوضوح أن حديث السادات عن ضرورة خوض المعركة لتحرير الأرض لم تكن سوى عملية خداعية لتغطية اتصالاته مع الحكومة الأمريكية وكان هذا الرفض هو السبب المباشر فى تقديم استقالتى من قيادة القوات المسلحة يوم ١٩٧١/٥/١٣ .

عوامل تغيير استراتيجية مصر العليا

منذ ان قرر الرئيس السادات العدول عن استراتيجية مصر العليا بالنسبة لمعركة التحرير بدأ اتصالاته العلنية والسرية مع الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق وزارة الخارجية الأمريكية ثم تحول الى الاتصالات بهنرى كينسجر مستشار الأمن القومى عن طريق أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية ووساطات عربية أخرى . ويقول كيسنجر فى كتابه « أن القناة السرية بين السادات والادارة الأمريكية كانت تعمل

(*) لم تكن هذه المرة هى الأولى التى يرفض فيها الرئيس السادات المعركة اذ اننى تقدمت اليه فى يناير ١٩٧١ قبل بدء اجتماعات الدول الاتحادية بمشروع قرار استعداد القوات لمعركة تحرير الأرض رفض الرئيس السادات البدء فى اجراءات المعركة وقد سجلت ذلك فى محضر مجلس وزراء دفاع دول الاتحاد وكان تقدير الرئيس ان اجراءات اتحاد الدول العربية تسبق فى اهميتها اجراءات المعركة .

بانتظام وان تسخين الموقف وكل مايتصل بالحرب المحدودة تم الاتفاق عليه خلال هذه الاتصالات بل أن السادات نشط قناة إتصالاته السرّية بسرعة بعد بدأ الحرب وكانت ودية » ويقول « ان السادات كان مستعدا للتفاوض مع اسرائيل بعد تحقيق انتصار غير حقيقي عليها »(٠) . وكان كمال ادهم يكرر فى احاديثه مع الرئيس السادات ان السعودية تعمل جاهدة لجذب امريكا لقضية الشرق الأوسط وكان يشير بأن الأمريكان دائما يصدمون بالوجود السوفيتى فى مصر ولكن الرئيس السادات كان قد أبدى استعداده لطرد السوفيت من مصر اذا استطاعت امريكا مساعدته فى تحقيق مرحلة اولى من الانسحاب فى سيناء .

لقد كانت حجة الرئيس السادات ان الواقع يفرض الاعتراف بان الولايات المتحدة الأمريكية هى اقوى دولة فى العالم وانه اذا كان هناك حل سياسى أو عسكرى محتمل لأزمة الشرق الأوسط فان ذلك لايتحقق الا فى طريق امريكا .

وفى ٢٣ فبراير ١٩٧٣ قابل حافظ اسماعيل الرئيس نيكسون ومستشاره للأمن القومى هنرى كيسنجر وكان الأول يرى انه من الضرورى البحث عن اسلوب للتوفيق بين متطلبات السيادة المصرية ومتطلبات امن اسرائيل كما أوضح كيسنجر عدم استعداد اسرائيل بقبول كل برنامج التسوية السلمية على النحو الذى يقترحه الرئيس السادات ولكنه اوضح لحفاظ اسماعيل قوله « ومن الناحية الموضوعية » علينا ان نحدد مايمكن واقعيا تحقيقه ، ونفى ان امريكا قادرة على عمل أى شىء مع اسرائيل وهى لاتريد ولايمكن ان تخلق موقفا يؤدى الى اختلال التوازن لغير مصلحتها يزيد من احتمالات الحرب .
ولم يكن كيسنجر مستعدا لقبول وجهات النظر التى طرحها حافظ اسماعيل حول عناصر التسوية وقال كيسنجر : « انه من الضرورى تحقيق تقدم المواقف العربية المعلنة حتى الآن حتى يمكن مطالبة اسرائيل بالتحرك من موقفها » مضيفا « ان قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على اقناع اسرائيل تتوقف على قدر التغيرات الملموسة فى المواقف العربية أو المصرية . وهذا هو المفتاح »(٠) .

عرض حافظ اسماعيل عناصر الموقف الأمريكى على الرئيس السادات الذى رأى ان لا امل فى تسوية سلمية دون الدخول فى معركة عسكرية اذ ان الأمريكان يريدون تنازلات من مصر اكثر مما عرض الرئيس السادات من خلال مشروعاته واقتراحاته السابقة ولم يجد امامه سوى الخيار العسكرى باتمام معركة محدودة قاصرة على عبور القناة ولكنه لم يوقف الاتصالات مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن الناحية العسكرية أصدر للفريق أول أحمد اسماعيل قرارا ببدء تخطيط عملية تستهدف تعديل أوضاع القوات المسلحة بنقل خطنا الدفاعى الى شرق القناة تمهيدا لمعارك استنزاف مع العدو مع

---

(٠) هنرى كيسنجر فى كتابة « التغيير الكبير Up Heaval ص ٤٦٠ ، ٥٧٤ » .

(٠) أمن مصر القومى لحافظ اسماعيل مستشار الأمن القومى ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

الاستعداد لتنفيذ ذلك فى منتصف أبريل(*) .

ولما كان السادات فى حاجة لمزيد من الايضاح بقدر هذه التغيرات الملموسة التى تتيح لأمريكا إمكانية الضغط على اسرائيل لذلك فقد كلف حافظ اسماعيل مستشاره للأمن القومى باتمام لقاءين آخرين مع كيسنجر فى باريس فى شهرى مارس ومايو ١٩٧٣ وقد أيده السوفيت فى تحركاته السياسية ووعدوه بالدعم العسكرى الجديد خلال شهر فبراير ٧٣ .

ولمعرفة فحوى لقاءات باريس سوف اكتفى بما رواه الرئيس السادات نفسه للتلفزيون المصرى ونشره الأهرام يوم ١٩٧٧/١٠/٧ .

« خلال ١٩٧٣ كان كيسنجر شاف حافظ اسماعيل مستشار الأمن القومى بتاعنا مرتين فى باريس واعلنت انا عنها . لم تكن زيارات سريه . حافظ اتكلم عن مفهومنا للحل السلمى ورد عليه كيسنجر انا حاكلمك بمنتهى الصراحة انتم بتكلموا وكأنكم منتصرين العالم بيشتغل بالواقع انتم مهزمين .. اتكلموا بلسان الواقع لأنه عندئذ امريكا تستطيع ان تقدم لكم معونه بس خلينا واقعيين .. اما الكلام ده الى بتقولوه وكأنكم منتصرين . الواقع له دخل فى كل تصرفات احنا مانقدرش نعمل لكم منحزات وانتم فى الوضع اللى انتم فيه أى مالم تغيروا الواقع .. فقال له حافظ نغيره ازاى .. قال له بمعركة عسكرية .. مالم يتغير الوضع عسكريا على كلامك ده ماأقدرش أعمل حاجة .. ولكن أرجوك احمل نصيحة منى للسادات أنا مشفتوش لسه ولا أعرفه مكناش لسه اتقابلنا وكانت علاقتنا مقطوعة بأمريكا قال له كيسنجر لا أنا شفت السادات ولا أعرفه لكنى حاسس ان الانسان ده عايز يعمل سلام وعايز يبنى بلده . خذ منى نصيحة وقول له اوعى تحاولوا تغيروا الوضع العسكرى لأن هزيمة اخرى من نوع هزيمة ١٩٦٧ يبقى مافيش امل لحل سلمى ولاغيره ولاحد يستطيع ان يكلم اسرائيل(*) » .

وفى صيف ١٩٧٣ توقفت الجهود السياسية وتجمد الموقف وأصبح المطروح الآن هو استخدام القوة العسكرية لمواجهة حل جزئى عبر عنه كيسنجر بقوله « إن علينا ان نحدد ما يمكن واقعيا تحقيقه » ولكن الرئيس السادات استمر فى اتصالاته السرية مع الجانب الأمريكى حتى بدء المعركة الفعلية واثنائها .

ونخلص من ذلك ان إتجاه السادات بنقض الاستراتيجية العليا للدولة السابق اقرارها بحتمية خوض معركة التحرير بدأها عندما طرح السادات مبادرته فى فبراير ١٩٧١ عن استعداد مصر لعقد اتفاق سلام مع اسرائيل اذا ما تجاوبت سلميا لتسوية جزئية وعلى مراحل الا ان محاولاته التى استمرت حتى عام ١٩٧٣ فشلت تماما بسبب ماأطلق عليه السادات التفتت الاسرائيلى الأمريكى .

وبدأ يفكر فيما يتردد فى بعض العواصم الأجنبية عن ضرورة الحركة أو التسخين وكان كيسنجر

(*) المصدر نفسه ص ٢٦٦

(*) كتاب كيسنجر وادارة الصراع العربى لأمين هويدى ص ٢٧١ .

يرى ان ازمة الشرق الأوسط جامدة وهو شخصيا لايعترف بالأزمات الساخنة كما ان السعوديين نصحوا الرئيس السادات أيضا بضرورة الحركة وان التسخين سوف يفرض نفسه على كل الأطراف بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية لأن التسخين فى النطاق المحدود يعطى الادارة الأمريكية حجة ازاء اسرائيل .

وتبين بعد استطلاع اراء حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية ان سياستها فى الشرق الأوسط تميل الى تسخين الموقف . ونقل اتجاه ورأى الادارة الأمريكية الى الرئيس السادات كل من صديقه كمال ادهم ، كذا رجل اعمال امريكى كبير « دافيد روكفلر » الذى زار الرئيس السادات أكثر من مرة كان اخرها فى ١٩٧٣/٩/٢٢ فى برج العرب .

وكان رأى هنرى كيسنجر يتلخص فى : « ان تحريك الموقف الجامد بين مصر واسرائيل يحتاج من مصر ان تبحث عن اسلوب مايجعل الموقف ساخنا وان يثبت هذا الأسلوب واقعيتة وفاعليته المحددة للدرجة التى تدعو الى تدخل الولايات المتحدة الأمريكية » .

وأصبح المطلوب من الرئيس السادات بعد طول انتظار ومساع واقتراحات سلمية واتصالات سرية غير مشروعة استغرقت ثلاث سنوات هو « مجرد تحريك أو تسخين الموقف على الجبهة لمجرد ازالة الجمود الذى استمر ثلاث سنوات » بقول حافظ اسماعيل . « بعد توقف الجهود السياسية وتجميد الموقف أصبح المطروح الآن من وجهة نظر الادارة الأمريكية هو استخدام القوة العسكرية لكسر الجمود واعطاء دفعة جديدة للمفاوضات لكى تستأنف من منطلق جديد واقعى يثبت أن مصر ليست جثة هامدة كما يتردد فى اسرائيل وفى الولايات المتحدة الأمريكية » . وقوله أيضا « ان الهدف السياسى وراء هذا التحريك ليس تحرير الأرض الشامل لسيناء ولاتدمير القوات العسكرية الاسرائيلية لفرض شروط صلح نهائى . كما أنها لاتستهدف استعادة السيطرة علي مناطق استراتيجية » الممرات وشرم الشيخ او اقتصادية « آبار البترول » بل كانت هذه العمليات محدودة تأخذ فى الاعتبار العوامل السياسية والعسكرية على المستوى العالمى والاقليمى .

ومن هذا المنطلق تحقق للرئيس السادات ماكان يبغيه من تغيير شامل فى الاستراتيجية العليا للدولة توضحت اخيرا على النحو التالى :

١ ـــ استمرار تسوية سلمية بالجهود السياسية .
٢ ـــ عدم القيام بعمليات عسكرية تهدف الى تحرير سيناء .
٣ ـــ الاكتفاء بعملية عسكرية محدودة لاترقى الى مستوى حرب شاملة .

وكان على الرئيس السادات أن يجد مبررا لسياسة التى تتناقض مع المبادىء والسياسة التى أقرها الرئيس عبد الناصر بعد تجارب عديدة خاضها منذ عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠ والتى كان محورها خوض معركة التحرير فادعى السادات ان معركة التحرير فى ربيع عام ١٩٧١ هو توقيت غير مناسب الأمر الذى يستدعى تأجيلها وكان هذا الاتجاه السياسى للسادات مع إقتناعه لاتباع مايصدر عن واشنطن من أفكار واراء تستلزم قيامه بالاطاحة بالقيادات السياسية والعسكرية التى تبنت سياسة الرئيس عبد الناصر مع

محاولتة باستمرار وبطريق مباشر أو غير مباشر بتجريح سياسة عبد الناصر وقد أدت سياسة السادات الى خفض الروح المعنوية للقوات المسلحة التى استمرت فى خنادقها دون واجب قتالى على مدى ثلاث سنوات . وعندما شعر بهذه الحالة حاول مواجهة الوضع على شاشة التلفزيون « من أن اقتراحاته السلمية هى من أجل تحقيق الهدف السياسى دون إراقة دماء أبنائه الجنود » وهو قول حق يراد به باطل حيث سبق استنفاده كافة الطرق السلمية وهى الجهود المبذولة خلال سنوات مابعد ١٩٦٧ وبمشاركة شخصية من الرئيس السادات ولم يكن إعداد القوات المسلحة لمعركة تحرير الأرض سوى أمر محتم بعد أن ظلت اسرائيل على إصرارها لاستمرار احتلال الأراضى العربية .

وانتهت هذه الحالة الى المعنى الجديد الذى تعمد العدو اطلاقه ضمن نطاق الحرب النفسية على مصر وقواتها المسلحة ، أنها أصبحت « جثة هامدة » وان ماسجله الرئيس السادات بأن الاستعداد للمعركة بدأ من شهر أكتوبر ١٩٧٢ كان بهدف اختبار القيادات العسكرية فطرح موضوع استعداد القوات المسلحة لمعرفة الآراء الذاتية للقادة المعارضين لفكرته عن الحرب المحدودة القاصرة على الشريط الضيق شرق القناة ومن ثم يتمكن من التخلص منهم وهذا ماحدث للفريق أول محمد أحمد صادق ومعه أربعة من خيرة قادة القوات المسلحة خبرة وكفاءة .
كما ان استراتيجية الرئيس السادات الجديدة الخاصة بمعركة التحرير أصبحت تتداول ضمنيا وتتكشف من خلال تصريحاته العلنية واتصالاته السرية مع الادارة الأمريكية عن طريق المخابرات المركزية كذا من خلال مبادراته السلمية وتضارب اقواله المعلنة عن حتمية استخلاص الحق بالقوة من خلال مسمياته السنوية سنة الحسم عام ١٩٧١ ـــ والتى تمكن خلالها من خداع القائد نفسه بعد أن حدد له توقيت استعداد القوات المسلحة لمعركة تحرير الأرض لتكون يوم ٢٠ أبريل عام ١٩٧١ ثم ٢٠ مايو نفس السنة ثم الأسبوع الأول من شهر يونيو ١٩٧١ ثم تراجع نهائيا عن اتمام تنفيذ الاستعداد للمعركة برفضه التوقيع على توجيهاته التى اقرها للقائد العام وحدد أول يونيو ١٩٧١ توقيتا لبدء استعداد القوات للمعركة .

ولما كانت هذه الاستراتيجية العليا للرئيس السادات لم تصل من الناحية الموضوعية الى وضع نهائى لها منذ مبادرته فى فبراير ١٩٧١ وحتى عام ١٩٧٣ والتى انتهت الى مسخ خطة غير واضحة المعالم متمثلة فى صورة تحقيق تسوية سلمية تنبع من تسخين جبهة القتال بهدف المفاوضات السياسية فقد استتبع ذلك عدم إصدار توجيه استراتيجى سياسى من القيادة العليا الى القيادة العامة يحدد الهدف السياسى العسكرى للاستراتيجية العسكرية حتى أول اكتوبر ١٩٧٣ اى قبل بدء المعركة بخمسة أيام فقط .

وعلى ضوء عدم وضوح الرؤية السياسية والعسكرية لاستراتيجية الرئيس السادات بالنسبة للمعركة فقد اندفع افراد عديدون باقتراحاتهم التى تبين تصوراتهم الاستراتيجية العسكرية تطبيقا لفكرة الرئيس السادات عن المعركة المحدودة .

نبعت الفكرة الأولى للعمليات من الفريق الشاذلى الذى ادعى « ان امكانات القوات المسلحة

المصرية قد تمكنها من ان تقوم بعملية هجومية محدودة فقط تهدف الى عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف ثم التحول الى الدفاع » وهى فكرة خاطئة عسكريا . اذ انها تنقل القوات من موقع دفاعى يستند على مانع مائى حصين الى منطقة مكشوفة شرق قناة السويس مباشرة تسيطر عليها القوات الاسرائيلية بالنظر والنيران من سفوح ومرتفعات جبلية للمضايق فى سيناء .

وكانت هذه الفكرة مطابقة لأهداف الرئيس السادات التى تستبعد الحرب التحريرية الشاملة مكتفيا بأسلوب الحلول السلمية من مبادرات ومفاوضات . وهو ما اتضح تطابقه أيضا مع تفكير وآراء الادارة الأمريكية عندما قال الرئيس السادات فى اجتماع مجلس الأمن القومى فى ١٩٧٣/٩/٣٠ « اما عن الولايات المتحدة الأمريكية فلم يكن هدفها يتجاوز تحريك القضية عن طريق اعادة فتح قناة السويس والانسحاب الاسرائيلى الجزئى وتعمير مدن القناة »(*) .

وفى أول أكتوبر ١٩٧٣ صدر التوجيه الاستراتيجي السياسى للمعركة من رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة استخلص منه القائد العام الآتى :

١ ـــ قيام القوات المسلحة بعمل عسكرى يسعى الى **تحدى نظرية الأمن الاسرائيلية** طبقا لامكانات القوات المسلحة .

٢ ـــ العمل على اقناع اسرائيل بأن مواصلة احتلالها للأرض سوف يكلفها ثمنا باهظا .

٣ ـــ هذا العمل العسكرى يمكن ان يصل بنا الى حل مشرف لقضية الصراع العربى الاسرائيلى .

وفى ١٩٧٣/١٠/٥ صدر التوجيه الاستراتيجي العسكرى لرئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة نصه كالآتى :

الى الفريق أول أحمد اسماعيل على وزير الحربية :

بناء على التوجيه السياسى والعسكرى الصادر لكم منى فى أول أكتوبر ١٩٧٣ وبناء على الظروف المحيطة بالموقف السياسى والاستراتيجى قررت تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الاستراتيجية الآتية :

أ ـــ ازالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف اطلاق النيران اعتبارا من ٦ اكتوبر ١٩٧٣

ب ـــ تكبيد العدو اكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات .

جـ ـــ العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور امكانيات القوات المسلحة

تنفيذ هذه المهمة بواسطة القوات المسلحة المصرية مفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية .

صدر فى ٥ أكتوبر ١٩٧٣ م
٩ رمضان ١٣٩٣ هـ

توقيع
محمد أنور السادات
رئيس الجمهورية

(*) كتاب أمن مصر القومى لحافظ اسماعيل ص ٣٠٢ .

وحدد القائد العام الهدف المباشر لعمليات القوات المسلحة المصرية على جبهة قناة السويس كالآتي :

١ ــ دفع الخط الدفاعي الى شرق القناة باقامة رؤوس كبارى عمق ١٠ ــ ١٢ كم وهزيمة العدو وصد وتدمير الهجمات المضادة وتكبيد العدو اكبر خسائر ممكنة .

٢ ــ الاستعداد للقيام بمهام تالية على ضوء نجاح معركة العبور وتطور الموقف على جبهة الجولان .

وعن المهمة التالية للقوات المسلحة المصرية فكان قرار القائد العام كالآتي :
تكون القوات مستعدة لمهام تالية بعد وقفة تعبوية ــ لم يحدد مدتها ــ لتطوير الهجوم وتدمير قوات العدو والاستيلاء على الخط العام . مضيق سدر ــ قلعة الجندى ــ مضيق متلا ــ مضيق الجدى ــ جبل ام خشيب ــ جبل ام مرجم ــ مصفق على الساحل الشمالى وهو المعروف بخط المضايق الاستراتيجية غرب سيناء .

« ويستشهد محمد حافظ اسماعيل بالفريق اول أحمد اسماعيل قائد عام القوات المسلحة حين قال له « نحن لا نريد التقدم الى الممرات . لقد حددناها كهدف للهجوم حتى نستحث القادة والجنود على مواصلة التقدم ولكننا سوف نتوقف دون ذلك » .

وهكذا لم يكن هدف العمليات الحربية هو تحرير الأرض المحتلة أو هزيمة القوات الاسرائيلية غرب سيناء أو احتلال مناطق استراتيجية ــ يقصد المضايق ــ أو اقتصادية ــ يقصد ابار البترول بل كان الهدف هو تعديل علاقات القوى على الجبهة على نحو يرغم اسرائيل على القبول بتحقيق تسوية عادلة للقضية الفلسطينية والتخلى عن الأراضى العربية المحتلة(٠) وعلى ذلك تكون المرحلة التالية من خطة عمليات جرانيت (٢) المعدلة هى خطة « وهمية » اذ لم يكن هناك نية أو هدف لتنفيذها .

ان صدور قرارات الحرب ــ التوجيه السياسى العسكرى فى أول اكتوبر ١٩٧٣ والتوجيه الاستراتيجى العسكرى فى ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ــ فى هذا الوقت المتأخر حيث بدأت المعركة فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وبصرف النظر عن ان سبب صدور التوجيه المتأخر انه كان بناء على طلب من الفريق اول أحمد اسماعيل ، الا ان التجاوز عن موضوع ترك الخيار فى تحقيق أهداف المعركة بمعاونة القوات السورية أو بدونها للقائد العام أن يقرره علما بأنه موضوع سياسى تم اقراره بين القيادات السياسية فى الدولتين قبل الدخول فى مناقشة نوعية الحرب أو أسلوبها بالاضافة الى عدم وضوح القرار نفسه وتسبب عن ذلك :

(١) الاختلاف فى الفهم عند التطبيق العملى بين القائد العام وبين رئيس الأركان وبين الأول وقادة الجيشين الثانى والثالث .

(٢) الاختلاف فى الفهم عند التطبيق بين القيادة المصرية والقيادة السورية .

وكان رد فعل القائد العام عندما وصلته توجيهات الرئيس للعمليات وادراكا لحسه وخبرته القديمة أن

---

(٠) حافظ اسماعيل ــ أمن مصر القومى ــ ص ٣٠٤ .

يسرع بطلب التوقيع بالعلم على هذه التوجيهات من رئيس الأركان بهدف اشتراكه فى مسئولية التنفيذ الغامض فى تحديد هدف هيكلى أو وهى للعمليات . كذا فى الخيار المفتوح للتعاون مع سوريا أم لا فى معركة مصيرية تحدد توقيتها لتكون يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . ولم يكن هذا الاجراء من القائد العام عملا روتينيا أو طبيعيا بين القائدين أو بين القائد العام ونائبه .

ونلخص من كل ماسبق إلى ان الملابسات التى أحاطت بهذه الحرب تتمثل فيما يلى :

١ ــ ان مبدأ إقرار الحرب كان مطلبا لجماهير الشعب وأفراد القوات المسلحة منذ ٩ و١٠ يونية ١٩٦٧ كما كان أحد مقررات الاستراتيجية العليا للأمة العربية فى الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ . وهو ازالة آثار العدوان وذلك بحرب تحريرية شاملة .

٢ ــ تم إعداد القوات المسلحة والدولة لبدء هذه الحرب التحريرية فى ١٩٧١/٧٠ بالتعاون مع القوات المسلحة السورية وبالتضامن مع باقى الدول العربية .

٣ ــ تمشى الرئيس السادات مع مطلب الحرب ظاهريا فى الوقت الذى كان يعمل فيه على استبعاد مبدأ الحرب والرجوع منفردا الى محاولات الحلول السلمية التى سبق وصولها الى طريق مسدود .

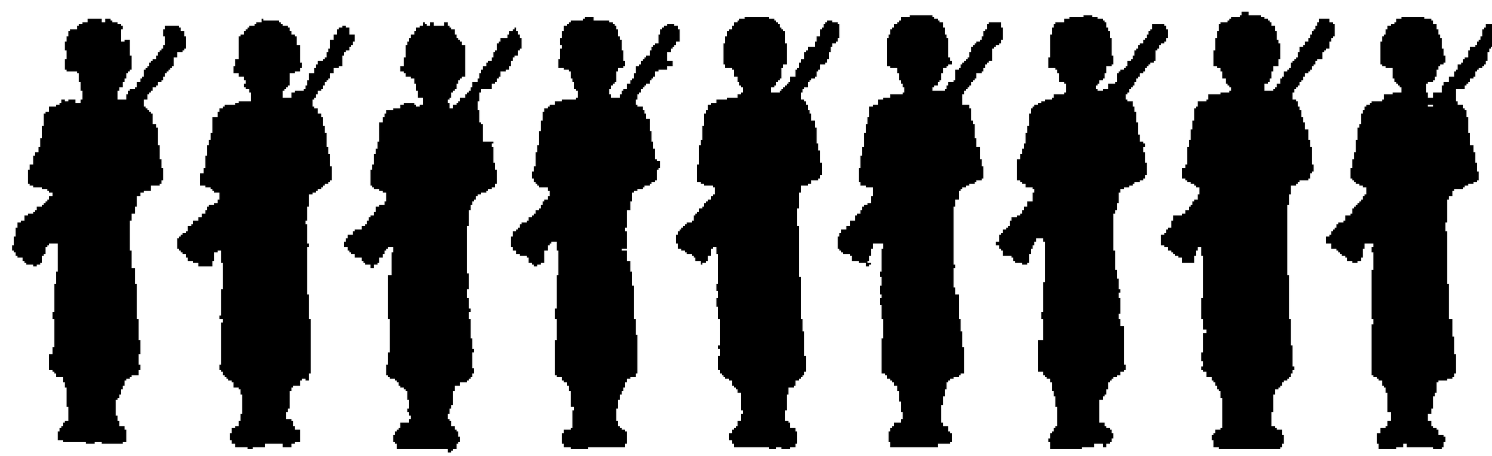
٤ ــ اضطر الرئيس السادات للعودة مرة أخرى الى اسلوب الخيار العسكرى لعدم التجاوب الاسرائيلى لآماله فى الحل السلمى .

٥ ــ وبالنسبة للمعركة بذاتها فقد تغلب رأى السادات على مبادىء وقواعد الحرب المعروفة وحدد شكل المعركة وحجمها ومواجهتها وعمقها كما جاء فى رسالته الى هنرى كيسنجر يوم ١٩٧٣/١٠/٧ .

٦ ــ واخيرا صدر قرار حرب اكتوبر ١٩٧٣ غير واضح ولايستند الى استراتيجية عليا معلنة ولايحدد هدفا نهائيا واقعيا للقوات المسلحة .

الفصـــل الرابـــع

تفيت وتوزيـع احتياطى القوات المسلحـة



في أوائل ١٩٦٩ تحقق الشكل العام لتشكيل القوات المصرية للعمليات الدفاعية ، وفى أواخر نفس العام مع اتمام تشكيل وتسليح وتدريب ثلاث فرق ميكانيكية واستكمال الفرقة المدرعة ٢١ ولواءات مدرعة مستقلة مع نمو قدرة الدفاع الجوى والقوات الجوية ، وزيادة اعداد كتائب الصاعقة ، وكتائب المنقولة جوا ، وصل حجم القوات المسلحة المصرية الى تحقيق مطالب الخطة الهجومية لتحرير سيناء .

وكان عام ١٩٧٠ هو استكمال وزيادة اتقان تدريب القوات المصرية على العمليات المشتركة فى تدريبات عنيفة وواقعية تحت ضغط وازعاج وقذف جوى من العدو ، الذى كان يهدف الى أن نفقد الثقة فى قدراتنا وفى أسلحتنا لنصل الى قناعة باستحالة تحقيق تحرير أراضينا .

وفشل العدو فى منتصف عام ١٩٧٠ فى تحقيق أهدافه بل وصدم صدمة عنيفة عندما وجد أن القوات المسلحة المصرية بالرغم من الضغط والتهديد اليومى تمكنت من إقامة أكبر شبكة دفاع جوى تطورا فى العالم ، تم انشاؤها كحائط منيع ضد أقوى أسلحته الجوية والتى اعتمد عليها فى تحقيق أهدافه التوسعية فى المنطقة العربية .

وشعر العدو الاسرائيلى وكذا حليفته الولايات المتحدة الأمريكية أن ميزان القوى الاسرائيلى بدأ فى الانخفاض وبدأت مرحلة التهادن ثم مرحلة التنازل وتخلص من الموقف الذى كلفه خسائر فى الأفراد وفى المعدات وبصفة خاصة فى الطائرات . وطلب من الادارة الأمريكية كى تسعى الى ايقاف اطلاق النيران مع مصر فى ١٩٧٠/٨/٨ .

وقد برزت فى هذه الفترة قدرة الدفاع الجوى على شل حركة القوة الجوية الاسرائيلية ، كما حصّلت القوات الجوية المصرية على التفوق المحلى لبدء تنفيذ المرحلة الأولى فى خطة عمليات تحرير سيناء (جرانيت) والتى تقضى بوصول القوات المسلحة المصرية المضايق الجبلية فى سيناء وتأمينها .

وكان تشكيل القتال لقوات الجيشين الثانى والثالث لتحقيق المرحلة الأولى من خطة تحرير سيناء مكونة من نسقين يشملان الفرق المشاه ١٨ — ٢ — ١٦ — ٧ — ١٩ وقوات قطاع بورسعيد ، واحتياطى تعبوى يشمل الفرق المشاة ٣ — ٦ — ٢٣ ، ومعاونة القوات الجوية وقوات الدفاع الجوى والقوات البحرية والقوات الخاصة .

وتبقى قوات الاحتياطى الاستراتيجى المكونة من الفرقتين المدرعتين ٤ و ٢١ فى مراكزهم غرب قناة السويس .

كما تبقى قوات احتياطى القيادة العامة المكونة من لواء مدرع ٢٥ ولواء مدرع حرس جمهورى ولواءات مشاه مستقلة ولواء مظلات وبعض كتائب صاعقة منقولة جوا من مراكزهم فى المنطقة المركزية وفى مناطق المحاور الفرعية . البحر الأحمر والمنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية .

الاحتياطى التعبوى

يتكون الاحتياطى التعبوى للقوات المسلحة المصرية من ثلاث فرق ميكانيكية قوام كل فرقة ١٣٥٠٠ مقاتل تقريبا . وتعتمد الفرقة الميكانيكية فى حركتها وقتالها على مركبات مجنزرة حديثة الطراز تشيكوسلوفاكية الصنع « توباز » وأخرى روسية مشابهة لها نوع ب ك ٩ .

والفرقة الميكانيكية مكونة من لواءين مشاه ميكانيكى ولواء مدرع بالاضافة الى لواء مدفعية ميدان وفوج مدفعية مضاد للطائرات ووحدات معاونة اخرى من مهندسين عسكريين ومواصلات خطية ولاسلكية الخ . ولكل فرقة ميكانيكية ذيل ادارى يعاونها فى الاغاثة والامداد بحيث يمكن أن تعتمد عليه الفرقة ذاتيا .

والفرق المشاة الميكانيكية الثلاث هى الفرق ٣ و٦ و٢٣ مشاه ميكانيكية وتتميز هذه الفرق الثلاث عن الفرق المشاة الخمس أرقام ١٨ — ٢ — ١٦ — ٧ — ٩ والتى كانت وتتمركز فى النسق الأول والثانى فى جبهة قناة السويس منذ عام ١٩٦٧ بخفة الحركة والمناورة وقوة النيران معا .

كان واجب العمليات الحربية للفرق الميكانيكية الثلاث هو تأمين النطاق التعبوى للجيشين الثانى والثالث أثناء عملية العبور ، وانشاء رؤوس كبارى الفرق . ثم تقوم الثلاث فرق المشاه ميكانيكية بالهجوم من خلال رؤوس كبارى الفرق فى أربعة محاور فى وقت واحد يعاونها لواء ١٥ مدرع مستقل والطيران والدفاع الجوى والقوات البحرية بهدف الوصول الى المضايق الأربعة المعروفة فى سيناء وهى : مضايق متلا — والجدى والخاتمية والطريق الساحلى عند رمانة ، حيث يتم احتلالها وتأمينها بسرعة ، بغرض منع احتياطى العدو القريب من التدخل فى مسرح عمليات شرق قناة السويس .

وكانت السرعة فى قفل وتأمين المضايق الأربعة هى صمام الأمان فى تأمين قناة السويس نفسها .

الاحتياطى الاستراتيجى

أما الاحتياطى الاستراتيجى للقوات المسلحة فيتكون من الفرقة ٢١ المدرعة والفرقة ٤ المدرعة والفرقة المدرعة تتكون من ثلاثة لواءات ووحدات معاونة : لواءين مدرعين ولواء مشاه ميكانيكى . والوحدات المعاونة على مستوى الفرقة المدرعة مكونة من لواء مدفعية ميدان محمولة . وفوج مضاد للطائرات محمل وكتيبة مهندسين عسكرية ، ووحدة اشارة ، ووحدة كيمياء . وكلها وحدات محمولة على عجل أو جنزير .

وتعتبر الفرقة المدرعة هى أقوى تنظيم قتالى فى القوات المسلحة ، حيث أن قوة النيران وخفة الحركة تكسبها الفاعلية المؤثرة فى العمليات الهجومية أو فى عمليات الضربات المضادة ، ويعمل الاحتياطى الاستراتيجى دائما بتصديق من القائد الأعلى للقوات المسلحة .

وكان واجب العمليات المخصص للاحتياطى الاستراتيجى فى خطة عمليات تحرير سيناء الشاملة هو القيام بالهجوم على قوات العدو فى وسط سيناء بعد الانتهاء من المرحلة الأولى ، وهى احتلال وتأمين المضايق الاستراتيجية فى سيناء ، واتخاذ المضايق قاعدة انطلاق لاتمام معركة تصادمية مع مدرعات العدو واحتياطيه فى سيناء وتدمره . وتصل فى متابعتها الى الحدود الشرقية لمصر بالتعاون مع الاحتياطى التعبوى وكان هذا هو السبب فى الاحتفاظ بالاحتياطى الاستراتيجى المدرع غرب قناة السويس ، لحين استيلاء قواتنا على المضايق الاستراتيجية فى سيناء وتأمينها .

احتياطى القيادة العامة

يتكون من لواء ٢٥ مدرع مستقل ، ولواء حرس جمهورى مدرع مستقل . وكلاهما يتسلحان بدبابات ٦٢ . ولواءات مشاه مستقلة سواء فى المنطقة المركزية أو فى المناطق العسكرية الفرعية مثل البحر الأحمر — المنطقة الشمالية — منطقة الدلتا — المنطقة الجنوبية ، وكتائب صاعقة تشكل فى مجموعات ، وكتائب مظلات فى شكل لواءات ، وكتائب منقولة جوا تشكل فى مجموعات ووحدات رئاسة عامة من المدفعية أو المهندسين أو الاشارة أو الكيمياء الخ من الوحدات المعاونة .

وتبقى هذه الوحدات تحت إمرة القائد العام وخارج النطاق التعبوى لقوات المحور الرئيسى قناة السويس — سيناء .

تدريبات مشتركة على مهام عمليات تحرير سيناء

تم اختبار واجبات العمليات لجميع التشكيلات الميدانية لقوات النسق الأول والثانى ، والقوات الاحتياطية التعبوية، والتشكيلات الميدانية لأفرع القوات المسلحة الرئيسية: البحرية والجوية والدفاع الجوى والقوات الخاصة فى مشروع تدريبى على مستوى استراتيجى تم فى مارس ١٩٧١ . وتمت ادارة المشروع بمعرفة القائد العام للقوات المسلحة مع هيئة اركانه ، وحضور جميع المستشارين العسكريين السوفييت ، الذين قاموا بدور حكام المشروع ، وابراز مواقف عسكرية تدلل على تصرفات ونيات وردود فعل قوات العدو ازاء تنفيذ خطوات المشروع . وكان الهدف من المشروع هو اختبار خطة العمليات « جرانيت » .

ولكن يعطى المحكمون فى المشروع حركة ايجابية تمثل التصور الواقعى لتصرفات العدو الاسرائيلى بعد نجاح قوات النسق الأول لقواتنا فى عبور قناة السويس . قاموا بتصور موقف فجائى قامت به القوات المعادية ، بأن تمكنت من اختراق دفاعات رؤوس كبارى الفرق المشاة شرق قناة السويس ، وتمكنت

مجموعة لواء مدرع اسرائيلى من العبور وانشاء رأس كوبرى غرب الدفرسوار ، كما تمكنت مجموعة أخرى مشابهة لمجموعة لواء مدرع اسرائيلى من العبور عند القنطرة شرق مكونة رأس كوبرى آخر غرب قناة السويس .

لم يكن هذا الموقف العسكرى الجديد مفاجأة للقائد العام اذ أن تصوره لرد فعل العدو بعد نجاح قواتنا لعبور قناة السويس مشابها لما كان العدو قد دبره من خطة أطلق عليها اسم « الغزالة » فى شهر سبتمبر ١٩٧٠ . فى الوقت الذى ادعت فيه اسرائيل ان مصر قد قامت بتحريك صواريخ سام من مكانها الى حافة قناة السويس الغربية ، مهددة بذلك أمن اسرائيل . وكانت خطة الغزالة الاسرائيلية تهدف فى جملتها الى عملية هجومية على الجانب الغربى للقناة بهدف تدمير شبكة الصواريخ سام ، وبذا تمكن قواتها الجوية أن تحصل على سيطرتها على مسرح العمليات فى منطقة قناة السويس .

وكان قرار القائد العام فى ذلك الوقت تكليف ٢ فرقة مشاه ميكانيكية من الاحتياطى التعبوى المتمركز غرب قناة السويس . الأولى تدمر قوة العدو فى الدفرسوار ، والثانية تدمر قوة العدو فى القنطرة غرب ، وذلك باستغلال نيران وضربات مدفعيات الجيوش والقوات الجوية ، وتحت ستار شبكة الدفاع الجوى .

وكان التفوق النسبى للقوات فى هذا التصادم هو ٣ : ١ لصالح قواتنا فى كل من الموقعين — فرق ميكانيكية مقابل لواء من العدو(*) .

وفى هذا المشروع التدريبى ظهر بوضوح فاعلية قوات الاحتياط التعبوى وهى جاهزة فى يد القائد العام وكان دفعها فى الوقت المناسب وبقوة تفوق قوة العدو الذى نجح فى العبور واقامة رأس جسر غرب قناة السويس وتمكنت من تدميره قبل أن يعزز مواقعه وتمكنت من استعادة أوضاع قواتنا ثم مطاردة العدو شرقا . وكانت هذه المتابعة هى ضمن الخطة الأساسية لمهمة الاحتياطى التعبوى بوصول الفرق الثلاث الميكانيكية الى المضايق الاستراتيجية واحتلالها وتأمينها .

كما ان القائد العام (مدير المشروع) لم يحد عن هدفه عندما أراد العدو أن يتدخل بقوة ٢ لواء مدرع لاحداث ثغرة وكان الفضل فى ذلك تواجد واستعداد فرق الاحتياطى التعبوى لمواجهة اى ثغرة يحدثها العدو ، وكذا فاعلية شبكة الدفاع الجوى التى منعت طيران العدو من التدخل لمعاونة قواته .

حضر هذا المشروع التدريبى جميع قادة القوات المسلحة فى مارس ١٩٧١ واستوعبوا فكر العدو الاسرائيلى وتصرفاته عند بداية تحريرنا لسيناء . كما استوعبوا فاعلية الاحتياطى التعبوى وتأثيره فى المعركة اذا تمكنا من استخدامه فى الوقت والمكان المناسبين .

(*) تفصيلات المشروع مذكورة فى الفصل الأخير من مذكرات المؤلف — « حرب الثلاث سنوات » .

تحضيرات عمليات اكتوبر ١٩٧٣

وعندما بدأ القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول أحمد اسماعيل التحضير لتخطيط عمليات اكتوبر ١٩٧٣ مع رئيس اركانه وهيئة عملياته ، لم يحاول أن يستعيد أو يراجع فكر واستعداد القيادات السابقة له وتجاربها واستعدادها لعمليات تحرير سيناء ، والدروس المستفادة من المشروعات الاستراتيجية أو التعبوية التى استغرقت سنوات ١٩٦٩ و ١٩٧٠ و ١٩٧١ ، ومنها المشروع الاستراتيجى الأخير الذى تم فى مارس ١٩٧١ .

وكان لانضمام قادة جدد الى القوات المسلحة فى عام ١٩٧٢ . كانوا متقاعدين منذ يونيو ١٩٦٧ وتولوا قيادة فرق مشاه ومدرعة تأثير سلبى على الخبرة الميدانية ، وكان ولاؤهم لفكر وأهداف الرئيس أنور السادات واضحا . اذ أنه اعادهم الى الخدمة مرة أخرى . كما ان الفريق أول أحمد اسماعيل والفريق سعد الدين الشاذلى لم يحضرا هذا المشروع (مارس ١٩٧١) الأول لوجوده فى المعاش ، والثانى كان قائدا لمحور فرعى فى البحر الأحمر .

وكان الموقف العسكرى الذى سلكه العدو فى المشروع التدريبى فى مارس ١٩٧١ هو نفس المسلك الذى طبقه ليلة ١٥/١٦ اكتوبر ١٩٧٣ فى نفس المكان الذى قدّرته القيادة العامة عام ١٩٧٠ (أى فى منطقة الدفرسوار) ، ولكن الفارق كان كبيرا بين قرار القائد العام فى المشروع وبين قرار القائد العام فى اكتوبر ١٩٧٣ . وكانت المواقف متشابهة فى الحالتين ، أى أن قوات النسق الأول قد نجحت فى عبور قناة السويس وانشأتا رؤوس كبارى .

تشكيل القتال لمعارك اكتوبر ١٩٧٣

عندما تبلورت الأسس الجوهرية لخطة العبور التى وضعتها هيئة عمليات القوات المسلحة عام ١٩٧٢ بدأ القائد العام الفريق أول أحمد اسماعيل فى ربيع عام ١٩٧٣ تخصيص مهام عمليات الى قادة الجيشين الثانى والثالث وقادة أفرع القوات المسلحة الرئيسية ، بهدف الدراسة ووضع الخطط التفصيلية ، وتجهيز خرائط مهام العمليات للعرض على القائد العام .

وكان جميع القادة قد تبنوا فى ذلك الوقت هدف الرئيس أنور السادات الأساسى فى هذه العمليات ، والتى تركزت فى خطة العبور الى شرق قناة السويس وانشاء رؤوس كبارى بعمق ٨ — ١٠ كم ، ثم اتخاذ مواقع دفاعية من واقع تصريح السادات نفسه فى مؤتمر قادة القوات المسلحة يوم ٣ يونيو ١٩٧١ اذ قال « أنتم مطالبون بالعمل فى حدود الامكانات المتاحة لكم لو أنكم عبرتم القناة واحتللتم عشرة سنتيمتر فقط — مع التجاوز — شرق القناة فان ذلك سوف يغير الموقف السياسى دوليا وعربيا » .

وصدرت أول وثيقة من هيئة العمليات تحدد تشكيل القوات المسلحة للعملية الهجومية على أن تشكل القوات من نسق واحد واحتياطى :

النسق الأول : قوات منطقة البحر الأحمر ـــ قوات الجيش الثالث الميدانى ـــ قوات الجيش الثانى الميدانى .

احتياطى القيادة العامة : الفرقة ٣ مشاه ميكانيكى عدا لواء ١٠ + لواء حرس جمهورى ـــ لواء ١٧٠ مظلى ـــ لواء ١٨٢ اقتحام جو ـــ لواء ٢٨ اقتحام جو + مجموعة ١٤٥ صاعقة .

وعلى مستوى كل جيش ميدانى يتم التشكيل للعملية الهجومية فى نسقين واحتياطى أسلحة مشتركة كالآتى :

الجيش الثالث الميدانى :

نسق أول = فرقة ١٩ مشاه ومعها لواء ٢٢ مدرع / فرقة مشاه ميكانيكى ، فرقة ٧ مشاه ومعها لواء ٢٥ مدرع مستقل ، لواء ١٣٠ بر مائى .

نسق ثان = فرقة ٤ مدرعة + فرقة ٦ مشاه ميكانيكى عدا لواء ٢٢ مدرع

احتياطى أسلحة متحركة = مجموعة ١٢٧ صاعقة عدا ٣ كتيبة ـــ لواء ٣٢ دفاع اقليمى ، فوج سيارات حدود .

الجيش الثانى الميدانى :

نسق أول = فرقة ١٦ مشاه ومعها لواء ١٤ مدرع ، فرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى عدا لواء ٢٤ مدرع ، لواء ١٠ مشاه ميكانيكى / فرقة ٣ مشاه ميكانيكى .

احتياطى أسلحة مشتركة = مجموعة ١٢٩ صاعقة + لواء ١٣١ دفاعى اقليمى + كتيبة مشاه كويتى .

يتضح من تشكيل القوات للعملية الهجومية أن القائد العام منذ البداية وطبقا لخطة العمليات وقبل بدئها فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قد دفع بعدد ٥ لواءات مدرعة من تشكيل قوات النسق الثانى التعبوى والاحتياطى الى قوات النسق الأول دون مبرر . ولم تكلف بواجب عمليات هجومية يتمشى مع خصائص ومميزات هذه اللواءات الخمسة المدرعة .

وكان هذا التصرف من القائد العام هو أول خطأ تكتيكى لأسلوب استخدام القوات المدرعة ، اى استخدامها فى عمليات دفاعية لتأمين رؤوس كبارى الفرق المشاه شرق قناة السويس . والتى تكلف بها عادة دبابات الفرقة المشاه وهى اكثر من ١٠٠ دبابة خصصت للعمل فى تعاون وثيق مع المشاه أو لصد هجمات مضادة محلية على رأس كوبرى الفرقة .

لماذا وقع الفريق أول احمد اسماعيل فى هذا الخطأ التكتيكى حول اسلوب استخدام القوات المدرعة ؟

١ ـــ عندما اتضح لقادة الفرق المشاه الخمسة وقت اعداد الخطة أن العملية العسكرية للعبور وانشاء رؤوس كبارى شرق القناة تقع على عاتقهم وحدهم ، وأن المجهود الرئيسى للقوات المسلحة يقع على جهد قواتهم فقط ، وكانوا جميعا قد تبينوا الهدف الرئيسى للسادات فى عبور القناة وانشاء

رؤوس كبارى وعدم التقدم شرقا ، فقد طالبوا القائد العام بامداد قواتهم بعناصر اضافية توضع تحت قيادتهم . وبرروا طلبهم بأن اضافة هذه اللواءات المدرعة سوف تكسب رأس الكوبرى قوة الصد لهجمات العدو المضادة عقب نجاحهم فى العبور .

٢ ـــ سبق للقائد العام أن رفض الفكرة الابتدائية التى أقترحها قادة الفرق المشاه بأن يقتصر العبور شرقا على لواء واحد مشاه كنسق أول لكل فرقة مشاه ، ويظل ٢ لواء مشاه ووحدات الفرقة غرب القناة ، ويمكنهم فى هذه الحالة أن يحققوا رأس كوبرى الفرقة بلواء فى الأمام و٢ لواء فى الخلف . وكان رد فعل هذا الاقتراح لدى القائد العام شعوره بتردد القادة وتخوفهم من نتائج عبور الفرقة المشاه بوحداتها كاملة شرق القناة ولتنمية حافز هؤلاء القادة قام القائد العام باجراء يخالف اساليب استخدام القوات فى الميدان بتقليل حجم الاحتياطيات التعبوية بانتزاع ٥ لواءات مدرعة من جملة ماتملكه القوات المسلحة وعددها ٩ لواءات مدرعة وضمها الى قوات النسق الأول .

أدت استجابة القائد العام لطلبات قادة الفرق المشاه الخمس الى تفتيت الفرق الثلاث الميكانيكية المخصصة كاحتياطى تعبوى وتوزيع لواءاتها المدرعة على الفرق المشاه ، بالاضافة الى لواء مدرع مستقل ، كما سحب لواء مدرعا فى الفرقة ٢١ مدرعة لنفس الغرض .

علما بأن الفرقة فى تنظيم قواتنا المسلحة هى وحدة القتال الأساسية التى يمكن الاعتماد عليها فى شتى العمليات ، خاصة فى مسارح العمليات المفتوحة مثل عمليات الأراضى الصحراوية ذات المواجهات الكبيرة .

وللتأكيد على صحة هذا التنظيم فان العدو عندما قام بهجومه المضاد ضد قواتنا التى عبرت بنجاح قناة السويس ، جمع لواءاته فى شكل مجموعات قتال ، كل مجموعة فى يد قائد واحد لاتختلف فى تنظيمها وتسليحها عن تنظيم وتسليح الفرقة المصرية .

ولكى أوضح مدى التفتت والتوزيع الذى أصاب التشكيلات الاحتياطية واحتياطى القيادة العامة اذكر بالتفصيل أمثلة للتشكيلات التالية :

الفرقة ٣ مشاه ميكانيكى

- كانت فى احتياطى القيادة العامة بالمنطقة المركزية بالقاهرة عند بدء التخطيط لمعارك اكتوبر ١٩٧٣ .
- سحب منها لواء ١٠ مشاه ميكانيكى اثناء عملية التجميع لمعركة العبور بناء على رغبة قائد الجيش الثانى اثناء عملية تنظيم التعاون للمعركة فى سبتمبر ١٩٧٣ ، لتكون احتياطى الجيش الثانى فى القنطرة غرب . ووافق الرئيس السادات فورا على رأى قائد الجيش الثانى وكان الرئيس السادات يرأس هذه الجلسة .

- انتزع لواء ٢٣ مدرع من الفرقة ٣ مشاه ميكانيكى يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ وتحرك الى منطقة تقاطع عثمان فى قطاع الجيش الثانى جنوب ترعة الاسماعلية .
- بقيت قيادة الفرقة ٣ مشاه ميكانيكى ومعها لواء مشاه ميكانيكى فى المنطقة المركزية الى أن صدرت لها الأوامر بالتحرك الى قطاع الجيش الثالث .

والكروكى المرفق يبين الوحدات الفرعية للفرقة ٣ مشاه ميكانيكى وأماكن توزيعها داخل قطاعى الجيش الثانى والجيش الثالث . مرفق رقم (٥) .

الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى

- كانت متمركزة فى احتياطى القيادة العامة فى القاهرة ثم تحركت الى منطقة تجمع فى كيمان النهدين شمال ترعة الاسماعيلية .
- سحب منها لواء ٢٤ مدرع اثناء عملية التجميع للعبور يوم ٦ اكتوبر لتكون احتياطى قائد الجيش الثانى شرق قناة السويس وعبرت مع الفرقة ٢ مشاه فى قطاعها .
- كلف لواء ١١٨ مشاه ميكانيكى بالدفاع عن منطقة الاسماعيلية ومركز قيادة الجيش الثانى المتقدم ، وسحبت منه كتيبة مشاه ميكانيكى مدعمة للعبور فى قطاع الفرقة ٢ مشاه شرقا لتأمين المنطقة خلف الفرقة ٢ مشاه شرق القناة .
- صدرت الأوامر ليلة ١٤/١٣ اكتوبر الى لواء ١١٦ مشاه ميكانيكى بالتحرك الى منطقة عثمان أحمد عثمان جنوب الترعة لسد الفراغ الناشىء عن دفع الفرقة ٢١ مدرعة شرقا ، ثم صدرت له الأوامر صباح يوم ١٠/١٦ بالتعامل مع قوات العدو التى عبرت عند الدفرسوار .

والكروكى المرفق يبين الوحدات الفرعية للفرقة وأماكن توزيعها وتفتيتها داخل قطاع الجيش الثانى . مرفق رقم (٦) .

الفرقة ٦ مشاه ميكانيكى

- كانت تتمركز فى احتياطى القيادة العامة فى القاهرة .
- وضعت الفرقة كاحتياطى تعبوى للجيش الثالث وتمركزت فى بئر عديب .
- انتزع لواء ٢٢ مدرع من الفرقة وألحق على فرقة ١٩ مشاه للعمل فى تعاون وثيق مع المشاه . عبر القناة ليلة ٩/٨ اكتوبر .
- ترك اللواء ١١٣ مشاه ميكانيكى من نفس الفرقة دفاعاته الميدانية فى بئر عديب الى لواء مشاه مغربى ، وتحرك الى منطقة ١٠٩ طريق السويس حيث مقر قيادة الفرقة ٦ مشاه ميكانيكى ، حيث تم تفتيت اللواء الى كتائب كالآتى :

أ - كتيبة مشاه ميكانيكى من اللواء كلفت بصد هجوم العدو المدرع ، وأخذت مواقع دفاعية من القناة غربا حتى جبل جنيفة . واستشهد قائدها وضباطها جميعا .

ب ـــ كتيبة مدرعة اللواء عدا سرية اشتركت فى عمليات الهجوم شرقا يوم ١٠/١٤ مع لواء ٣ مدرع من الفرقة ٤ مدرعة .
جـ ـــ كتيبة مشاه ميكانيكى مدعمة بسرية دبابات كلفت بصد تقدم العدو فى وادى جاموس يوم ١٠/١٩ .

والكروكى المرفق يبين الوحدات الفرعية للفرقة ٦ مشاه ميكانيكى وأماكن توزيعها داخل نطاق الجيش الثالث الميدانى . مرفق رقم (٧) .

الفرقة ٢١ مدرعة

ـــ الفرقة ٢١ مدرعة ضمن تجميع الجيش الثانى كاحتياطى تعبوى مقرها وصلة عثمان .
ـــ انتزع لواء ١٤ مدرع للانضمام الى قطاع الفرقة ١٦ مشاه شرق القناة ليلة ٧/٦ اكتوبر مهمة تنسيق التعاون مع المشاه .
ـــ كلف لواء ١ مدرع من الفرقة ٢١ مدرعة بالانضمام الى لواء ١٤ مدرع للقيام بعمليات الهجوم شرقا يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ .
ـــ لواء ١٨ مشاه ميكانيكى من نفس الفرقة احتل مصاطب على الضفة الغربية منطقة فايد ، ثم عبر القناة فجر ١٠/١٤ للعمل كنسق ثان للفرقة ٢١ مدرعة فى عمليات الهجوم يوم ١٠/١٤ .
ـــ أعيدت الفرقة ٢١ مدرعة الى وصلة تقاطع عثمان اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/٢١ ، بعد خسائر كبيرة للفرقة خلال معارك يوم ١٤ و١٥ و١٩٧٣/١٠/١٦ .

الفرقة ٤ مدرعة

ـــ الفرقة الرابعة المدرعة ضمن تجميع الجيش الثالث الميدانى واحتياطى تعبوى غرب القناة منطقة الجوف .
ـــ كلف لواء ٣ مدرع فى الفرقة للقيام بعمليات الهجوم شرقا يوم ١٠/١٤ فى اتجاه ممر متلا ـــ عبر القناة ليلة ١٣/١٢ اكتوبر وفشل هجوم اللواء وعاد الى رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاه .
ـــ كلف قائد الفرقة ٤ مدرعة بالتحرك وقيادته ولواء مدرع وعناصر من الفرقة الى وصلة عثمان يوم ١٠/١٨ بهدف حماية النطاق التعبوى لقطاع الجيش الثانى والثالث معا . وهى المهمة التى كانت تشغلها الفرقتان المدرعتان ٢١ و٤ قبل توزيعهما وتفتيتهما .
ـــ أعيد تجميع الفرقة ٤ مدرعة مرة أخرى فى منطقة الجوف اعتبارا من ليلة ١٩ اكتوبر .

وكان توزيع ٥ لواءات مدرعة من صلب تنظيم الفرق الميكانيكية والمدرعة واضافتها تحت قيادة الفرق المشاه الخمس وقيامها بمهام مشابهة لمهام دبابات المشاه ضمن تنظيم الفرق المشاه فيه تبذير واستهلاك دون مبرر فى عملية اقتحام المانع المائى ، وانشاء رؤوس كبارى على الشاطىء الشرقى للقناة . اذ أنها عملية تعتمد أساسا على عناصر المشاه والمدفعية المضادة للدبابات والمهندسين ، وان الفرقة المشاه بها

٤ كتائب دبابات أى أكثر من ١٠٠ دبابة ضمن تنظيمها العضوى ، يمكنها القيام بالتعاون مع وحدات المدفعية المضادة للدبابات طويلة المدى لصد وتدمير أى عملية هجوم مضاد من العدو ، بالاضافة الى أن هذا التوزيع للواءات المدرعة قد تم لصالح الفرق المشاه لدواع نفسية فقط ، دون الحاجة الى الاستخدام ، وفى نفس الوقت سبب إضعافا ملموسا فى قدرة الاحتياطات التعبوى المكلف بحماية النطاق التعبوى للجيشين الثانى والثالث غرب القناة .

من المبادىء المسلم بها فى قوانين استخدام القوات فى الميدان بالنسبة لأمن القوات فى أى مرحلة من مراحل العمليات ، أن القوات الاحتياطية بأنواعها المختلفة تعبوية أو استراتيجية أو قيادة عامة ، تعتبر صمام الأمان لسلامة وتأمين القوات فى مسرح العمليات ضد التطورات غير المتوقعة من العدو فى المعركة .

وان غياب هذه الاحتياطيات أو التقليل من قدراتها تؤثر على توازن القوات وأمنها ، وتعطى العدو فرصة للحصول على نصر نظير اخطاء وقع فيها القائد العام .

وكانت اسرائيل قد تمكنت من معرفة خلو النطاق التعبوى للجيش الثالث غرب القناة من القوات المدرعة ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ ، عندما مرت طائرتا استطلاع امريكيتان من طراز SR.71A على ارتفاع عال جدا بعمليات استطلاع فوق منطقة قناة السويس ، وابلغت اسرائيل بهذه المعلومات الحيوية ، كما قامت باستطلاع جوى آخر بنفس الطريقة يوم ١٩٧٣/١٠/١٥ .

وإزاء هذه المعلومات قررت القيادة الاسرائيلية تنفيذ خطة الغزالة ليلة ١٦/١٥ اكتوبر ٧٣ بعبور القناة عند الدفرسوار واحداث الثغرة ، وتمكنت من نقل المعركة غرب القناة ، واصابة شبكة الصواريخ سام وتهديد سلامة القوات المسلحة الموجودة شرق القناة ، كما سوف أوضحه فى فصول تالية .

انتزاع وحدات المدفعية المضادة للدبابات « المالوتكا »

تمادى قادة الفرق المشاه المكلفة بعملية العبور فى طلباتهم الاضافية من القائد العام ، وطالبوه بانتزاع كتائب المدفعية المضادة للدبابات الصاروخية الموجهة « المالوتكا » من وحداتها الأصلية فى النسق الثانى التعبوى ومن وحدات احتياطى القيادة العامة التى لن تشارك فى عمليات العبور والحاقها على فرقهم ، علما بأن كل فرقة مشاه بها أسلحتها المضادة للدبابات المالوتكا وغيرها من آر . ب جى القصير بالاضافة الى المدفعية المضادة للدبابات الخفيفة والطويلة المدى .

تجاوب القائد العام مع طلباتهم وانتزع وحدات المدفعية المضادة للدبابات الماتولكا من تشكيلاتها الأصلية ووزعها على الفرق المشاه .

وبعد نجاح الفرق المشاه فى مهمتها بعبور القناة وانشاء رؤوس كبارى ٨ ــــ ١٠ كم ، كان من العسير اعادة الوحدات الاضافية التى دعمت بها الفرق المشاه ، وهى لواء مدرع لكل فرقة وأسلحة

مضادة للدبابات « المالوتكا » ، واعادتها الى وحداتها الأصلية ، وذلك لرفض قادة الفرق اعادتها خوفا من هجمات العدو المضادة .

وعندما أدرك رئيس الأركان الفريق سعد الدين الشاذلى خطورة الموقف العسكرى غرب القناة بعد ثغرة الدفرسوار ، طلب عودة بعض اللواءات المدرعة ووحدات المدفعية المضادة للدبابات « المالوتكا » ، ولكن الرئيس السادات مؤيدا من القائد العام رفض طلب رئيس الأركان وأصر على عدم عودة أى جندى أو أى سلاح من الشرق الى غرب القناة .

نشأ عن هذا الرفض ان تعرضت جميع الوحدات المقاتلة الموجودة غرب القناة التى انتزع منها كتائبها المضادة للدبابات لهجمات مدرعات العدو التى عبرت القناة ان تتمكن من التصدى لها أو تدميرها ، لعدم وجود سلاحها المناسب المؤثر لديها ، والذى انتزع منها من قبل . وأصبحت هذه الوحدات المقاتلة عاجزة عن الدفاع عن أنفسها ، وخسرت عدداً كبيراً من أفرادها فى كل معارك الضفة الغربية للقناة . واكتسب العدو خلال أيام قليلة من ١٠/١٧ حتى ١٠/٢٣ أكثر من ١٢٠٠ كم مربع من الضفة الغربية بسبب ضعف المقاومة الناتج عن غياب الدروع والأسلحة المضادة للدبابات « المالوتكا » ، وهما السلاحان المؤثران الذى أخطأ القائد العام وانتزعهما من تشكيلاتهما الأصلية ووزعهما على الفرق المشاه الخمس التى قامت بالعبور ، ولم يصدر تعليماته باعادتها لوحداتها الأصلية بعد نجاح العبور .

٣ ـــ نتائج تفتيت وتوزيع الاحتياطيات على سير العمليات

أ ـــ ان الفرق الثلاث الميكانيكية ٣ و٦ و٢٣ لم تعمل فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ كوحدات مقاتلة متكاملة .

ب ـــ ان قيادات الفرق الثلاث المشاه الميكانيكية ٣ و٦ و٢٣ لم تشترك فى القتال فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ .

جـ ـــ ان القائد العام قد اغفل المبادىء التكتيكية والتعبوية الأساسية فى أسلوب استخدام الاحتياطيات التعبوية على مستوى الجيوش الميدانية بسبب تفتيته وتوزيعه وحداتها وأسلحتها المضادة للدبابات على الفرق المشاه التى قامت بالعبور .

د ـــ كان لتدخل القيادة السياسية فى توزيع التشكيلات الميدانية لأغراض العملية الهجومية(*) ، كذا فى سير العمليات ، أثره الضار على نتائج المعركة . وهذا يؤكد ضرورة تحديد العلاقات والمسئوليات والارتباط بين القيادة السياسية وبين الاستراتيجية العسكرية ، اذ أنهما تكملان بعضهما ، ولا يمكن تطبيق السياسة بمعزل عن الاستراتيجية والتزاماتها .

(*) كان الرئيس السادات قد امر بانتزاع لواء ١٠ مشاه ميكانيكى من الفرقة ٣ مشاه ميكانيكى احتياطى قيادة عامة بالقاهرة ، والحاقه احتياطى تعبوى غرب القنطرة .

ومن هذه النتائج والتحليل العلمى لأول تطبيق ميدانى بعد اعادة تنظيم قواتنا المسلحة على نظام « الفرق » كتشكيل ميدانى يعتمد عليه ، وتعمد الاخلال به قبل بداية عمليات أكتوبر ١٩٧٣ ، يجعلنا ونحن نعيد على أنفسنا احداث وتطورات المعركة لانتعجب للنتيجة التى وصلت اليها هذه المعارك فى أكتوبر ١٩٧٣ .

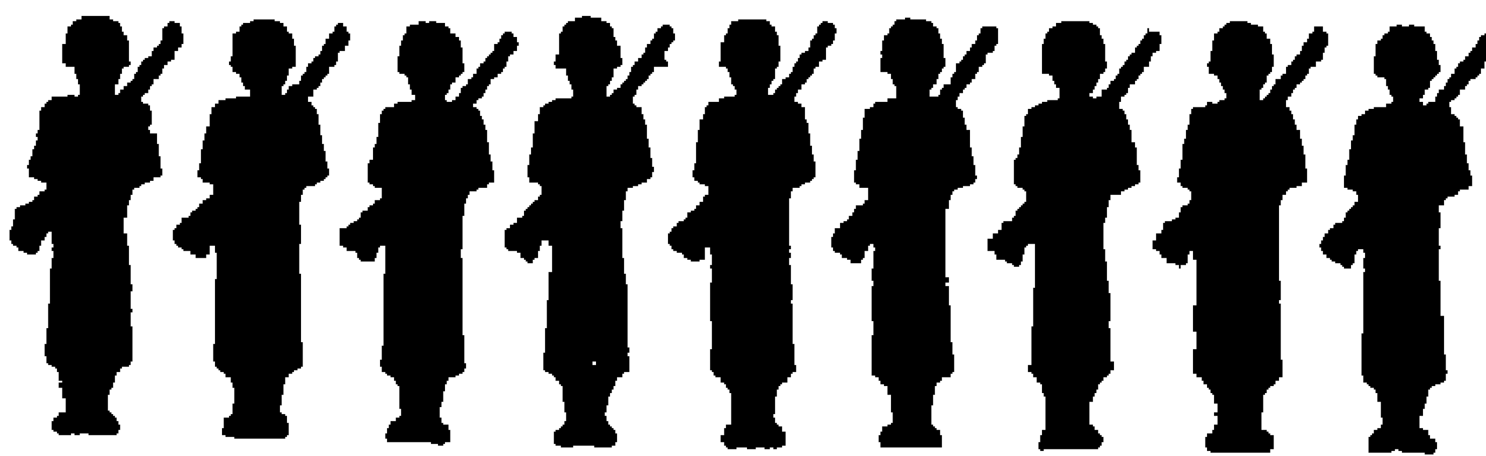
وجاءت مناسبة عابرة قابلت فيها المشير أحمد اسماعيل على بعد انتهاء معارك اكتوبر ١٩٧٣ بسنة تقريبا ، وسألته عن سبب تفتيته للاحتياطى التعبوى منذ بداية العمليات ، وعن سبب دفع الاحتياطيات الباقية غير القادرة على الهجوم الى الشرق . وتعرض أمن القوات المسلحة فى مسرح عمليات جبهة السويس لخطر تهديد العدو باختراقها وخلو النطاق التعبوى للجيشين الثانى والثالث غرب القناة من أى دروع .

رد المشير احمد اسماعيل عن السؤال الأول : « ان قادة الفرق المشاه كانوا مترددين فى قبول اقتحام قناة السويس بفرقهم المشاه « وضغطوا » طالبين دعمهم بلواءات مدرعة من الاحتياطيات ، كذا دعمهم اضافيا بكتائب المالوتكا المضادة للدبابات ، واننى قبلت ذلك تحت ضغط منهم . اذ أن معركة اقتحام المانع المائى كانت هى الأساس الذى نعتمد عليه فى تحرير سيناء .

أما رده على السؤال الثانى فاقتصر على قوله « انه قرار سياسى » صدر من الرئيس السادات أى انه يحمل مسئولية الخطأ الذى ترتب وراء تنفيذ هذا القرار والمعارك الاضافية الفاشلة على الرئيس السادات .

الفصل الخامس

معركة العبور



معركة العبور هى قمة الأعمال الميدانية التى حدثت فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ ، والتى استغرقت ٤٨ ساعة فقط ، نجحت فيها قواتنا نجاحا باهرا بأقل جهد ممكن وبأقل خسائر أيضا . ان السهولة واليسر فى معركة العبور لم يكونا متوقعين لأحد . حتى ان القائد العام نفسه قال بعد نجاحها مباشرة : « اننى تصورت أننا نجرى بيانا عمليا فى وقت السلم » .

ان خطوات واجراءات معركة العبور لم تكن خافية بتفصيلاتها ومشاكلها على، اذ اننى كنت اشجع الوحدات الصغيرة والأفراد المقاتلين على العبور منذ عام ١٩٦٨ ، وان أوضاع القوات المصرية واهدافها منذ ذلك التاريخ لم تتغير والكروكى المرفق يبين اوضاع التشكيلات الميدانية خلال سنوات الاعداد لمعركة التحرير مرفق رقم (٨) .

خطة العدو الدفاعية

١ ــ قسم العدو جبهة قناة السويس الى ثلاثة قطاعات رئيسية تشمل ثلاثة اتجاهات رئيسية :
ــ القطاع الشمالى ويدافع عن الاتجاه القنطرة ــ العريش .
ــ القطاع الأوسط ويدافع عن الاتجاه الاسماعيلية ــ ابو عجيلة .
ــ القطاع الجنوبى ويدافع عن الاتجاه السويس ــ الممرات .

٢ ــ يتم الدفاع على شكل نسقين واحتياطى

فى النسق الأول : خط بارليف ويحتله لواء مشاه احتياط قوامه ٥٠٠ فرد تقريبا داخل ١٦ موقعاً حصينا بينهما فواصل مجهزة بمرابض (مصاطب) نيران الدبابات بمعدل مربض كل ١٠٠ متر .

النسق الثانى : على مسافة بين ٥ الى ٨ كيلو مترات شرق القناة وتحتله ثلاث كتائب دبابات ، كتيبة فى كل قطاع قوامها جميعا ١٢٠ دبابة ، يدعمها ٧ كتائب مدفعية ميدان .

الاحتياط : يتكون من ثلاثة ألوية عدا ثلاث كتائب دبابات على مسافة ٢٥ ــ ٣٠ كيلومترا من النسق الأول قوامها ٢٤٠ دبابة أى فى منطقة المضايق الجبلية .

٣ ــ عند رفع درجات الاستعداد يندفع النسق الثانى لدعم النسق الأول ويحتل الاحتياطى مكان النسق الثانى فى مرابض مجهزة ، أى تنضم الـ ١٢٠ دبابة الى مواقع خط برليف . اما داخل المواقع الحصينة فيها أو فى الفواصل المجهزة بينها .

رفع العدو الاسرائيلى شرق القناة درجة استعداد قواته قبل ساعات من بدء هجوم قواتنا . الا أن القوات الاسرائيلية لم تنفذ الخطة الدفاعية المنصوص عليها كتعليمات مستديمة ، سوى تحرك بعض الدبابات الى مصاطبها فى القطاع الشمالى فى مواجهة الجيش الثانى . وهو موضوع ملفت لنظر أى باحث ، ولكنه ينضم الى جملة الاجراءات الأخرى التى اتهمت فيها القيادة الاسرائيلية بالتقاعس لمواجهة الضربة المصرية قبل وبعد حدوثها مباشرة .

تحضيرات معركة العبور

١ ــ تنفيذا لخطة العبور قامت جماعات من الصاعقة وأفراد من المهندسين بغلق فتحات مواسير قاذفات اللهب تحت الماء ليلة ٥/٦ اكتوبر ، ومن قبيل التأكيد اندفعت بعض جماعات الصاعقة قبل بدء الاقتحام مباشرة بالسباحة تحت سطح القناة للتأكد من غلق هذه المواسير . وكانت بداية موفقة لدرء اكبر خطورة تحبط اقتحام قناة السويس .

وكان أسلوب اسرائيل فى استخدام هذه القواذف قد أعد منذ عام ١٩٧٠ وتم تجربته بعيدا عن أعين قواتنا فى بحيرة البردويل فى آخر فبراير ١٩٧١ ونجح نجاحا باهرا وكانت القذفة الواحدة مشتعلة ٣٠ ــ ٤٠ دقيقة بدرجة حرارة تصل الى ٧٠٠ مئوية ولهيبها يصل الى ارتفاع ٤ أقدام مؤثرا جدا من الناحية المعنوية ضد المقاتلين الذين يحاولون اقتحام قناة السويس .

وكانت اسرائيل قد حددت قناة السويس كفاصل جغرافى يمنع عبوره بواسطة المصريين ، وعلى ذلك أصبح اسلوب استخدام مواسير اللهب تحت الماء ، كذا مرابض نيران الدبابات على الساتر الترابى شرق القناة ، وخطة نيران الأسلحة الصغيرة من نقاط خط برليف الحصينة والمسيطرة قواتنا بالنظر والنيران على سطح مياه القناة هى الوسائل الكفيلة لحرمان قواتنا من العبور .

٢ ــ مع بداية اقتحام قناة السويس سعت ١٤٢٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ دفعت لواءات النسق الأول جماعات من رجال الصاعقة لاحتلال مرابض نيران دبابات العدو على الساتر الترابى شرق القناة وذلك لحرمان دبابات العدو من احتلالها ووضعت بعض الغام فى طرق الاقتراب اليها .

اقتحام قناة السويس

١ ــ كان عبور ٢٠٠ طائرة مقاتلة / قاذفة قناة السويس سعت ١٤٠٠ على ارتفاع منخفض جدا هى علامة بدء اقتحام قواتنا . وقامت بتوجيه ضربة ابتدائية مفاجئة على مواقع العدو الحيوية واهدافه فى العمق التعبوى فى سيناء حتى مسافة ١٠٠كم ، واعتبرت هذه المسافة دليلا على قدرة قواتنا الجوية

فى مساهمتها ومعاونتها لهجوم قواتنا فى سيناء . ولو ان نتائج هذه الضربة لم تعرف تفصيليا اذ لم يتم استطلاع جوى سريع فى اعقابها لمعرفة تفصيلات وتأثير الضربة الأولى على العدو ، وقد خسرنا فى هذه الطلعة طائرة واحدة مقاتلة قاذفة حسب نص البيان الأول الصادر عن قيادة القوات المسلحة يوم ٦ أكتوبر ٧٣ . وكان من المخطط قيام القوات الجوية بضربة اخرى قبل حلول الظلام الا ان القيادة العامة خشيت من استعداد الطيران الاسرائيلى لمواجهتها بعد انذاره بالهجوم الجوى الأول ، وأمرت بالغائها . ويعتبر هذا الحدث بداية سيئة لقواتنا الجوية التى عاصرتها تقتحم وتقاتل العدو بالمواجهة ، وبعد انذاره علنا فى الأشهر الأخيرة من حرب الاستنزاف .

٢ ــ سعت ١٤٠٥ بدأت مدفعيتنا تصب قذائفها على النقط الحصينة فى خط برليف فى تمهيد نيرانى بعدد ٢٠٠٠ مدفع وهاون ولمدة ٥٣ دقيقة .

٣ ــ نجح اللواء البرمائى ١٣٠ من كتيبتين عبر البحيرات المرة من طرفها الجنوبى بقوة ٢٠ دبابة ت ٧٦ و٨٠ مركبة توباز .

٤ ــ سعت ١٤٢٠ بدأت الموجات الأولى من المشاه التجديف تجاه الشاطىء الشرقى (الموجة حوالى ٤٠٠٠ رجل ٧٢٠ قاربا مطاطا) ووصلت الى الشاطىء الشرقى للقناة سعت ١٤٣٠ واحتلت الساتر الترابى ، وكان الفاصل بين اللواءات المهاجمة ٨٠٠ متر والفاصل بين الفرق ١٥ كيلو مترا .

وكان ترتيب الفرق المشاه من الشمال الى الجنوب مثل أوضاع الفرق المشاه فى الدفاع غرب قناة السويس منذ ١٩٦٨ كالآتى :

الجيش الثانى ــ القطاع الشمالى والأوسط ــ قوات بورسعيد (لواء ٣٠ ولواء ١٣٥ مشاه مستقل) ــ فرقة ١٨ مشاه فرقة ٢٠ مشاه ثم فرقة ١٦ مشاه .

الجيش الثالث ــ القطاع الجنوبى ــ لواء ١٣٠ بر مائى ــ الجزء الجنوبى من البحيرات المرة ــ الفرقة ٧ مشاه ــ الفرقة ١٩ مشاه .

وكان الفاصل الجغرافى بين الجيشين هو ٤٧ كيلومترا تقريبا .
والكروكى المرفق بين اوضاع التشكيلات الجيشين الثانى والثالث بعد نجاح عملية العبور ــ مرفق (٩) .

وعبرت الموجة الثانية من المشاه حوالى سعت ١٤٤٥ ، وتلتها الموجات الأخرى بمعدل حوالى ١٥ دقيقة بين كل موجة واخرى . وبانتهاء الموجة الرابعة كانت قد عبرت ٢٠ كتيبة مشاه قوامها ٨٠٠ ضابط و١٣٥٠٠ مقاتل ومعهم الأسلحة التى يستطيعون حملها أو جرها ، ومع استمرار وصول الموجات المتتالية أخذ العبء الرئيسى للمعركة ينتقل الى وحدات المشاه التى نجحت فى العبور . وحتى سعت ١٦٣٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، تم عبور ٨ موجات من المشاه ، كونت ٥ رؤوس كبارى فرق على الجانب الشرقى كل منها قاعدته من ٦ ــ ٨ كيلومترات وعمق حوالى ٢ كيلومتر ، تحتلها ٣٠ كتيبة مشاه (١٥٠٠ ضابط ٢٢٠٠٠ مقاتل) . وتمكنت بعض عناصر المشاه من مهاجمة بعض نقط بارليف وسقطت فى يد قواتنا .

وحتى سعت ١٧٢٠ أصبح لقواتنا على الشاطىء الأخير ٤٥ كتيبة ، قوامها حوالى ٢٠٠٠ ضابط ٣٠٠٠٠ مقاتل . وزاد عمق رؤوس الكبارى الى ٣ ــ ٤ كيلو مترات ووصل العمق الى ٥ كيلومترات .

٥ ــ سعت ١٤٣٠ بدأت عناصر المهندسين بالعمل فى فتح الثغرات فى الساتر الترابى باستخدام اجهزة المياه (٧٠ فصيلة معها ٣٥٠ مضخة مياه).

سعت ١٨٣٠ تمكنت وحدات المهندسين من فتح أول ثغرة فى الساتر الترابى أى بعد أربع ساعات من عبور الموجة الأولى من المشاه .

وبحلول الظلام سعت ٢٠٣٠ كان قد أصبح لنا ٣١ معدية تعمل بين الشاطئين الشرقى والغربى ، وتم أيضا بناء أول كوبرى ثقيل على القناة .

سعت ٢٢٣٠ يوم ٦ أكتوبر اتم المهندسون الأعمال الهندسية التالية :

ــ فتح ٦٠ ثغرة فى الساتر الترابى .

اتمام تركيب ٧ كبارى ثقيلة .

اتمام بناء ٤ كبارى خفيفة هيكلية .

اتمام بناء وتشغيل ٣١ معدية .

وحتى صباح يوم ١٠/٧ كان قد تم تركيب ٤ كبارى ثقيلة اخرى وبذا تخصص ٢ كوبرى لكل فرقة .

٦ ــ سعت ١٥٠٠ بدأ هجوم العدو الجوى على قواتنا مركزا هجومه على المعابر الرئيسية ولكنه فوجىء بكثافة نيران أسلحة الدفاع الجوى الكثيفة ، كذا أنواع الأسلحة والصواريخ المتعددة ، ودمر للعدو فى أول يوم ١٣ طائرة مقاتلة . واستمر فى هجماته ليلا وبتركيز وكثافة وتحمل تدمير عدد كبير من طائراته . حتى ان قيادته أصدرت أمرا لجميع الطيارين بعدم الاقتراب من القناة ١٥ ــ ٢٠ كيلو شرقا ، وذلك خوفا من زيادة خسائر الطيران الاسرائيلى ، وكان ذلك بفضل دقة وكثافة شبكة الدفاع الجوى غرب القناة .

عمليات قطاع بورسعيد

١ ــ قام لواء ٣٠ مشاه مستقل مدع.م بالكتيبة ٢٠٣ صاعقة بعملية خاطفة ضد نقاط العدو الحصينة شرق قناة السويس فى نفس توقيت العبور يوم ١٠/٦ وهى :

ــ نقطة قوية عند علامة كم ١٠ شرق القناة

ــ نقطة قوية عند علامة كم ١٩ شرق القناة وهى أول نقطة تسقط فى خط بارليف كما تم اسقاط طائرة ميراج للعدو بواسطة صاروخ سام ٧

ــ نقطة قوية عند تقاطع طريق رمانة شرق القناة

واتبعت الكتيبة وعناصر الدعم اسلوب الاقتناص وعمليات كمائن ضد العدو المتمركز فى النقاط

الثلاث المذكورة . ونجح اللواء فى عدة ساعات قليلة من القضاء على مقاومة العدو بعد ان دمر له ١٠ دبابات و٦٠ قتيلا وأسر ٢٦ فردا .

٢ ـــ قام لواء ١٣٥ مشاه مستقل يوم ١٠/٦ بهجوم على حصن بورفؤاد بعد قذفه جوا من طائرات الـ ٢٨ قاذف خفيف وتمهيد نيرانى ومعاونه سرية صاعقة مستخدمة اتجاهين : برى على الشريط الضيق ، وابرار بحرى ، ولكن الهجوم فشل . عاود لواء هجومه ثانية يوم ٧٣/١٠/١٥ بمعاونة كتيبة ١٠٣ صاعقة مجموعة ١٣٩ ومساندة ٢ طائرة سوخوى سقطت إحداهما بأسلحة العدو ، وفشلت المحاولة الثانية بعد ان تمكنت العناصر الأمامية من دخول الموقع .

وظل هذا الموقع من ضمن مواقع بارليف قائما فى يد العدو لحين انتهاء المعركة .

عمليات لواء ١٣٠ مشاه ميكانيكى البرمائى

١ ـــ كلفت الكتيبة ٦٠٢ (لواء ١٣٠ مشاه ميكانيكى برمائى بالاستيلاء على مدخل مضيق الجدى من الغرب ، والعمل على تعطيل وصول قوات العدو التعبوية من وسط سيناء صباح يوم ١٠/٧ عبر الكتيبة بعناصرها البرمائية عبر البحيرة المرة الصغرى يوم ١٠/٦ . واتجهت الى هدفها ، ولم يكن لديها المعلومات الكافية عن قوة واوضاع العدو فى المنطقة ليلا ، ولم يقدم لها اى معونة جوية أو دعم مدفعية ، وكانت مسئولية القيادة والسيطرة عائمة بين القيادة العامة وبين قيادة الجيش الثالث والفرقة ٧ مشاه . وفشلت الكتيبة فى قتالها الليلى مع العدو بقوة كتيبة مدرعة وخسرت معظم معداتها وارتد ماتبقى مواقع قواتنا شرق القناة .

٢ ـــ كلفت الكتيبة ٦٠٣ (لواء ١٣٠ مشاه ميكانيكى برمائى) بالاستيلاء على مدخل مضيق متلا من الغرب والعمل على تعطيل وصول قوات العدو التعبوية من وسط سيناء صباح يوم ١٠/١٧ . عبرت الكتيبة بعناصرها البرمائية عبر البحيرة بعد الكتيبة ٦٠٣ وتقدمت فى اتجاه هدفها ، الا ان تعليمات صدرت بايقاف هذه المهمة عقب معرفة النتائج التى وصلت اليها الكتيبة ٦٠٣ قبل ذلك . ثم كلفت الكتيبة يوم ١٠/٩ باحتلال حصن كبريت الخالى من العدو ، حيث انضم اليها قيادة اللواء ١٣٠ برمائى .

عمليات الصاعقة

شملت خطة العبور الكبرى لقناة السويس يوم ١٠/٦ قيام بعض وحدات من الصاعقة بتأمين عملية العبور وحصار ارض العمليات من التدخل السريع لقوات العدو التعبوية من العمق بابرار وحدات صاعقة لعمل كائن فى مناطق حساسة تحقق هدف التخطيط وهى :

١ ـــ عملية كائن تل فرما يوم ١٠/٦ .

تم ابراز سرية صاعقة من المجموعة ١٣٦ (٣ ضباط ١٢٠ جنديا) بطائرة هليكوبتر الى تل فرما غرب رمانه فى القطاع الشمالى بهدف تعطيل تقدم القوات المدرعة المعادية المنتظر وصولها فى اليوم

التالى الى قناة السويس . نجحت السرية عدة ساعات ولكن عدم تكافؤ القوى بالاضافة الى السيطرة الجوية فشلت العملية واستشهد جميع افرادها .

٢ ــ عملية ممر الجدى

تم ابرار جوى بقوة كتيبة صاعقة من المجموعة ١٣٩ شرق ممر الجدى مساء يوم ١٠/٦ بهدف تعطيل تقدم العدو عبر الممر . فقد الاتصال بالقوة ولم تعرف نتائجها .

٣ ــ عملية ممر سدر

تم ابرار جوى بقوة كتيبة ١٤٣ صاعقة من المجموعة ١٤٥ بواسطة ١٢ طائرة هليكوبتر على ممر سدر . تمكن العدو من اسقاط ٤ طائرات ، ونجح باق الأفراد من عمل الكمائن شرق وغرب الممر ، ونجحوا فى حرمان العدو من استخدام الممر ١٦ يوما ، ثم ارتدت القوة الى رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاه سيرا على الأقدام ٦٠ كيلو مترا .

ان فشل كمائن الصاعقة واستشهاد اعداد كبيرة من أفرادها ، فضلا عن تدمير عدد كبير من طائراتهم الهليوكوبتر دون مبرر ، يرجع الى سوء التخطيط لهذه العمليات . فقد نصت قوانين الحرب فى أسلوب استخدام القوات الخاصة . أن القوة التى تكلف بمهمة خاصة مثل عمليات الكمائن المذكورة يجب أن تلحقها القوة الأساسية بعد ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة على الأكثر وهى المدة التى يمكن للفرد المقاتل أو مجموعة الأفراد أن يعتمدوا على أنفسهم فى المعيشة ذاتيا . وان تخطيط عبور قناة السويس لايهدف اطلاقا وصول القوات المهاجمة الى شرق المضايق بعد ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة . معنى ذلك أن المخطط ترك أفراد كتائب وسرايا الصاعقة الى حظهم العسر منذ البداية .

ان استخدام أعداد كبيرة من وحدات الصاعقة فى كمائن بعيدة عن القوات الأساسية ربما تنجح لعدة ساعات ، ولكنها لايمكنها الاستمرار لإنجاز مهامها ، وزادت الكارثة أكثر عن مصير هذه الوحدات عندما نفذت عملية الإبرار الجوى ، مستخدمة طائرات الهليوكوبتر دون حماية جوية من المقاتلات الليلية .

وحتى الساعة ٨٠٠ صباح الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ كانت قواتنا قد حققت نجاحا حاسما فى معركة القناة ، وحطمت نقاط خط بارليف القوية فى ١٨ ساعة ، عدا نقطة قوية فى أقصى القطاع الشمالى (شرق بورفؤاد) ، ونقطة أخرى قوية فى أقصى الجنوب فى منطقة بورتوفيق . وتمكنت الجيوش من ادماج رؤوس كبارى الفرق المشاه فى رأس كوبرى واحد يضم قوات كل من الجيشين الثانى والثالث . وكان رأس كوبرى الجيش الثانى يمتد من القنطرة شمالا حتى الدفرسوار جنوبا بعمق حوالى ١٠ كيلومترات .

وكان رأس كوبرى الجيش الثالث يمتد من البحيرات المرة شمالا الى بورتوفيق جنوبا بعمق ١٠ كيلومترات . وتوجد ثغرة كبيرة بين الجيشين تصل الى ٤٧ كيلومتراً وهى تقريبا تشكل حدود البحيرات المرة من الناحية الشرقية .

وكان حجم تسليحنا الذى استقر فى مواقعه الدفاعية فى رؤوس كبارى الجيشين الثانى والثالث شرق قناة السويس هو :

٢٠٠ دبابة ت ٦٢ مجهزة بمدفع ١١٥ مم .

٥٠٠ دبابة ت ٥٤ و ت ٥٥ مجهزة بمدفع ١٠٠ مم .

٢٨٠ دبابة ت ٣٤ مجهزة بمدفع ٨٥ مم .

٢٠ دبابة ت ٧٦ مجهزة بمدفع ٧٦ مم .

هجوم العدو المضاد

عقب اقتحام قواتنا قناة السويس سعت ١٤٢٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ اسرعت قوات النسق الثانى للعدو ، والتى تتكون من ثلاث كتائب مدرعة (١٢٠ دبابة) بالهجوم السريع على قواتنا شرق القناة صباح يوم ١٠/٧ ، وكانت قوات العدو تتمركز على مسافة ٥ — ٨ كيلومترات من الشاطىء الشرقى للقناة ، واعتمدت القوات الاسرائيلية فى هجومها السريع على اسلوب الحرب النفسية التى اتبعتها القوات الاسرائيلية فى معركة يونيو ١٩٦٧ — وهو الاندفاع بأى قوات مدرعة حتى لو كانت صغيرة (سرايا مدرعة) بقوة معتمدة على خفة حركتها وعلى مدى تأثير مدافعها ، بهدف ارباك قواتنا وزعزعتها . وخاب ظن العدو هذه المرة ، اذ انه لم يدرك ان الجندى المصرى قد اختبر أساليب العدو من خلال المواجهة اليومية خلال حرب الاستنزاف ووجه الى دبابات العدو سيلا من القذائف المضادة للدبابات بأنواعها المختلفة ، القصيرة والطويلة والصاروخية . كما وجد اختلافا كبيرا فى المقاتل المصرى وراء هذا السلاح . وفشلت جميع الهجمات المضادة المحلية السريعة التى قام بها العدو ، وخسر فيها ١٢٠ دبابة تقريبا ، كانت تشكل قوات النسق الثانى للعدو .

هجوم العدو لتثبيت قواتنا

بعد فشل الهجوم المضاد المحلى الذى قام به العدو يوم ١٩٧٣/١٠/٧ على طول المواجهة . وجه قواته الاحتياطية المحلية وقوامها ٣ لواءات مدرعة عدا ٣ كتائب (٢٤٠ دبابة) ، وكانت متمركزة ٢٥ — ٧٠ كيلو متراً خلف قوات النسق الثانى (أى فى المضايق الجبلية تقريبا) بالتقدم على المحاور الثلاثة — الشمالى والأوسط والجنوبى ، بهدف توقف قواتنا ومنعها من التقدم شرقا والعمل على تثبيتها فى المواقع التى وصلت اليها بمعاونة القوات الجوية، لحين الانتهاء من اعادة الأوضاع العسكرية فى الجبهة السورية، وذلك تطبيقا للقرار التى انتهت اليه القيادة الاسرائيلية بسبب قيام مصر وسوريا فى وقت واحد بعملياتهما العسكرية ضد اسرائيل يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، أى بالتركيز على القوات السورية فى جبهة الجولان ، مع تثبيت قواتنا على جبهة قناة السويس .

هذا الهجوم التثبيتى من القوات الاسرائيلية يومى ٨ و٩ اكتوبر ١٩٧٣ على قوات الجيشين الثانى والثالث قدرت قواتنا انه الهجوم المضاد الرئيسى للعدو وهو مايخالف الواقع . اذ لم يكلف اى لواء من اللواءات المدرعة التى قامت بهذا الهجوم المضاد بهدف محدد ظاهر يلزم العمل على تحقيقه . كما وان توزيع اللواءات الثلاثة على مواجهة واسعة يصل الفاصل بين كل هجوم واخر الى مدى أكثر من ٥٠ كجم ليس هو الاسلوب المعروف فى الهجوم المضاد الرئيسى ، حيث يتم التجميع والحشد وتركيز القوى لاتمام اختراق الدفاعات فى قطاع واحد فقط بدلاً من تشتيت الهجوم على مواجهة اكثر من ١٠٠ كيلو وعلى مواجهة الفرقة العريضة بمعنى ان العمليات التى قام بها العدو ليس من أجل اختراق دفاعاتنا ففى صباح يوم ١٠/٨ هاجم العدو بقوة لواء مدرع عدا كتيبة مواجهة الفرقة ١٨ مشاة قطاع القنطرة فى اتجاه القنطرة ، ولواء مدرع اخر عدا كتيبة مواجهة الفرقة الثانية المشاة فى اتجاه الفردان ، وكرر نفس العمليات بعد الظهر على الفرقة الثانية المشاة والفرقة ١٦ مشاه فى اتجاه الاسماعيلية .

معركة الفرقة الثانية المشاة

صباح يوم ١٠/٨ هاجم العدو جناح ايسر الفرقة الثانية المشاه بلواء مدرع فى اتجاه الفردان ضمن عمليات الهجوم التثبيتى ، واخترقت الكتيبة ١٩٠ مدرعة دفاعات الفرقة الثانية المشاة . وبدأت الدبابات الاسرائيلية تمر على حفر المشاة المموهة ، ولكن جنود المشاة استطاعوا اصطياد معظم دبابات هذه الكتيبة من الخلف والأجناب وتدميرها بكل ما لديهم من أسلحة مضادة للدبابات ، وتم اصابة دبابة قائد الكتيبة المدرعة العقيد عساف ياجورى الذى قفز ووقع فى اسر قواتنا ، ومعه عدد من جنود الكتيبة المدرعة قيادته .

وكرر العدو نفس العمليات بقوة لواء مدرع عدا كتيبة فى القطاع الجنوبى على مواجهتى الفرقتين ٧ و١٩ مشاه .

اى ان عمليات قوات الاحتياطى الاسرائيلى المحلى لجبهة قناة السويس وقوامها ثلاثة لواءات مدرعة ، عدا ثلاث كتائب قامت بعمليات هجوم تثبيتى على المحاور الثلاثة للجبهة بعد خسائر جسيمة فى الدبابات ، ولا يقبل من إسرائيل ادعاؤها انها نجحت فى ايقاف قواتنا من التقدم شرقا . اذ ان القوات المصرية لم يكن لديها النية فى تقدمها شرقا . وان ثلاثة لواءات مدرعة ، عدا ثلاث كتائب اسرائيلية لايمكنها القيام بهجوم مضاد رئيسى ضد قوات الجيشين الثانى والثالث .

وفوجئت القوات المصرية ، كما فوجىء العالم كله بقرار القائد العام بضرورة عمل وقفة اطلق عليها وقفة تعبوية صباح يوم ١٩٧٣/١٠/٩ ، لم يكن لها أى معنى من وجهة نظر العمليات العسكرية ، بعد النجاح الباهر لعبور قواتنا قناة السويس ونجاحها فى القضاء على خط بارليف وعلى قوات النسق الثانى والاحتياطى المحلى . وتأكدت الوقفة للقوات عندما حرص رئيس الأركان وقادة الجيشين بوضع ألغام أرضيه أمام خطوط القوات الامامية وذلك اثناء مرورهم على القوات الظافرة صباح نفس اليوم .

وانتهت معركة العبور مساء يوم ١٩٧٣/١٠/٨ أى بعد مرور ٤٨ فقط من بدء العبور وبلغت خسائرنا فى هذه المعركة :

٥ طائرات مقاتلة قاذفة .

٢٠ دبابة منها ٢ دبابة ت ٧٦ غرقت فى البحيرات المرة .

٢٨٠ شهيداً أى بنسبة ٣ر ٪ .

وفقد العدو :

٨٠ طائرة مقاتلة قاذفة. منها ٤٩ طائرة على جبهة الجولان ، ٣١ طائرة على جبهة قناة السويس

٣٠٠ دبابة تقريبا — ثلاثة لواءات مدرعة تقريبا .

مواقع ونقاط خط بارليف — عدا موقع شرق بورفؤاد أى مايوازى قوة افراد اللواء المشاة الاحتياطى ١١٦ الذى كان يحتل مواقع النسق الأول .

ان معركة عبور قناة السويس التى تمت فى أيام ٦ و٧ و٨ اكتوبر ١٩٧٣ تدل على حسن التخطيط والاعداد والتنفيذ .

وكانت ارادة القتال الكامنة لأفراد قواتنا المسلحة ، والتى لم يتمكن العدو من تحطيمها فى معركة يونيو ١٩٦٧ ، هى المقوم الأساسى للأداء الرائع لقواتنا فى المعارك التى تمت فى أيام ٦ و٧ و٨ أكتوبر ١٩٧٣ .

ولهذا السبب وجدنا القائد العام يركز كل جهوده المادية والبشرية وتحضيرات النيران لتحقيق الهدف النفسى للقوات « عبور قناة السويس » وتعتمد على تجميع حشد كبير جدا من القوات المشاة والمشاة الميكانيكية والمدرعة ، دون دواع ميدانية ملحة ، خوفا من انتكاسة قد تحبط كل تحضيرات معارك اكتوبر من بدايتها .

وبات واضحا قبل بدء معركة العبور أن مبدأ الحشد فى القوى الذى أقره التخطيط ، سيؤدى حتما الى نجاح عملية العبور ، ولكن على حساب اهتزاز وخلل باقى معارك اكتوبر ١٩٧٣ .

ان معركة العبور من وجهة النظر العسكرية البحتة . تعتبر عملية تكتيكية يغلب عليها الطابع الفنى ، وتمثل التعاون والتنسيق بين عدة أسلحة متعاونة لها الفضل الأكبر فى نجاحها وهى — الدفاع الجوى — المهندسون العسكريون — وحدات المدفعية المضادة للدبابات الطويلة الصاروخية . ويجدر الاشارة أن رموز هذه الأسلحة الثلاثة كانت تبدأ بالحرف م وهى م/ط وم/ع و م/د وهى بذلك استحقت دون منازع أو تشكك أوسمة نصر « وسام نجمة سيناء » ، اذ يرجع لها الفضل الأكبر فى نجاح عملية العبور بل جعلتها من وجهة النظر العسكرية البحتة عملية فنية مثالية .

وعلى المستوى التكتيكى طبقت القوات المسلحة استخدام اسلوب الفرق فى عملية العبور هو الاسلوب الذى قررته القوات المسلحة المصرية منذ اعادة تسليحها عام ١٩٥٨ وكان نجاح الفرق الخمس

المشاة فى عملية اقتحام قناة السويس اختبارا ناجحا للتنظيم وأسلوب القتال على المستوى التكتيكى للفرقة .

وعلى المستوى التعبوى كان عبور القوات القناة شرقا مطابقا لنفس ترتيب أوضاع الفرق المشاه الخمس المتمركزة فى اماكنها الدفاعية شرق القناة منذ عام ١٩٦٨ . الأمر الذى لم يخف على العدو فى التطبيق العملى عندما تم للفرق الخمس اقتحام قناة السويس يوم ٦ أكتوبر على مواجهة عريضة ، أن ينشر قواته غرب القناة على مواجهة واسعة أيضا ، وبذا يخف الضغط على قواتنا فى كل مكان تقتحم فيه قناة السويس .

وكانت التحصينات الدفاعية المتتالية شرق القناة وعلى المحاور الثلاثة فى سيناء معززة تعزيزا ضخما من قبل العدو الاسرائيلى ، الأمر الذى يستحيل على قواتنا اتمام العبور فى هذه الأماكن وحدها . وكانت الخطة منذ عام ١٩٦٨ تهدف الى تحقيق تفادى هذه المحاور بالذات ، والعمل على الالتفاف حولها بعد نجاح العبور على طول مواجهة القناة .

أما على المستوى الاستراتيجى فكان التعاون والتحالف والتنسيق الموحد فى توقيت هجوم الجبهتين السورية والمصرية فى وقت واحد أثره المميز فى عملية العبور حيث كرس العدو مجهوده الرئيسى على الجبهة السورية . وبذا سهل عمليات جبهة قناة السويس .

وكان على الجبهة الأخرى ـــ وهى المصرية ـــ استغلال هذه الفرصة المتاحة من هذا الوضع للاسراع فى متابعة الهجوم والتقدم بعد نجاح عملية العبور مباشرة واكتساب المزيد من الأراضى التى يستحيل على العدو استرجاعها فى ظل هذا التعاون والتنسيق الاستراتيجى المثمر بين الجبهتين ، ولكن لم تكلف قواتنا المسلحة بأى مهمة بعد نجاحها فى معركة العبور .

وكان المفترض بداهة أن التقدير العام لدى القيادتين ، ان القيادة الاسرائيلية لايمكنها اتخاذ اسلوب تشتيت قواها بين الجبهتين معا .

يعنى أن العمل على الجبهتين من وجهة نظر القيادتين المصرية والسورية يجب أن يكون مستمرا منذ بداية القتال وحتى نهايته أى لا وقفة تكتيكية أو تعبوية على الاطلاق .

وكان على القيادة المصرية ان يكون هدفها الأساسى هو الوصول بسرعة وبجدية الى منطقة المضايق الجبلية فى سيناء وتأمينها قبل تحويل اسرائيل مجهودها الرئيسى للجبهة المصرية ولكن كان هذا الأمل يخالف توجيهات الرئيس السادات منذ البداية .

أما على الجانب الأخير فلم يكن طبيعيا ان تقتحم القوات المصرية قناة السويس بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ولا نجد دبابات اسرائيل محتلة مرابضها على الساتر الترابى على الضفة الشرقية للقناة ، ولانجد دبابات النسق الثانى لاسرائيل جاهزة لصد هجوم قواتنا ، ولا تجد أنابيب اللهب ومواسيرها

جاهزة للانطلاق . هذا بالرغم من أن اسرائيل علمت بنية القوات المصرية والسورية بالهجوم قبل الاقتحام الفعلى بعدة ساعات . واصدرت اوامرها برفع درجة استعداد قواتها الأمامية ، وكان التواجد الاسرائيلى بهذا الشكل مفاجأة تامة لقواتنا ، اذ لايوجد استنتاج مقبول بالنسبة للتصور الذى كان موجودا لدى قواتنا فى صعوبة اقتحام المانع المائى ، ودرجة استعداد اسرائيل على خطوط دفاعها الحصينة الثلاثة شرق القناة ، ان يتم عبور القناة بواسطة ٨٠٠٠٠ مقاتل فى ساعتين يوم ٦ أكتوبر ، ولايحدث لنا من الخسائر سوى ٢٨٠ شهيدا . وكيف تبرر حالة الاستعداد التى كان عليها الطيران المقاتل الاسرائيلى طوال حرب الاستنزاف ، وانا شاهد على ملامح هذا الاستعداد من حيث امكانية اكتشاف طائراتنا فور اقلاعها من مطاراتنا واعتراض الطيران الاسرائيلى لها ورغم ذلك لايعترضها الطيران الاسرائيلى ولا تفقد طائراتنا الـ ٢٠٠ التى قامت بالضربة الأولى سوى طائرة واحدة فقط . وكانت القصفة الجوية خارج نطاق مدى صواريخ شبكة الدفاع الجوى .

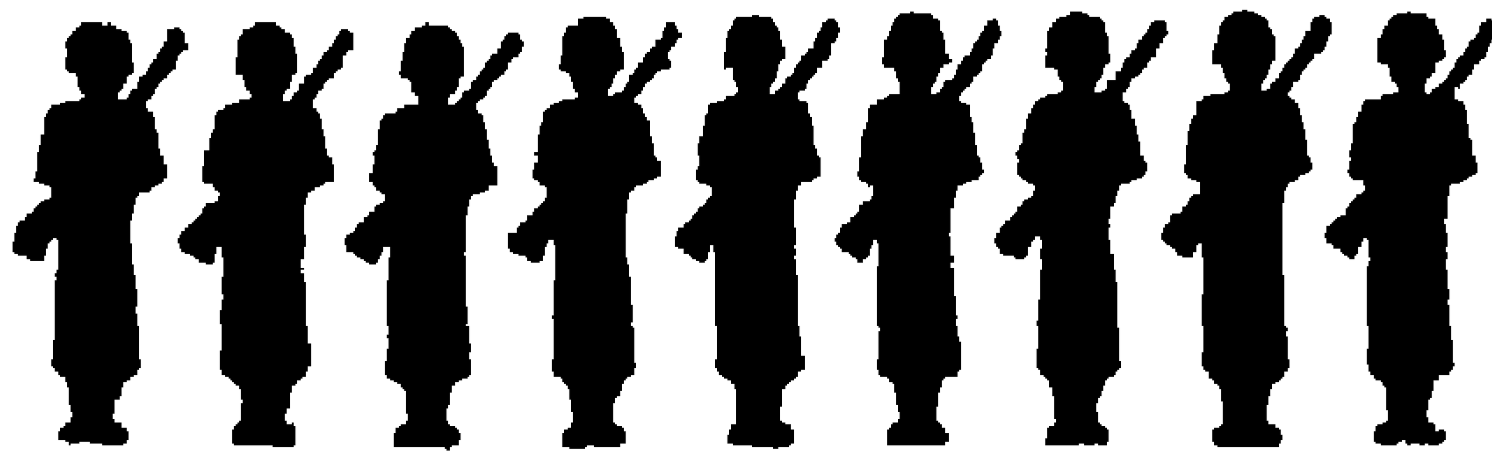
والظاهرة الكبرى التى تكشف حقيقة الوضع العسكرى المتعمد فى اسرائيل عما قامت به لجنة تحقيق اجرافات، من اجراءات وتدقيق شمل القادة السياسيين والعسكريين الكبار وانتهى الجزء الذى تم تحقيقه ونشره بلوم هؤلاء القادة . وبرغم ذلك يتم تعيينهم فى مناصب وزارية مرموقة فى الوزارة الائتلافية من الحزبين الرئيسيين بما يعنى الرضا التام للخط السياسى العام .

هذا المنطق اتخذ سبيله من الناحية الاعلامية على أنه ادانة للقادة العسكريين والسياسيين الذين فوجئوا بالهجوم الثنائى من القوات المصرية والسورية فى توقيت واحد يوم ٦ أكتوبر . وان القيادة الاسرائيلية وقد علمت منذ صباح نفس اليوم بهذا الهجوم لم تنفذ اهم اجراء وقائى لاسرائيل ، وهو القيام بضربة اجهاض مفاجئة دون تردد أو تباطؤ . الأمر الذى لم يحدث هذه المرة فقط من القيادة الاسرائيلية .

ولا أدل على ذلك من التغيير الاسرائيلى التام والمناقض لموقفها قبل وبعد عبور قواتنا ، باعطاء القيادة الاسرائيلية التصريح لشارون بتنفيذ خطة الغزالة لعبور القوات الاسرائيلية قناة السويس عند الدفرسوار ليلة ١٦/١٥ أكتوبر .

الفصل السادس

عمليات هجومية إضافية
« تطوير الهجوم شرقا »



إن العمليات الهجومية التى قامت بها القوات المسلحة يوم ١٤ أكتوبر ٧٣ وهى موضوع هذا الفصل هى دون شك عمليات هجومية اضافية إذ لم يرد ذكرها فى الخطة جرانيت (٢) المعدلة المصدق على تنفيذها فى حرب أكتوبر ٧٣ على الجبهة المصرية . كما أنها بعيدة كل البعد عن خطة المرحلة التالية التى خططها القائد العام نظريا لايهام السوريين بان هدف الحرب هو المضايق .

إن العمليات الهجومية الاضافية التى أجبرت القوات المسلحة على تنفيذها يوم ١٤ أكتوبر تلبية لقرار الرئيس السادات الصادر يوم ١١ أكتوبر لرفع الضغط على الجبهة السورية هى عمليات مفاجئة لها .

ولما كانت نتائج العمليات الهجومية الاضافية هى نقطة تحول هامة فى حرب أكتوبر ٧٣ وعلى ذلك يجب الاهتمام لمعرفة دوافعها واسبابها اكثر من أى عمليات أخرى .

اصدر الرئيس السادات قراره دون ان يستشير القائد العام كما أنه لم يقدر الموقف العسكرى على جبهة قناة السويس ولم يكترث باعتبارات امن القوات فى مسرح العمليات .

ان قرار الرئيس السادات قرار سياسى مفاجىء يهدف الى تغطية موقفه الشخصى ازاء احتمال اكتشاف الحليفة سوريا لخداعه فى الحرب .

حور القائد العام رأس الموضوع من « عمليات هجومية اضافية » الى « عمليات تطوير الهجوم شرقا » من أجل تغطية موقف الرئيس السادات إذ أن اعلان التسمية الأولى تثير القادة والضباط ضده لعدم وجودها بالخطة التى التزموا بتنفيذها وان التسمية الثانية أقرب منها لخداع القادة على انها تطوير للعمليات الهجومية بعبور القناة علما بأن القائد العام قد اعلن انهاءها بوقفة تعبوية يوم ٩ أكتوبر كما أمر بوضع الموانع الصناعية ــ ألغام .. الخ أمام الخطوط الأمامية للمواقع الدفاعية « رءوس الكبارى » شرق القناة على اساس انها نهاية المعركة .

وبالرغم من اعتراض قائدى الجيشين على تنفيذ خطة العمليات الهجومية الاضافية فقد استمر الكتاب والمعلقون والمؤرخون يؤيدون القائد العام فى تسميته للموضوع على أنه « تطوير الهجوم شرقا » حتى الآن .

وتمت احداث ووقائع العمليات الاضافية على الوجه التالى :

صدرت تعليمات الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية الى رئيس الأركان الفريق سعد الدين الشاذلى يوم ١٢/١٠/١٩٧٣ بضرورة إتمام عمليات هجومية اضافية ، على أن يبدأ هذا الهجوم صباح يوم ١٣/١٠ كانت، هذه التعليمات تنفيذا للقرار السياسى الذى أصدره الرئيس السادات يوم ١١/١٠/١٩٧٣ بهدف تخفيف الضغط عن سوريا .

تم اخطار قائد الجيش الثانى الميدانى لواء سعد مأمون وقائد الجيش الثالث الميدانى لواء عبد المنعم واصل بتنفيذ العمليات الهجومية حوالى الساعة ١٤٠٠ يوم ١٢/١٠/١٩٧٣ .

اعترض قائدا الجيشين على تنفيذ هذه التعليمات لتوقعهما الخلل فى إتزان قوات الجبهة فى حالة تنفيذها .

اضطر القائد العام الى عقد مؤتمر فى المركز (١٠) الساعة ١٨٠٠ حضره قائدا الجيشين وبعد جدل ومناقشة استغرقت وقتا طويلا أصر وزير الحربية على تنفيذ القرار السياسى وضرورة الالتزام به مع تأجيل الهجوم الى الساعة السادسة والنصف صباح يوم ١٤/١٠/٧٣ .

وكانت فكرة العملية الهجومية الاضافية تشمل استخدام ٤ ألوية مدرعة ، ولواء مشاه ميكانيكيا فى أربعة اتجاهات مختلفة شرق القناة كالآتى :

ــ لواء ٣ مدرع من الفرقة ٤ مدرعة من رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاه فى اتجاه ممر متلا ــ القطاع الجنوبى .

ــ لواء ١١ مشاه ميكانيكى من الفرقة ٧ مشاه من رأس كوبرى فرقته فى اتجاه ممر الجدى ــ القطاع الجنوبى .

ــ فرقة ٢١ مدرعة من رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاه فى اتجاه الطاسة ــ القطاع الأوسط .

ــ لواء ١٥ مدرع مستقل ت ٦٢ من رأس كوبرى الفرقة ١٨ مشاه فى اتجاه بالوظة القطاع الشمالى .

وكان تنفيذ هذه العمليات الأربع فى توقيت واحد مع المحافظة على رؤوس الكبارى قوية مؤمنة ، يعنى دفع الانساق الثانية من الاحتياطى التعبوى المدرع (فرقة ٢١ مدرعة + فرقة ٤ مدرعة) الى المعركة .

وكان هدف العمليات الهجومية الاضافية هو وصول القوات الى نقاط تقريبية من الطريق الأوسط ١٢ ــ ١٥ كم شرق قناة السويس فى مواجهة الجيش الثانى ، والى المداخل القريبة للمضايق الجبلية بالنسبة لمواجهة الجيش الثالث .

والكروكى المرفق يبين خطة تطوير هجوم القوات المصرية مرفق رقم (١٠) .

دفع احتياطى النسق الثانى التعبوى شرقا

خلال ليلة ١٢/١٣ وليلة ١٣/١٤ عبرت الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ٤ مدرعة عدا لواء / مدرع قناة السويس استعدادا للهجوم شرقا بمعاونة ٩ كتائب صواريخ سام ٢ و ٣ عبرت القناة ليلة ١٢/١٣ لتكون مستعدة لتغطية العمليات الهجومية الأربع اعتبارا من صباح ١٣ أكتوبر .

فى يوم ١٣ اكتوبر كان للعدو ٨ ألوية مدرعة أمام قواتنا مرتكزة على السفوح الغربية للمضايق الجبلية وكان العدو قد حول مجهوده الرئيسى اليوم الى جبهة قناة السويس باستخدام قواته الجوية واحتياطه التعبوى فى سيناء .

عمليات هجومية اضافية

نفذ اللواء ١١ مشاه ميكانيكى من قوة الفرقة ٧ مشاه هجومه الساعة ٦ر٣٠ صباح يوم ١٣/١٠/١٩٧٣ فى اتجاه ممر الجدى بسبب عدم وصول اخطار تأجيل الهجوم ٢٤ ساعة الى قيادة فرقته .

قام قائد الفرقة ٧ مشاه بتحضيرات الهجوم ونفذه الساعة ٦ر٣٠ صباح يوم ١٣/١٠/١٩٧٣ حسب التعليمات القديمة ، ولكن هجوم اللواء ١١ فشل وعاد بعد ظهر اليوم الى رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاه . وعندما حاول قائد الفرقة دفع اللواء مرة أخرى للهجوم مع باقى لواءات المخصصة للهجوم صباح يوم ١٠/١٤ ، لم يتمكن بالنسبة لتأخير اللواء فى تحضيراته بعد فشل عملية اليوم السابق ، وعندما استعد للهجوم ظهر اليوم كانت تعليمات إلغاء عمليات تطوير الهجوم لجميع اللواءات قد صدرت ، وبقى اللواء ١١ مشاه ميكانيكى فى رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاه .

ــ وفى سعت ١٣٣٠ يوم ١٠/١٣ ظهرت طائرتا استطلاع امريكية على ارتفاع عال جدا (٣٠ ٠٠٠) قدم فوق منطقة القناة والدلتا ، وتم لها كشف مواقعنا شرق وغرب قناة السويس ، وتمكن العدو من معرفة تحرك احتياطى النسق الثانى التعبوى من غرب القناة الى شرقها ، ولم يتبق غرب القناة من الدروع سوى لواء مدرع واحد من الفرقة ٤ مدرعة من نطاق تعبوى الجيش الثالث .

ــ بدأ الهجوم للواءات الأربعة المدرعة فى ثلاثة اتجاهات مختلفة الفاصل بينها اكثر من ٥٠ كيلومترا الساعة ٦ر٣٠ صباح يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ وفشلت جميعها ، وعادت حوالى ظهر اليوم الى رؤوس كبارى الفرق التى انطلقت منها . وكان العدو قد نجح فى تدمير معظم دباباتنا ، وفقدنا فى هذا اليوم الأسود أكثر من ٢٥٠ دبابة . وبدأ الظلام يخيم على جبهة قناة السويس منذ ذلك اليوم .

ــ وكان قائد الجيش الثانى الميدانى اللواء سعد الدين مأمون قد مرض فجأة فى الساعة ٨ر٣٠ صباح اليوم عقب وصول أول أخبار فشل الفرقة ٢١ مدرعة وتدمير معظم دباباتها ونقل فى اليوم التالى الى مستشفى المعادى بالقاهرة . كما تبين أن قوات العدو قد دعمت وأصبحت قواتها شرق القناة ٨ لواءات

مدرعة بالاضافة الى لواء مشاة ميكانيكى ولواء مظلات ، أى أن قوة العدو يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ هى ٨ لواءات مدرعة × ١٢٠ دبابة = ٩٦٠ دبابة أم ٦٠ ، أم ٤٨ بينما كانت قوة اللواءات الأربعة المدرعة المتفرقة المصرية ٤ × ٩٤ = ٤٠٠ دبابة على الأكثر . أى أن العدو كان يتفوق على قواتنا بمعدل ٢ : ١ بالاضافة الى معاونة بستائر من المدفعية الصاروخية المضادة للدبابات والمعونات الجوية المركزة .

اليوم الأسود

اطلقت القوات المسلحة المصرية على يوم الأحد الموافق ١٩٧٣/١٠/١٤ اليوم الأسود ، نظرا لأن دوافعه وتخطيط عملياته والاجراءات التحضيرية له سواء على مستوى القيادة العامة أو على مستوى الجيوش الميدانية ، أو على مستوى الفرق المشاه التى انطلقت منها أربع عمليات هجومية شرقا يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ . كذا القصور الواضح فى القيادة ، والسيطرة وادارة العمليات ، أو فى النقص الشديد للمعلومات الدقيقة المطلوبة لقادة اللواءات المهاجمة عن العدو وأوضاعه ، وأخيرا القصور لدى القيادة العامة فى عدم تقديم الدعم الجوى المطلوب لهذه العمليات ، كما وانها لم تخصص المجهود الجوى الضرورى لقادة الجيوش كى يوفروا المعونة الجوية للهجمات الأربع . وأن ماحدث من معونة جوية للواءين ١ و١٤ مدرع من الفرقة ٢١ لايعتبر مقياسا يدلل على الجدية والاهتمام من وجهة نظر القيادة العامة التى خططت وأمرت بهذه العمليات الهجومية ، والتى لم يتوقعها أى قائد فى جبهة قناة السويس . اذ أنهم جميعا تصوروا أن المرحلة التالية أو الاضافية من الخطة جرانيت (٢) المعدلة هى مرحلة وهمية . كما أنه لايتوفر لدى الجيشين الثانى والثالث أى قوات احتياطية يمكن أن تنجز أى مهمة هجومية أخرى شرق القناة .

تحقيق أهداف العمليات الهجومية الاضافية

لم يصل أى لواء من اللواءات المدرعة أو الميكانيكة المشتركة فى عمليات الهجوم الى أهدافها المعلنة فى خطة الهجوم . اذ عندما اقتربت فى مواقع العدو أجبرت اللواءات المهاجمة الى اتمام اجراءات الفتح مباشرة عقب انطلاق مفارزها الأمامية من الحد الأمامى لرؤوس كبارى الفرق المشاه . واصطدمت هذه المفارز بالمواجهة بقوات العدو المحصن فى مواقعه ، والمستند الى دعم جوى ومدفعية مضادة للدبابات صاروخية ، ومدفعية ميدان مركزة . ودخلت القوات الأساسية فى معارك مع العدو دون أن تأخذ فرصتها فى المبادرة ، أو الحركة ، مستغلة امكانيات المدرعات . كما أنها لم تتمكن من معرفة قوة وأوضاع العدو التقريبية ، اذ أن جميع اللواءات المهاجمة لم تأخذ فرصتها فى الاستطلاع التكتيكى على جميع المستويات . الفرقة ـــ اللواء ـــ الكتيبة . واذا اضفنا أن حجم الدعم الجوى والمساندة بالنيران من وحدات معاونة قيادة الجيش لم تكن كافية ، الأمر الذى جعل هذه اللواءات تقاتل بالمواجهة وبأسلوب الدفاع الثابت ، وهو أبعد مايكون لأسلوب قتال المدرعات ، بالاضافة الى قتالها فى « ظلام » بسبب نقص المعلومات التكتيكية عن العدو ، وعن الأرض التى اختارها العدو لتكون « أرض قتل » لوحداتنا المهاجمة . وقعت معارك هذه اللواءات خارج نطاق الحد الأمامى لرؤوس كبارى الفرق التى انبثقت منها مباشرة ولم يصل أى لواء منها الى أهدافها المعلنة فى خطة الهجوم .

أما هجوم اللواء الثالث المدرع من الفرقة ٤ مدرعة فى القطاع الجنوبى فى اتجاه المدخل الغربى لممر متلا صباح يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ فقد أخذ فرصته فى التقدم الى مسافة ٧كم وأتم اجراءات الفتح وأجرى المناورة بمدرعاته بطريقة مثالية تحقق الصفات التكتيكية التى يتحلى بها أى لواء مدرع مدرب ، واصطدم بقوات العدو المدعمة بالنيران ومدفعية مضادة للدبابات ومعاونة جوية مركزة وقاتل اللواء بمهارة وشجاعة دون دعم من كتيبة المدفعية للميدان التى انفصلت عنه أو معاونة جوية واستشهد قائد اللواء ثم صدرت الأوامر لعودة اللواء الى قاعدته ــ رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاه دون أن يحقق هدفه مع خسارة ٦٠ دبابة من قوته وهو اللواء الوحيد الذى وصل الى أقصى نقطة شرقا فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ .

دوافع عمليات الهجوم الاضافية

ــ ان الدافع لقرار السادات بعمليات الهجوم الاضافة ، هو ماذكره السادات نفسه « من أجل رفع الضغط على الجبهة السورية » . والسادات والقائد العام ورئيس الأركان والقيادات العسكرية العليا ، يعلمون تماما أن معركة أكتوبر قد تحققت أهدافها الحقيقية اعتبارا من مساء ٨ أكتوبر ، وأن أى استخدام للقوات لاكتساب أرض أكثر قد فات أوانها . وأن أى مساس بقوات النسق التعبوى فى أى مهمة غير المكلف بها ، سوف يخل باتزان القوات المسلحة ويعرض أمنها للخطر .

ــ ان الضغط الذى تم من القيادة السياسية والعسكرية فى الجولان على السادات وعلى القائد العام اعتبارا من يوم ١٠/٩ عن طريق مندوب من القيادة السورية ورسائل شفوية تصاعدت الفاظها الى نعت القيادة المصرية بالتقاعس والسلبية فى عدم تقدم القوات الى المضايق حسب الاتفاق بين القيادتين فى الخطة . فى الوقت الذى كانت معظم القوات الاسرائيلية مشغولة ومرتبطة بالجبهة السورية . وكان عدم وضوح الرؤية لدى الجانب السورى الناشىء من صراع القائد العام عن مكان الوقفة التعبوية التى قررها على جبهة قناة السويس عقب انشاء رؤوس الكبارى بعمق ٨ ــ ١٠ كم . بينما كان توضيح القائد العام للسوريين أنها بعد الوصول الى المضايق الاستراتيجية فى سيناء .

الموقف العسكرى على الجبهتين يوم صدور القرار

كان الموقف العسكرى على الجبهة السورية يوم أن أصدر الرئيس السادات قراره السياسى يوم ١٩٧٣/١٠/١١ حرجا ، ولكنه لايدعو الى القلق . فكان اعلان العراق الحرب من يوم ١٠/١٠ واشتراك قواتها الجوية فى معاونة قوات جبهة الجولان ، وتغطية الفرقة ٣ المدرعة العراقية لمحور دمشق ، أثره فى استعادة القوات السورية والعراقية للموقف العسكرى ، بالاضافة الى اعلان الأردن دعوة احتياطية وتعبئة موارده من أجل دعم الجبهة السورية . وكان على القائد العام ان يتحقق من صحة الموقف العسكرى على جبهة الجولان صباح يوم ١٠/١١ واقناع الرئيس السادات بعدم جدوى صدور قراره السياسى للهجوم لتخفيف الضغط الاسرائيلى على جبهة الجولان .

كان قرار الرئيس السادات بضرورة إتمام العمليات الاضافية مفاجأة لكل قادة الجبهة . إذ أنهم

جميعا دون استثناء يدركون انهم حققوا مطلب الرئيس السادات بتحرير ١٠ — ١٢ كم شرق قناة السويس والذى كرره على مسامعهم عدة مرات « انكم مطالبون بالعمل فى حدود الامكانات المتاحة لكم . لو أنكم عبرتم القناة واحتللتم عشرة سنتيمتر شرق القناة .مع التجاوز فان ذلك سوف يغير الموقف السياسى دوليا وعربيا » . وزادت قناعة القادة أكثر من واقع تصرفات القائد العام ورئيس الأركان عندما قاما بتفتيت احتياطى النسق الثانى التعبوى واحتياطى القيادة العامة ووزعا اللواءات المدرعة على الفرق المشاه النسق الأول المكلفة بالعبور ولم يتبق من القوات المدرعة لأغراض التأمين سوى العدد القليل . الأمر الذى يخلى فكر القادة من احتمال أى تطور آخر فى العمليات بعد أن تحصلت القوات على رؤوس كبارى بعمق ١٠ — ١٢ كم شرق القناة . وهو نفس المنطق الذى جعل قادة الجيشين الثانى والثالث يعترضان على قرار الهجوم شرقا .

انعكس قصور القيادة العامة التى لم تتمكن من توفير الدعم الكافى خاصة الجهد الجوى المطلوب لعملات الهجوم شرقا ، الأمر الذى جعل القادة فى الميدان يشككون فى جدية هذه العمليات . وساد الموقف الاستهانة وعدم المبالاة مما أثر على القيادة ، والسيطرة ، وادارة العمليات ، خاصة وان القيادة العامة مارست اشرافها ومتابعتها لهذه العمليات وهى فى القاهرة . الأمر الذى جعل الاظلام يعم الميدان مثلما عم القيادة فى الخلف أيضا .

لقد اتسمت عمليات الهجوم الاضافية بصراعات فكرية وتنفيذية ، بدأت منذ صدور القرار السياسى الأول ، وتصاعدت مع بدء التنفيذ وتطور العمليات . بدأ الصراع منذ يوم ١٠/١٢ فى المركز (١٠) بين القائد العام وقادة الجيشين الثانى والثالث المعترضين على تنفيذ القرار السياسى لتقديرهم بالعواقب الوخيمة التى ستقع على أمن القوات المسلحة ، واصرارهم على فشل هذه العمليات قبل أن تبدأ . وانتهى هذا الصراع متأخرا هذه الليلة مع اصرار القائد العام على تنفيذ العمليات الاضافية ووافق على تأجيل توقيت الهجوم ليكون صباح يوم ١٠/١٤ بدلا من يوم ١٠/١٣ وكانت بداية سيئة على مستوى القمة العسكرية ، وضح آثارها على قائد الجيش الثانى نتيجة لتدمير معظم دبابات الفرقة ٢١ مدرعة صباح ١٠/١٤ . كذا عدم الجدية وعدم التعاون الذى وضح على مستوى القيادات الميدانية .

واستمرت الصراعات الفكرية والتنفيذية بعد ذلك عندما اكتشف القادة ان نتائج العمليات الاضافية قد فشلت جميعها يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ ، تبعها عواقب وخيمة حسب التقدير الذى ابداه قادة الجيشين مسبقا قبل بدء هذه العمليات .

سيطر الاحباط على جبهة قناة السويس بعد فشل العمليات الهجومية الاضافية وزاد هذا الاحباط نتيجة للخسائر الضخمة التى منيت بها القوات المدرعة التى قامت بهذه العمليات . وكان عدد ٢٥٠ دبابة خسائر فى جانبنا يقابله ٣٠ دبابة خسائر للعدو فقط . نتج عن ذلك خروج لواء ١ مدرع ولواء ١٤ مدرع من قوة الفرقة ٢١ مدرعة فى المعركة . وفيما يلى تفصيلات على سبيل المثال لمأساة الفرقة ٢١ مدرعة فى عمليات الهجوم يوم ١٠/١٤ .

سعت ٦ر٣٠ يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ دفعت الفرقة ٢١ مدرعة من خط دفع داخل رأس شاطىء الفرقة ١٦ مشاه وتعرض لواء ١ مدرع فى الجانب الأيمن من خط الدفع الى نيران أسلحة مضادة للدبابات ، كما تعرض لغارات جوية مركزة احدثت فيه خسائر وهو مازال فى طريقه للفتح للدفع واستشهد قائد اللواء وشلت القيادة واضطرت أطقم بعض الدبابات الى ترك دباباتهم من شدة وعنف الهجوم الجوى واحتراق الدبابات من القذائق الصاروخية . وهكذا فقدت الفرقة ٢١ مدرعة نصف قوتها الضاربة فى لحظات .

أما بالنسبة الى لواء ١٤ مدرع فتعرضت عناصر منه للأسلحة الصاروخية المضادة للدبابات والقذف الجوى المركز ، وحدث هرج فى منطقة رأس الشاطىء . عندما ارتدت بعض الدبابات من الأمام للخلف هربا من نيران الأسلحة الصاروخية والضرب الجوى المركز ، مما أحدث ارتباكا فى المنطقة واطلاق نيران عليها بوصفها دبابات معادية . ونتج عن هذا الخطأ الجسيم ، أن ترك بعض أطقم الدبابات دباباتهم خارج وداخل نطاق رأس الشاطىء تحاشيا لنيران العدو .

وبعد أن هدأت المعارك أرسلت جماعات لحصر الخسائر فوجدت اكثر من ٣٠ دبابة من فرقة ٢١ مدرعة سليمة تماما ولكن بدون أطقم أو سائقين ، واضطرت الى تجميع عدد من السائقين وامكن سحب هذه الدبابات للخلف .

أما اللواء الثالث من الفرقة ٢١ مدرعة وهو لواء ١٨ مشاه ميكانيكى فقد تعرض لضغط من العدو من الجانب الأيمن لرأس شاطىء الفرقة ١٦ مشاه وتحمل الكثير من الخسائر ، سواء من مدفعية العدو (غاراته الجوية أو محاولات اختراق دبابات العدو لمواقعه غير المجهزة جيدا للدفاع) وبذا اهتز كيان هذا اللواء أيضا . وفقدت أفضل فرق القوات المسلحة قوة وكفاءة قدرتها القتالية .

المؤثرات الخارجية على قرار الرئيس السادات

كان الموقف العسكرى على جهة قناة السويس يؤكد حتى يوم ١١/١٠ على انتصار القوات المسلحة ، وانها وصلت الى الهدف الذى أكد عليه الرئيس السادات اكثر من مرة ، وهو حصول القوات على ١٠ ــ ١٢ كم من أرض سيناء شرق القناة ، فى الوقت الذى تحققت هزيمة اسرائيل . وعلى ذلك فان الموقف العسكرى على جبهة قناة السويس يوحى بانهاء العمليات العسكرية من أجل الحفاظ على هذا المكسب والعمل على وقف اطلاق النيران والبدء فى المفاوضات للتسوية النهائية .

وكانت العواصم المعنية بالقتال بين العرب واسرائيل (موسكو ــ واشنطن ــ لندن ــ دمشق ــ تل ابيب) توافق على وقف اطلاق النيران فى المواقع التى وصلت اليها قوات الطرفين المتحاربين . ولكن الرئيس السادات وحده لم يقبل وقف اطلاق النيران .

كان تصميم الادارة الأمريكية على عدم الربط بين وقف اطلاق النيران وبين التسوية العادلة

الشاملة مخيبة لآمال السادات الذى خطط منذ البداية بأن تحرير ١٠ ــ ١٢ كم شرق القناة كافية لبدء التسوية الشاملة عن طريق المفاوضات التالية للنصر . وكان الرئيس السادات قد أكد فى رسالة الى هنرى كيسنجر يوم ٧/١٠/٧٣ ويوم ١٠/١٠/٧٣ ضرورة حصوله على وعد بالتسوية الشاملة العادلة مقابل وقف اطلاق النار ولكن الادارة الأمريكية لم تلتزم فى ردها على الرئيس بأى وعود إيجابية .

ولما كان الرئيس السادات قد انبهر بالنصر الذى حققته قواتنا منذ بداية القتال حتى يوم ١١/١٠ فقد استباح لنفسه دون تقدير للموقف العسكرى على الجبهة أو للمؤثرات الخارجية وقرر الهجوم شرقا بهدف حصول قواته الظافرة على نصر أوسع مدى مما حققته حتى يوم صدور القرار . وكان خيال الرئيس السادات قريبا من النصر الذى تحصل عليه يومى ٦ و٧ اكتوبر ١٩٧٣ . واذ تحقق هذا الأمل وحصلت القوات على ٥ ــ ١٠ كم زيادة هو الهدف المماثل فى المدى والعمق للمكاسب الأولى للقوات . فان هنرى كيسنجر حسب ظن الرئيس السادات سوف يتجاوب معه ويقبل شروطه السياسية بالربط بين وقف اطلاق النيران وبين التسوية الشاملة العادلة التى يقضى بها القرار ٢٤٢ .

كما أن القائد العام لم يجرؤ على مصارحة الرئيس السادات بالموقف العسكرى الذى يؤكد أن القوات المسلحة المصرية لايمكنها الاستغناء عن القوات التى تؤمنها وتحافظ على اتزانها وتكلفها بمهام هجومية أخرى شرق القناة . خاصة وان القائد العام أصدر قراراه بالعمليات الهجومية الاضافية مع عدم المساس بقوات رؤوس الكبارى بقوله « تنفذ العمليات الهجومية الأربع فى توقيت واحد (سع ٣٠ر٦ يوم ١٤/١٠/٧٣) مع المحافظة على رؤوس الكبارى قوية مؤمنة « أى أن قادة الجيوش تنفذ مخطط الهجوم دون المساس بقوات رؤوس الكبارى » .

ردود فعل كثيرة

وصلت ردود فعل كثيرة عن القرار الذى أصدره الرئيس السادات يوم ١١/١٠/١٩٧٣ الى الفريق أول احمد اسماعيل القائد العام بشأن العمليات الهجومية الاضافية من أجل رفع الضغط الاسرائيلى على جبهة الجولان .

كانت ردود الفعل من بعض قادة التشكيلات المقاتلة التى شاركت فى حرب أكتوبر اذ قالوا « ان قرار الرئيس السادات الصادر يوم ١١/١٠/١٩٧٣ بشأن العمليات الاضافية هو قرار خاطىء « انه قرار مفاجىء لم تشمله الخطة العسكرية الواقعية فى جبهة قناة السويس ... ان القرار نقطة تحول خطيرة فى سير العمليات الناجحة ... ان تنفيذ قرار الرئيس السادات هو السبب فى تحول عمليات القوات المسلحة المصرية من نصر الى هزيمة .... ان الفشل والخسائر الناتجة عنه بدأت من معارك يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ (معارك اليوم الأسود) التى فشلت فيه الوحدات المدرعة وخسرت خسائر ضخمة (٢٥٠ دبابة) كانت تطبيقا لقرار الرئيس السادات يوم ١١/١٠ ... ان قرار الرئيس السادات يو١١/١٠/١٩٧٣ الخاص بضرورة تنفيذ العمليات الاضافية هو المتسبب فى استخدام قوات الفرقتين المدرعتين المكلفتين بحماية نطاق تعبوى للجيشين الثانى والثالث غرب القناة ، وان تحركهما شرقا أخلى

النطاق الأمنى من الدروع الأمر الذى عرض قوات الجيشين للتهديد والخطر .

وهكذا كانت ردود الفعل عنيفة . وزادت عنفا بسبب ضخامة الخسائر التى حدثت لقواتنا المسلحة فى هذه المعارك ، والتحول المفاجىء الذى حدث فى مسرح عمليات قناة السويس بعد تطبيق القرار .

العدو يتحصل على المبادرة

بعد فشل العمليات الاضافية لم يتأخر العدو الذى تجمعت قواته المدرعة فى القطاع الأوسط مستغلا الفاصل الجغرافى بين الجيشين الثانى والثالث ، وفشل هجمات اللواءات الأربعة المصرية ، وبدأ يضغط بعنف من مساء يوم ١٠/١٤ وطوال يومى ١٥ و١٦/١٠/١٩٧٣ على قوات الفرقة ٢١ مدرعة والتى فقدت معظم مدرعاتها فى الهجوم الفاشل يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ وعلى قوات الفرقة ١٦ مشاه ، وخاصة على جناحها الأيمن حيث تمركز لواء ١٦ مشاه .

ــ تمكن العدو بمعاونة قواته الجوية المركزة من اختراق مواقع لواء ١٦ مشاه بجوار الحافة الشرقية لقناة السويس ، وتمكن من استعادة وتأمين تل سلام المشرف على أرض القطاع ، والتى تركته قوات الفرقة ١٦ مشاه بعد استيلائها على النقط الحصينة من خط بارليف ، كما تمكن العدو من الاستيلاء على قرية الجلاء شرق ، وبذا تمكن العدو من تأمين قاعدة وثوب عريضة فى مواقعه القديمة فى خط بارليف فى منطقة الدفرسوار . وأصبح الموقف العسكرى فى القطاع الأوسط شرق القناة مهيئا لقوات العدو أن تخترق دفاعاتنا الى غرب قناة السويس .

ثغرة الدفرسوار

فجر يوم ١٦/١٠/١٩٧٣ نجح العدو باتمام عملية اختراق دفاعاتنا عند الدفرسوار مرفق رقم (١١) .

وكوّن رأس جسر غرب القناة ، ووصل الى منطقة مطار الدفرسوار ، واحتل النقطة القوية لقواتنا فى الدفرسوار غرب ، والمصاطب شمالها ، حتى جنوب المغذى الرئيسى غرب ، وتأمين معابر الترعة الحلوة فى منطقة أبو سلطان حتى جنوب الدفرسوار دون أن تعترضه أى مقاومة من قواتنا واستخدام العدو معدّيات البانتون فى العبور .

وصلت معلومات من قائد نقطة المراقبة بالنظر من الكتيبة ١٤ حرس حدود فى منطقة الجامع على طريق القناة الموازى للبحيرات المرة ٢ كم جنوب مرسى أبو سلطان فى الساعة ٢٠٠٠ يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ . وتم ابلاغ مركز تجميع المعلومات فى أبو صوير بسماع أصوات جنازير دبابات غرب مرسى أو سلطان ، وتم تأكيد هذه المعلومات حوالى الساعة ٣٫٣٠ يوم ١٦ أكتوبر ولم يستطع تحديد عدد الدبابات .

وصلت هذه المعلومات الى مركز العمليات الرئيسى بالقاهرة المركز (١٠) عن طريق تسلسل المعلومات من وحدات وتشكيلات الدفاع الجوى ، ولكن البيروقراطية العسكرية فى المركز (١٠) لم تتقبل مثل هذه المعلومات الخطيرة ، طالما انها ليست واردة من التشكيل المسئول عن تبليغها منوها « أين وحدات استطلاع الجيش الثانى » ، وكان ذلك فجر يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

وفى سعت ١٠٠٠ يوم ١٦ اكتوبر وصل أول بلاغ الى مركز القيادة المتقدم للجيش الثانى ، وتأيد ببلاغ آخر نفس التوقيت تقريبا من قائد سرية هاون ثقيل بمطار الدفرسوار ، والذى حدد تواجد ٥ دبابات معادية بالموقع .

ووصلت كل هذه البلاغات الى المركز (١٠) بالقاهرة بالنص التالى « نجحت جماعات صغيرة من العدو فى العبور الى الضفة الغربية قوامها ٧ ــ ٨ عربات مدرعة ويقوم الجيش الثانى باجراءات للقضاء عليها » ، ثم توالت البلاغات يوم ١٠/١٦ الى المركز (١٠) على نجاح العدو فى تدمير بعض كتائب صواريخ سام بواسطة دبابات العدو والتى تبعد عن القناة ١٥ كم غربا .

وحرصت القيادة العامة يوم ١٠/١٦ على نشر نطاق من السرية على هذه البلاغات الهامة : وكان الرئيس السادات بسبيل القاء بيان عن النصر فى مجلس الشعب ، وتواجد ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ بالمركز (١٠) ، وهنأ القادة والضباط بالنصر وأصطحب الفريق أول أحمد اسماعيل معه فى عربة مكشوفة الى مجلس الشعب .

تدمير كتائب صواريخ سام

كان هدف العدو فى العبور شرقا هو تدمير كتائب صواريخ سام حتى تستطيع قواته الجوية تقديم المعونة الأرضية لقواته المهاجمة ، التى نجحت فى الاختراق الى غرب القناة .

فى يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ نجح العدو فى توسيع ثغرة الدفرسوار والسيطرة على المنطقة بعد أن دمر عدداً من كتائب صواريخ لواء دفاع جوى الوسط ــ لواء الدفرسوار ــ وتمكن العدو من احباط هجوم مفرزة لواء ١١٦ مشاه ميكانيكى مستخدما أعمال الكمائن والمدفعية المضادة للدبابات الصاروخية . كما تمكن من احتلال مطار فايد وتقاطع الطرق الهامة فى المنطقة . وكان تقدير القيادة العامة حتى ذلك اليوم أن قوة العدو لاتزيد على ٧ ــ ٨ دبابات ، بينما الحقيقة ان قواته وصلت الى لواء مدرع على الأقل .

قرر قائد الجيش الثانى التصدى لقوات العدو المنطلقة غربا ، وكلف مجموعات اقتناص دبابات من لواء ١١٨ مشاه ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى على الطرق جنوب ترعة الاسماعيلية لمنع العدو من التقدم شمالا ، ثم قام بدفع اللواء ١١٦ مشاه ميكانيكى . ولم تعاون القيادة العامة تحرك هذا اللواء بمظلة جوية أو امداده بالمعلومات الحقيقية عن قوة واوضاع العدو .

فشلت عملية اللواء ١١٦ والذى تحرك دون تأمين ودون استطلاع للأرض أو لمواقع وأوضاع وكائن

العدو ، ودون معاونة جوية ، ووقعت عناصره الأمامية فى كمائن للعدو واستشهد قائد اللواء .

جاء قرار القائد العام بدفع الفرقة ٢١ مدرعة بالتعاون مع اللواء ٢٥ مدرع مستقل من الجيش الثالث لتدمير ثغرة الدفرسوار من رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاه أى من الشرق .

عارض اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميدانى الفكرة وطلب دفع اللواء ٢٥ المدرع المستقل من الغرب ــ فايد ــ الدفرسوار ــ تحت حماية الدفاع الجوى ، ولكن طلبه رفض وأصر القائد العام على دفعه من الشرق بدون غطاء جوى أو غطاء صواريخ مضادة للطائرات على أن يتم ذلك يوم ١٧/١٠/١٩٧ .

وكانت القيادة العامة قد دفعت لواء ٢٣ مدرع من الفرقة ٣ مشاه ميكانيكية من القاهرة الى وصلة عثمان بهدف التصدى لقوات العدو غرب القناة .

لم يتم التنسيق فى ادارة العمليات ضد قوات العدو فى الدفرسوار بين عملية هجوم الفرقة ٢١ مدرعة من الشمال وبين هجوم اللواء ٢٥ مدرع مستقل من الجنوب ، وكانت الأولى تابعة للجيش الثانى بينما كانت الثانية تابعة للجيش الثالث ، بالاضافة الى عدم تقديم معاونة جوية أو دعم مدفعية مركزة .

وكان تقديرا غير سليم من القيادة العامه (المركز ١٠) عندما اعتمدت على قدرة الفرقة ٢١ مدرعة للقيام بصد وتدمير العدو بالتعاون مع لواء ٢٥ مدرع . اذ أن حالة الفرقة ٢١ مدرعة قد وصلت الى حالة لاتسمح لها بالقتال منذ عمليات تطوير الهجوم يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ وفقدت معظم دباباتها . الأمر الذى مكن العدو من الضغط على الفرقة ١٦ مشاه بهدف فتح طريق له إلى ثغرة الدفرسوار ليلة ١٦/١٧ اكتوبر .

ولو صمدت الفرقة ١٦ مشاة فى مواقعها الدفاعية شرق القناة ليلة ١٦/١٧ اكتوبر لما تمكن العدو من انشاء الجسر الذى عبرت عليه قواته وفشلت عملية الاختراق عند الدفرسوار وتحققت وجهة نظر وتخوف موشى دايان فى قوله عندما زار الموقع يوم ١٧/١٠/٧٣ « لقد حاولنا ولم ننجح ... سيذبحوننا فى الصباح على الجانب الآخر » .

ثم كانت عملية لواء ٢٥ مدرع وهو مسلح بدبابات ت ٦٢ يوم ١٧/١٠/٧٣ عند كتيب الحبشى على بعد ٢٧ كم من رأس كوبرى الفرقة ٧ مشاة الذى انطلق منه اللواء دون معاونة جوية . وكتيب الحبشى مرتفع ٣٠٠ قدم على سطح البحر أعد فيه البدو كمينا من المدفعية الصاروخية المضادة للدبابات يساندها ٢ لواء مدرع وتحت سيطرة جوية معادية خسر اللواء ٦٠ دبابة واستشهد قائده وانسحب ماتبقى من اللواء الى موقع كبريت شرق .. مرفق رقم (١٢) .

وفى ليلة ١٧/١٨ ــ تمكن العدو من اقامة أول كوبرى ثقيل سابق التركيب بطول ٢٠٠ متر على القناة تدفقت عليه القوات المدرعة الاسرائيلية بحيث أصبحت قوة العدو صباح يوم ١٨/١٠/١٩٧٣ غرب القناة ٢ فرقة مدرعة .

صباح ١٠/١٨ هاجم لواء ٢٣ مدرع من الفرقة ٣ مشاه ميكانيكية هذه القوة دون معاونة جوية ، وكانت النتيجة الفشل وخسر اللواء عدداً كبيراً من دباباته ، وكان هذا اللواء المدرع هو آخر احتياطى مدرع للقيادة العامة .

ولم يبق لدى القوات المصرية من احتياطيات مدرعة سوى لواء واحد مدرع من الفرقة ٤ مدرعة كلف بواجب حماية النطاق التعبوى للجيش الثانى والثالث معا وتمركز فى وصلة عثمان تحت قيادة قائد الفرقة ٤ المدرعة شخصيا .

وظل لواء الحرس الجمهورى المدرع (دبابات ت ٦٢) بالقاهرة .

ان جميع الخطوات التعرضية التى تمت على مستوى الجيش الثانى أو على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة لتدمير رأس الشاطىء فى الدفرسوار ، أو اعتراض ومنع قوات العدو من التوغل فى الضفة الغربية كلها باءت بالفشل وهى بالتسلسل الزمنى — اعتراض لواء ١١٦ مشاه ميكانيكى يوم ١٠/١٦ من الغرب ثم محاولة الفرقة ٢١ مدرعة بالتعاون مع لواء ٢٥ مدرع يوم ١٠/١٧ من الشرق ثم محاولة لواء ٢٣ مدرع يوم ١٠/١٨ من الغرب .

ولو أن جهود اللواءات الأربعة نسقت معا فى توقيت واحد وفى غرب القناة وليس فى شرقها ، وتحت اشراف القائد العام شخصيا أو رئيس أركانه على الأقل ، ومعه مجموعة عملياته المنبثقة من القيادة العامة بالمركز (١٠) ، لأمكن احتواء ثغرة الدفرسوار يوم ١٠/١٦ أو يوم ١٠/١٧ على الأكثر . أى قبل أن يتمكن العدو من عبور قواته الأساسية عبر قناة السويس .

قوات العدو غرب قناة السويس

لم تَنَصْعَ القيادة الاسرائيلية لقرار وقف اطلاق النار مساء ١٩٧٣/١٠/٢٢ وأصدرت تعليماتها الى قواتها غرب القنال للاسراع فى انهاء مهامها واحكام سيطرتها على خطوط مواصلات الجيشين الثانى والثالث مع الدلتا والقاهرة والاستيلاء على مدينتى الاسماعيلية والسويس حتى ترتكز قواتها غرب القناة الى سند سياسى واعلامى قوى .

شملت القوات الاسرائيلية غرب القناة ثلاث مجموعات مدرعة مكونة من ٧ لواءات مدرعة ولواء ميكانيكى ولواء مظلات . قسمت بين مجموعة شارون والتى واجهت قوات الجيش الثانى غرب القناة ودفع قواته شمالا تمهيدا للاستيلاء على الاسماعيلية .

واندفعت مجموعتى أدان وماجن بعد وقف اطلاق النار بثلاث ساعات فى اتجاه الجنوب بهدف الوصول الى مدينة السويس وضواحيها. مجموعة فى حذاء الشاطىء الغربى للبحيرات المرة بينما تقدمت مجموعة ماجن على يمينها .

قامت مجموعة ادان للعمليات بتطهير المنطقة بسرعة تاركة المقاومات البسيطة والمعسكرات

ومعظمها مخازن شئون ادارية وذخيرة واسلحة تمكنت اسرائيل من الاستيلاء عليها واسر عدد كبير من العاملين بها بينهم مدنيون وفى فجر ١٠/٢٣ وصلت مفارز مجموعة ادان الى مشارف مدينة السويس .

بينما تقدمت مجموعة ماجي ووصلت الى علامة كم ١٠١ طريق القاهرة السويس ، ثم اتجهت الى جبل عتاقة مستخدمة كشافات دباباتها ليلا ، واتصلت بقوة اسرائيلية منقولة جوا تمكنت من احتلال جبل عتاقة والاستيلاء على محطة رادار وانذار كانت موجودة فوق الجبل ، ثم واصلت تقدمها فى اتجاه الجنوب الشرقى حتى وصلت الى مصنع الأسمدة الكيماوى على خليج السويس ثم كلف احد ألوية المجموعة بالتقدم جنوبا للاستيلاء على ميناء الأدبية ١٥ كم جنوب السويس .

فجر يوم ٢٣ اكتوبر اصدر قائد الجيش الثالث اوامره الى قائد الفرقة ٦ مشاه ميكانيكى بتكليف لواء ١١٣ مشاه ميكانيكى عدا كتيبة ومعاونه كتيبة دبابات من اللواء ٢٢ مدرع باسترداد جبل جنيفه والمدخل الشرقى لوادى جاموس . وتكليف كتيبة مشاه من نفس الفرقة لاحتلال مواقع دفاعية بين الشط وجبل جنيفه . ولكن عدم توازن القوى بين قوات العدو التى اجتاحت هذه المواقع بدباباتها وبين وحدات مفككة من الفرقة ٦ مشاه ميكانيكى فوجئت بوصول قوات العدو الى هذه المنطقة واقتحام دباباتها لمركز القيادة المتقدم للجيش الثالث ادى الى فشل هذه المحاولات .

معركة السويس

صباح يوم ٢٤ اكتوبر كلف ٢ لواء مدرع من مجموعة ادان تعززها ٢ كتيبة مختلطة سحبتا على عجل من جبهة الجولان باقتحام مدينة السويس من الشمال والغرب وسبق الهجوم قصف طيران ومدفعية لعدة ساعات .

واجه الهجوم الاسرائيلى جماعات مقاومة من الجيش الثالث ومنظمات الشباب استطاعت تشتيت هجوم المشاه المرافق للدبابات ، واصابت معظم القادة الاسرائيليين ولكن هجوم الدبابات وصل الى منتصف المدينة حيث توقف .

وازاء حجم الخسائر الكبيرة فى الدبابات وفى الأفراد قرر قائد الهجوم الاسرائيلى انسحاب قوة الهجوم الى خارج المدينة واكتفى بحصارها .

وفى صباح يوم ٢٥ أكتوبر اخطر الرئيس السادات الرئيس الأمريكى بخرق اسرائيل لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ وطالبه الوفاء بوعده حول التزام اسرائيل بوقف اطلاق النار .

ولحين وصول قوات هيئة الأمم اكتفت اسرائيل بتثبيت سيطرتها على طرق امدادات الجيش الثالث وبخاصة طريق القاهرة السويس والضغط على مدينة السويس والجيش الثالث وذلك بتعطيل امداداتها بالمواد الطبية والمؤن كما اوقفت المياه العذبة فى ترعة السويس .

ولم تكن القوات الاسرائيلية قادرة على حسم الموقف بالنسبة للجيش الثالث اذ ان ذلك يحتاج الى

عمل عسكرى مباشر سوف يشعل جبهة قناة السويس كلها ، الأمر الذى يسبب حرجا لقواتها فى الجيب الاسرائيلى بالاضافة الى زيادة التوتر القائم بين الدولتين الأعظم بسبب عدم انصياع اسرائيل لقرارات مجلس الأمن .

عملية كبريت شرق

عملية دفاعية قام بها لواء ١٣٠ برمائى عدا كتيبة مدعم بعدد عشر دبابات من لواء ٢٥ مدرع وكتيبة هاون ١٢٠ مم عدا سرية ضد قوات من العدو قامت بالهجوم على الموقع بمعاونة كتيبة مدرعة وقصف جوى مركز بقنابل ١٠٠٠ رطل . وبعد فشل الهجوم تمكن العدو من حصار موقع كبريت شرق المنعزل فى المدة من ١٠/٢٢ حتى ١٩٧٤/٢/١٢ اى استمر الحصار ١٠٣ أيام ظهرت خلالها بطولات جماعية وفردية من قوات الموقع فى صد العدو والحفاظ على الموقع ، ثم فى الجرأة والشجاعة للحصول على التموين والمياه ، ونقل الجرحى خلال عملية الحصار الطويلة وسجلت يوميات حرب قيادة اللواء بطولات سوف تبقى خالدة فى التاريخ العسكرى .

وكان حصار اسرائيل لهذه القوة المصرية المنعزلة وحرمانها من المؤن والمياه بعد اتفاق قصر الطاهرة فى ١٩٧٣/١١/٧ القاضى بعدم اعاقة الامدادات غير العسكرية الى القوات المحاصرة هو وسيلة ضغط على الجانب المصرى اثناء مفاوضات كم ١٠١ طريق القاهرة السويس .

العوامل التى ساعدت فى نجاح ثغرة الدفرسوار

١ ــ ان طول مواجهة قناة السويس مع افتقارها الى العمق التكتيكى وترك فاصل جغرافى كبير (٤٧ كم) بين الجيشين الثانى والثالث من الشرق ساعد الاسرائيليين على حشد ٧ لواء مدرع ولواء ميكانيكى ولواء مظلات على المحور الأوسط لاختراق دفاعاتنا بين الجيشين .

٢ ــ كان تفتت الفرق المشاه الميكانيكية والمدرعة وسحب بعض تشكيلاتها المدرعة لدعم قوات النسق الأول فى عملية العبور كذا استخدام الباقى منها فى العمليات الاضافية عاملا مساعدا فى نجاح ثغرة الدفرسوار بسهولة تامة دون مقاومة تذكر لخلو المنطقة غرب القناة من القوات المدرعة التى يمكنها مجابهة العدو .

٣ ــ ان فترة « الوقفة التكتيكية » من ١٠/٩ حتى ١٠/١٣ سهل على القيادة الاسرائيلية حشد احتياطيها التعبوى دون تدخل فعال من الطيران فى العمق التعبوى ولم تلجأ اسرائيل الى سحب احتياطيها الاستراتيجى أو جزء منه والتى كانت قد دفعته الى الجولان .

٤ ــ الاستطلاع المبكر والدقيق لاضعف موقع فى جبهة القتال واختياره مبكرا ليكون نقطة وثوب الى غرب القناة .

٥ ــ كانت القوات المكلفة بالعمليات الهجومية على محاور سيناء (٤ لواءات مدرعة) تقاتل بأسلوب حرب المواقع الثابتة التى تحميها مشاة محصنة تدعمها مدفعية وصواريخ مضادة للدبابات فى

مواجهة خصم يقاتل معتمدا على خفة حركته ، وحشد مدرعاته والمشاه الميكانيكية فى قطاعات ضيقة وفى ظل سيطرة من قواته الجوية . مكنت من احباط جميع العمليات الاضافية الضعيفة وخسرت معظم دباباتها الأمر الذى فتح الطريق الى ثغرة الدفرسوار .

٦ ـــ لو تمكنت قوات الجيش الثالث من غلق مضيق ميتلا والجدى على سبيل المثال فى وقت مبكر لتمكنت قوات الفرقة ٤ مدرعة تعززها وحدات مشاه ميكانيكية من حماية مفصلة الجيشين بعرض الجبهة من الشمال ممر الجدى حتى الطرف الشمالى للبحيرات المرة مثلا ولأمكنها تطويق « الطاسة » ـــ نقطة التجميع لحصر قوات « عملية الغزالة » على المحور الأوسط وهذا يستلزم نقل وحدات سام ٣ وهو نصف متحرك الى الضفة الشرقية فى هذا الفاصل فى وقت مبكر يتلاءم مع هذه العمليات لحماية هذه القوات ضد تدخل طيران العدو ـــ أو تخصص طلبات معاونة مباشرة من القوات الجوية لهذه العملية .

٧ ـــ أدى تحديد خط المفصل بين الجيشين بحيث يمر وسط البحريات المرة تقريبا الى تمييع حدود المسئولية لكل من الجيشين فى رقابة شاطىء هذه البحيرات الشرقية ، وبالتالى كانت الدوريات ونقط الإنذار الموجودة فى الثغرة ضعيفة وغير فعالة ، وساعد على ضعف وقاية الجيشين لهذا القطاع التصور الخاطىء للقيادة العامة باستحالة عبور قوات كبيرة للبحيرات . وبذلك أصبح هذا القطاع بمثابة خط التقدم الآمن توقعا من جانب العدو لدى هذه القيادات ولكن القيادة الاسرائيلية استغلته كخط اقتراب غير مباشر نحو أضعف حلقات (الجناح الأيمن للجيش الثانى) ومن ثم كان هو خط المقاومة الأقل نسبيا .

٨ ـــ كشفت هذه العملية الاسرائيلية عن وجود ضعف أو خلل فى نظم ووسائل الاستطلاع والاستخبارات الميدانية وكذلك فى نظم ووسائل وسرعة تبليغ المعلومات من الأمام الى الخلف . ونتيجة لذلك كانت معلومات وتقديرات القيادات العليا غير دقيقة بالنسبة لحجم ونوعية وأهداف « عملية الغزالة » . ونتج عن ذلك أن ردود الفعل كانت بطيئة وجزئية وغير حاسمة .

٩ ـــ كان لأسلوب القيادة العامة بتسلسله الهرمى التقليدى وتمركز السلطة بدرجة كبيرة فى يد القيادة العامة الموجودة فى القاهرة أثر سيء على توجيه الهجمات المضادة لقوات الثغرة . ولذلك كانت هذه الهجمات متأخرة التوقيت ـــ جزئية وتدريجية التعقيد ضعيفة التنسيق والتعاون فيما بينها وفيما بين الأسلحة المشتركة معها خاصة المدرعات والطيران . ولقد كان من المفروض أن يندفع القائد العام بنفسه للسيطرة على الموقف ، واصدار الأوامر الحاسمة ، وأن يكون لديه احتياطى استراتيجى تعبوى قوى حتى يستطيع مواجهة الموقف محليا وبسرعة لايتأخر عن يومى ١٦ و١٧ اكتوبر على الأكثر .

وكان هذا هو السبب الرئيسى فى نجاح خطة المدرعات الاسرائيلية التى استثمرت ثغرة الدفرسوار .

١٠ــ اختيار نقطة الدفرسوار وهي المفصل بين الجيشين أتاحت للقيادة الاسرائيلية خيارات هامة كثيرة انطلاقا من هذا الموقع مثل :

١ ــ التقدم شمالا الى مواقع الجيش الثانى ــ وتهديد الاسماعيلية أو قطع الطريق الرئيسى للامدادات .

٢ ــ التقدم جنوبا الى المواقع الخلفية للجيش الثالث وتهديد السويس وقطع الامداد للجيش الثالث (طريق السويس) وذلك بعد اتمام المهمة الأولى، وهي تدمير أكبر عدد ممكن من الصواريخ سام لاعطاء الفرصة للطيران الاسرائيلى كى يسيطر على المسرح كله .

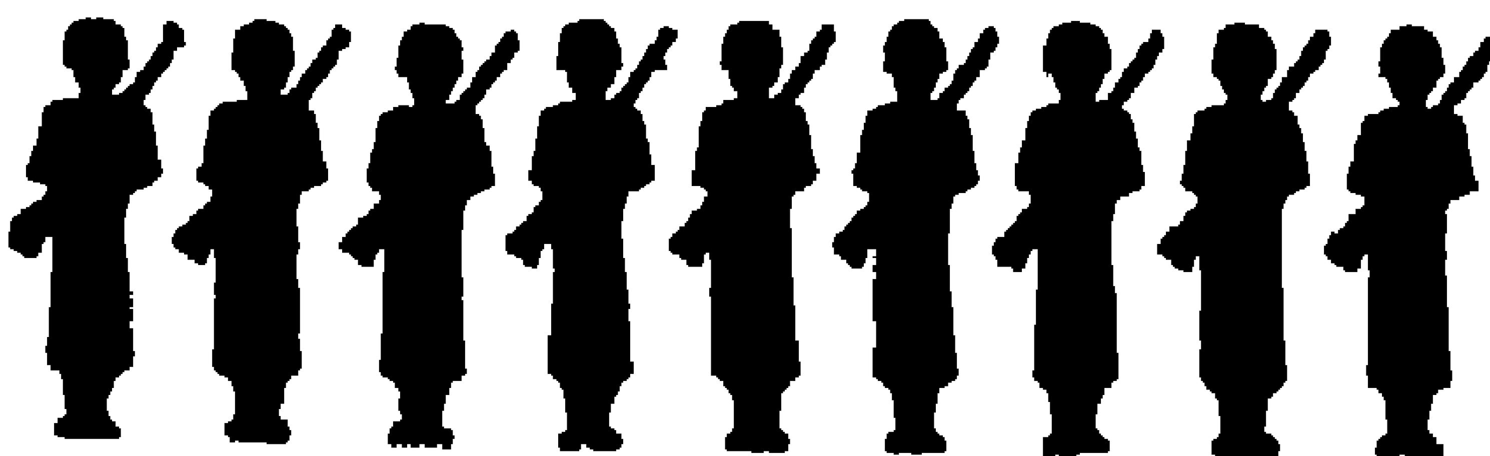
١١ــ عدم وجود احتياطى مدرع كاف وتحريكه فى الوقت المناسب ، وافتقار قيادة الجيشين لهذا الاحتياطى المدرع. كذا التنسيق بينهما فى الوقت المناسب كان هو السبيل للحيلولة دون اضطرار الجيشين الى طلب سحب قوات لهما من الضفة الشرقية، والقتال على جبهة معكوسة عند مؤخرتهما. وهو الوسيلة المثلى لايقاف واحتواء الخرق الحادث فى جدار شبكة الصواريخ المضادة للطائرات.

١٢ــ على المستوى التكتيكى ــ كان عدم اكتمال تغطية الجناح الأيمن اللجيش الثانى بقوة حتى المشارف الشمالية للبحيرات المرة فى الضفة الشرقية، وعدم وجود قوة تحمى طرف هذا الجناح على الضفة الغربية للقناة، ساعد على تحقيق الخرق الاسرائيلى فى بدايته. وكان لترك الجيش الثانى لموقعى تل سلام والدفرسوار أثره فى تمكين قوات العدو من اعادة احتلاله، وسهل عليها تأمين منطقة وثوب عبر الدفرسوار (كانت قوات الجيش الثانى قد احتلت الموقعين يوم ١٠/٩ مع نقاط خط بارليف) .

١٣ــ لو أن القائد العام ورئيس الأركان إطلعا وتدارسا فكر وتحضيرات القياة العامة عامى ١٩٧٠/١٩٧١ الواضح فى المشروع الاستراتيجى الكبير الذى تم فى مارس ١٩٧١ وهو أمر طبيعى لجميع المخططين العسكريين، لأمكنهم استيعاب فكر العدو وأهدافه وأسلوبه، وقاموا بتجهيز خطة العبور فى اكتوبر ١٩٧٣ بقوات الفرق الخمس فقط، واحتفظوا بقوات الفرق الثلاث الميكانيكية فى النطاق التعبوى للجيشين ومعها الفرقتان المدرعتان، ولأمكنهم فى هذه الحالة تدمير وتحطيم أى ثغرة أو محاولة مشابهة تتم من العدو مع ضمان نجاح عملية العبور بنفس الطابع ونفس القوة التى عبرت بها القوات وهى مكدسة بقوات مدرعة دون داع فى المهمة المكلف بها هذه الفرق المشاه. والغريب فى الأمر أن قائدى الجيشين حضرا هذا المشروع عام ١٩٧١، ولكنهما اكتفيا بالاعتراض السلبى فقط عندما حدث من العدو نفس التصرف الذى قاوموه وحاصروه وقضوا عليه فى مارس ١٩٧١. أى أنه من الصعب ــ والبيروقراطية متغلغلة فى القوات المسلحة ــ أن نتعلم من غيرنا دروسا تحدد مصير الأمة فى أغلب الأحيان.

الفصـــل السابـــع

وقـف اطـلاق النـار وحصار الجيش الثالـث



بدأت معارك اكتوبر بعملية عبور ناجحة جدا حققت الهدف العسكرى المعلن من السادات ـــ (احداث تغيير واقعى فى مسرح العمليات على نحو يرغم اسرائيل على القبول بتحقيق تسوية سياسية عادلة للقضية الفلسطينية والتخلى عن الأراضى العربية) ، ويدعو الأطراف المعنية بالتدخل لوقف اطلاق النار . وكان التغيير الواقعى كما يعتقد السادات يتمثل فى عبور القوات المسلحة للقناة وتحرير شريط ضيق من الأرض شرقها بعمق من ١٠ ـــ ١٥ كم . وحتى مساء يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ كانت القوات المسلحة المصرية الباسلة قد حققت هذا الهدف .

وكان هذا الانجاز الباهر من القوات المسلحة المصرية هو قمة آمال الرئيس السادات حتى انه سارع باخطار (هنرى كيسنجر) فور ظهور هذا الانجاز ، وقبل التأكد من نتائجه . برسالة ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/٧ يؤكد فيها اتجاهاته المقبلة فى معارك أكتوبر ، والمتمثلة فى نص خطابه بأن قواتنا المسلحة ملتزمة «بعدم تعميق الاشتباكات أو توسيع المواجهة»(٠) أى أن الرئيس السادات كان ملتزما من البداية وحتى يوم ١٩٧٣/١٠/٧ بالالتزامات السابق التنويه عنها مع الجانب الأمريكى . كما سارع فى نفس الوقت بتهنئة الجانب السوفيتى بأن هذا النجاح الباهر قد تم بواسطة أسلحة سوفيتية .

كما طالب الرئيس السادات فى رسالته موافقة الولايات المتحدة الأمريكية ـــ شريكته فى حل الصراع ـــ على ثمرة الجهد العسكرى الباهر سياسيا « بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية . وعندئذ تكون مصر على استعداد للاشتراك فى مؤتمر سلام فى الأمم المدة تحت الاشراف المناسب » .

نجحت القوات المسلحة فى صد وتدمير هجمات العدو المضادة التى قام بها عقب عملية العبور الكبرى على طول المواجهة يومى ٧ و٨ اكتوبر ١٩٧٣ . الأمر الذى أضفى على آمال الرئيس السادات وتصوراته خيالا فاق فى حدوده المجال السابق تقديره كنتائج لمعركة محدودة .

بادرت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم اقتراح لايقاف اطلاق النار لبدء مفاوضات سلمية .

---

(٠) أمن مصر القومى لحافظ اسماعيل ص ٣١٨ .

وقد رفض الرئيس السادات هذا الاقتراح معززا من الجانب السوفيتى الذى رفض منذ البداية إقتراح عودة القوات المتحاربة الى خطوط ماقبل بدء القتال . وقد تبين أن هذه المبادرة الأمريكية كانت افتتاحية سياسية مرسومة الخطى ، حيث أنها تراجعت عن شروطها السابق التنويه عنها « احداث تغيير واقعى ملموس » .

رفض هنرى كيسنجر فى رسالة يوم ١٩٧٣/١٠/٨ شروط الرئيس السادات على أساس انها لاتمثل أساسا مقبولا للمفاوضات . وأن شروط التسوية الواقعية ستتوقف على نتائج المعركة الدائرة . وكان هنرى كيسنجر يعتمد على قدرة اسرائيل على تحطيم الهجوم المصرى / السورى ، وعلى ذلك تجاهل الربط بين وقف اطلاق النيران وبين شرط انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية ، انتظارا لضربة اسرائيل المضادة .

وكانت عواصم الدول المعنية بالصراع ومنذ البداية وهى موسكو ـــ واشنطن ـــ لندن ـــ دمشق ـــ تل أبيب ، تفكر فى وقف اطلاق النيران كل من وجهة نظره كالآتى :

موسكو :

توافق على وقف اطلاق النار فى المواقع التى وصلت اليها القوات ، وذلك لحرص السوفييت على عدم انهيار الجبهة السورية بسبب تركيز المجهود الرئيسى الاسرائيلى عليها ، وتوقف الجبهة المصرية عن التقدم .

واشنطن :

فوجئت بالتفوق فى الجبهة المصرية ، وان الهجمات المضادة الاسرائيلية لم تنجح الا على الجبهة السورية . وأن حسابات الخسارة والمكسب الناتج عن الصدام العربى / الاسرائيلى حتى اليوم (١٩٧٣/١٠/٨) تجعل التوقيت مناسبا لتدخل الولايات المتحدة الأمريكية للوصول الى تسوية عادلة ، على أن يتم وقف اطلاق النيران فى المواقع التى وصلت اليها القوات .. بالاضافة الى قلق واشنطن من احتمال توسيع مواجهة الحرب فى الشرق الأوسط خوفا على المصالح الأمريكية .

لندن :

توسطت بين امريكا ومصر فى امكانية وقف اطلاق النيران فى المواقع التى وصلت اليها القوات ، وهى تتفق فى الرأى مع الولايات المتحدة الأمريكية .

تل ابيب :

ضعفت الطاقة الحربية الاسرائيلية بسبب استهلاك احتياطيها الاستراتيجى من القوات نتيجة لتوزيع الجهد العسكرى على جبهتين فى وقت واحد ، مع عدم استجابة سريعة لدعم الولايات المتحدة الأمريكية لها بالأسلحة والمعدات ، وسد الخسائر جعلت القيادة الاسرائيلية تميل الى الموافقة على وقف

اطلاق النيران ، ولكن ليس بأسلوب وشروط التسوية التى يطلبها الرئيس السادات .

دمشق :

كان لهجوم المفارز الأمامية للقوات السورية فى الجولان تأثيره المعنوى والأدبى على طلب دمشق سرعة وقف اطلاق النيران احتفاظا بالمكاسب السريعة التى وصلت اليها . ولكن بعد يوم قتال واحد تغير الموقف ، ونجح الهجوم المضاد الاسرائيلى ، وعادت القوات الى ماكانت عليه عند بدء القتال . ثم تعادل الموقف العسكرى بعد دخول العراق وقواتها الجوية والمدرعة بكثافة فى جبهة الجولان واستعداد الأردن للاشتراك أيضا .

أما القاهرة :

فكان الموقف العسكرى مشجعا للغاية ونجحت القوات المسلحة فى الحصول على المهمة المباشرة (١٠ ــ ١٢ كم شرق القناة) وهو هدف الرئيس السادات المعلن للقادة . ولكن الرئيس السادات الوحيد الذى رفض وقف اطلاق النيران لعدم وجود أى دافع سياسى يرغمه على ذلك بالاضافة الى :

١ ــ انبهار الرئيس السادات بنصر القوات المسلحة فى معركة العبور .

٢ ــ رفض هنرى كيسنجر شروط الرئيس السادات السياسية بالربط بين وقف اطلاق النيران المقترح وبين شروط الرئيس السادات السياسية (رسالة يوم ١٩٧٣/١٠/٧) .

٣ ــ احساس الرئيس السادات بأن امريكا ــ وهى شريكة فى الصراع ــ وبريطانيا والاتحاد السوفيتى والثلاث دول اعضاء دائمين فى مجلس الأمن ، يتفقون فى الرأى على ضرورة وقف اطلاق النار فى المواقع التى وصلت اليها القوات ، وقيام الولايات المتحدة بعد التفاهم مع الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن بطلب انعقاد مجلس الأمن للنظر فى صراعات الشرق الأوسط ، وأن الرئيس السادات سوف يواجه بهذا الأمر الواقع فيفلت من يده التحكم فى النتائج السياسية للمعركة الناجحة .

رأى الرئيس السادات أن عروض هنرى كيسنجر من أجل وقف اطلاق النار ، ومحاولة زج أطراف أخرى مثل بريطانيا للاشتراك فى عمل جبهة سياسية باسم مجلس الأمن بهدف الضغط عليه لقبول وقف اطلاق النار دون ارتباطه بحل سياسى مثل الوعد بالانسحاب من الأراضى العربية ، واعادة الحقوق الفلسطينية ، يعتبر تراجعاً من قبل هنرى كيسنجر لما سبق أن نوه به فى محاوراته السابقة لمعارك اكتوبر ١٩٧٣ .

وكان الموقف العسكرى على جبهة قناة السويس يؤهل الرئيس السادات لطلب المزيد من الأهداف السياسية طالما أن قواته منتصرة . وزاد تصوره اكثر عندما قبل المحاولة الاسرائيلية التى تستنجد فيها اسرائيل بطلب نجدة الولايات المتحدة لها فى معركتها الخاسرة ، وتكرار طلبها للدعم الأمريكى لتعويض خسائرها فى المعركة .

لذا قرر السادات — منفردا — أن يتحلل من القيود السابق الارتباط بها والواردة فى رسالته لهنرى كيسنجر يوم ١٩٧٣/١٠/٧ التى يلتزم فيها بتحديد اطار العمل العسكرى فى جبهة القتال بالنسبة لتوسيع الاشتباكات فى المواجهة ، أو زيادة عمق العمليات ، طالما ان هنرى كيسنجر بدأ يناور سياسيا بهدف تجميع الرأى العام العالمى ضده فى محاولة تكوين جبهة سياسية تحت مظلة مجلس الأمن ، تشترك فيها بريطانيا للضغط على السادات وهو فى أوج انتصاره العسكرى والسياسى .

وتراءى للرئيس السادات — تحت تأثير آماله لاقتناص هذه الفرصة — أن الاستجابة لطلب العواصم المعنية بالقتال لوقف اطلاق النار سوف ينهى الصراع العسكرى بين مصر واسرائيل على جبهة قناة السويس فى الحدود التى وصلتها القوات المصرية ، وهى لاتتعدى ١٠ — ١٢ كم شرق القناة . أى أن النتائج السياسية لهذا النصر لن تتعدى أفق جبهة قناة السويس بما فيها سيناء على الأرجح .

أراد الرئيس السادات أن يوسع أفق هذا النصر كى تتاح له الفرصة فى طلب المزيد لما يفوق استعداد اسرائيل المشار اليه ، مع أمله فى امكانية الاستناد الى الموقف العسكرى الباهر ، وممارسته الضغط على الجانب الأمريكى لاجبار اسرائيل على الوعد بالانسحاب من كل الأراضى العربية .

لم يستمع الرئيس السادات لرغبة القيادة العسكرية بالموافقة على ايقاف اطلاق النار ، اقتناعا منها بوفائها على مخطط الرئيس السادات السابق رسمه (شريط ١٠ — ١٢ كم شرق القناة) .

لم يفكر الرئيس السادات بعمق فى هذا الموقف من وجهة نظر التوازنات الدولية . كما انه لم يقدر الموقف العسكرى بالتوازى مع المواقف الأخرى . ودفعته طموحاته وآماله الى الخروج عن اطار الحرب المحدودة القاصرة ، الى اطار اكثر اتساعا لم يكن فى استطاعته أو فى امكانياته ملاحقته أو دعمه وهو توسيع جبهة القتال عسكريا واقتصاديا .

ومن أجل أن يتحلل من الالتزام بالاطار المحدود للعمل العسكرى بالنسبة لتوسيع جبهة الاشتباكات ، أو زيادة عمق العمليات العسكرية . كما ذكر فى رسالة الى هنرى كيسنجر يوم ١٩٧٣/١٠/٧ قام بارسال رسالة أخرى يوم ١٩٧٣/١٠/١٠ الى هنرى كيسنجر يكرر فيها نفس الطلب السياسى للتسوية (وقف اطلاق النار وانسحاب القوات الاسرائيلية فى فترة زمنية محددة الى خطوط يونيو ١٩٦٧) مقابل وقف اطلاق النار .

رد هنرى كيسنجر فى اليوم التالى برفض شروط التسوية السياسية (انسحاب اسرائيل الى حدود ٥ يونيو ٦٧) وأصبح واضحا وللمرة الثانية ، أن الولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من نصر القوات المسلحة فى عملية العبور ، انها ليست على استعداد لقبول الربط بين وقف اطلاق النيران ، وشروط السادات للتسوية السلمية .

وعلى ذلك اصدر الرئيس السادات قراراته التى طورت الموقف العسكرى والسياسى والاقتصادى فى المنطقة على اتجاه مخالف تماما لما ابرزته معركة العبور ، وهذه القرارات هى :

١ ــ فى يوم ١٠/١٠ بعث الرئيس السادات مساعدة المهندس سيد مرعى لزيارة الملك فيصل ، ودول الخليج بغرض الحث على تأييد ودعم المعركة .

٢ ــ أصدر الرئيس السادات قرارا يوم ١٩٧٣١٠/١١ بضرورة تنفيذ عمليات هجومية اضافية ، ووجد لهذا القرار مبررا شرعيا معلنا وهو من أجل رفع الضغط الاسرائيلى على جبهة الجولان .

إن قرار الرئيس السادات بضرورة تنفيذ عمليات هجومية اضافية « من أجل رفع الضغط الاسرائيلى على جبهة الجولان » جاء متأخرا ، اذ الموقف العسكرى الحقيقى على جبهة الجولان لايستأهل أى جهد اضافى من الجبهة المصرية . اذ ان العدو بدأ يحول مجهوده الرئيسى الى الجبهة المصرية بعد أن استقر الموقف فى الجبهة السورية وفى نفس الوقت كانت المجهودات الرئيسية لقواتنا المسلحة قد توقفت وأمنّت وعززت مواقعها الدفاعية شرق القناة .

كما أن الرئيس السادات أراد من وراء هذا القرار تغطية موقفه السياسى لدى سوريا وباقى الدول العربية فى حالة اعتراض سوريا مستقبلا على عدم التزامه بالخطة العسكرية المشتركة بينهما .

ولما كانت النتيجة الحقيقية لعملية الهجوم شرقا مخيبة لآمال الرئيس السادات ، فقد قام بأكبر عملية خداع اعلامية لتغطية هذا الفشل ، وما تبعه من تدمير أغلب دبابات التشكيلات التى اشتركت فى المعارك الأربع وقام باستخدام وسائل الاعلام المختلفة بتعظيم هذه المعارك الى المدى الذى وصفها بأنها « أكبر معارك مدرعات منذ الحرب العالمية الثانية » وادعائه بتدمير دبابات طرفى الصراع ــ هذا فى الوقت الذى لم تتعد خسائر اسرائيل فى هذه المعارك ٣٠ دبابة فقط ، بينما كانت خسائرنا فى نفس هذه المعركة اكثر من ٢٥٠ دبابة . مما أدى الى تنحى أكبر تشكيلاتنا وهى الفرقة ٢١ مدرعة عن استكمال دورها فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ .

بينما كانت قمة هذه الخطة الاعلامية تتركز على الاحتفال « بيوم النصر » وذلك باقامة مظاهرة شعبية فى مجلس الشعب ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ سبقها مسيرة مخترقة شوارع القاهرة قادها الرئيس السادات برفقة القائد العام وتقبل خلالها تحية الشعب المنتشى بالنصر والذى افاضت على تغطيته وسائل الاعلام .

وسط هذه المظاهر ألقى الرئيس السادات خطابه على الهواء مباشرة ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ عارضا استعداده لوقف اطلاق النار مقابل الوعد بالانسحاب من كل الأراضى العربية .

وسرعان ماتبين فور إلقاء خطابه بمن يخطره أن القوات الاسرائيلية قد عبرت القناة الى غربها بعد نجاحها فى اختراق دفاعاتنا عند نقطة الدفرسوار . وزادت حسرة الرئيس السادات أكثر عندما علم أن رئيسة وزراء اسرائيل قد ظهرت على شاشات تلفزيونات الدول الغربية ، وهى تعلن تواجد قواتها المقاتلة غرب القناة .

وكان الموقف العسكرى فى جبهة قناة السويس قد تغير منذ هزيمة قوات التطوير يوم ١٠/١٤ نتيجة للقرار الذى اصدره الرئيس السادات يوم ١٠/١١ بضرورة تنفيذ العمليات الاضافية لتخفيف الضغط الاسرائيلى عن الجولان . وزاد تدهور الموقف العسكرى والمعنوى اكثر ، عندما تمكنت قوات العدو المدرعة من اصابة وتدمير عدد كبير من كتائب صواريخ سام غرب القناة ، وتمكن الطيران الاسرائيلى من السيطرة على جو مسرح العمليات ، وعاون قواته المدرعة التى اندفعت تحقق مهامها فى الضفة الغربية لقناة السويس .

وكان السبب فى هذا التدهور هو خطأ القائد العام فى نقل قوات الفرقتين ٤ ، و٢١ المدرعتين من غرب القناة الى شرقها ، للقيام بعملية الهجوم شرقا لتخفيف الضغط الاسرائيلى عن الجولان .

ان اعلان الرئيس السادات فى مجلس الشعب يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ عن استعداده لوقف اطلاق النار بشرط انسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة فورا وتحت اشراف دولى ، لم يكن يستند وقتها الى الموقف العسكرى الحقيقى على جبهة قناة السويس . وبالتالى لم يستمع له أحد فى العواصم الكبرى التى كان يخاطبها ، لعلمه اليقينى بتحول الموقف العسكرى على جبهة السويس الى انكسار القوات فى القطاع الأوسط للجبهة ، ترتب عليه فى الأيام التالية انكسارات أخرى سريعة كان رد فعلها الداخلى والخارجى سريعا .

وكان أولها وصول رد هنرى كيسنجر خلال ساعات من انتهاء خطاب الرئيس السادات آخذا فى الاعتبار انكسار القوات المصرية فى القطاع الأوسط من جبهة القتال ، وتطور الموقف العسكرى فى صالح اسرائيل . رفض طلب مصر الخاص بضرورة موافقة اسرائيل على شروط التسوية الشاملة كجزء من وقف اطلاق النيران . ولايمكن للادارة الأمريكية أن تحقق هذا الهدف فى الظروف الحالية (مشيرا للانكسار العسكرى فى القطاع الأوسط) . وينبغى أن يكون الهدف هو وقف اطلاق النار فى المواقع الحالية مصحوبا بتعهد الأطراف ببدء المباحثات تحت اشراف السكرتير العام للأمم المتحدة لتحقيق سلام حقيقى وعادل على أساس القرار ٢٤٢ .

وحتى مساء ١٠/١٦ لم يبد الرئيس السادات أى استعداد لمناقشة ماجاء فى رد كيسنجر من مبادرات عن الأسلوب الواجب أن يسلكه السادات بعد انكسار قواته فى القطاع الأوسط للجبهة وتطور العمليات لصالح اسرائيل ، ووقف اطلاق النيران فى المواقع التى وصلت اليها القوات انتظارا لما يبديه كوسيجين من آراء . وكان كوسيجين قد وصل الى القاهرة فى زيارة عاجلة صباح اليوم .

وبالتأكيد لم يدرك الرئيس السادت ابعاد الضربة الاسرائيلية المضادة وعبور قواتها الى الضفة الغربية للقناة وترددت تكهنات فى القيادة العامة حول ماستفعله ٣ مجموعات مدرعة للعدو تعاونها ٨٠٠ طلعة جوية واعتقد بعض القادة ان اسرائيل تعزم القيام بعبور مائى لبحيرة التمساح حتى تتجاوز دفاعات الاسماعيلية اما السادات فكان يرى انهم سيحاولون ايجاد بعض قواتهم على الساحل الغربى لخليج

السويس وسبق هذا الخلل في التقديرات اذاعات من العدو عن نزول قوات اسرائيلية خلف قواتنا على أجنابها .

وأضيف الى أحداث مسرح العمليات يوم ١٦/١٠/١٩٧٣ حدثان هامان : أولهما دخول سلاح البترول للمعركة بالتوازي مع المعركة العسكرية عندما قررت دول البترول رفع سعر برميل البترول بنسبة ٧٠٪ ، ورد فعل هذا القرار على دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان . وزاد تأثير سلاح البترول أكثر عندما قررت دول البترول حظر تصديره الى الولايات المتحدة الأمريكية اعتبارا من ٢٠/١٠/١٩٧٣ إثر اعلان الأخيرة عن دعم اسرائيل بمبلغ ٢٫١ مليار دولار تمويل شحنات اسلحة عسكرية لاسرائيل .

وكان الحدث الثاني ماجاء به كوسيجين من اقتراحات لاتخرج عن رأى موسكو السابق فى ضرورة وقف اطلاق النار فى المواقع التى وصلت اليها القوات مع البدء فى انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة بموجب قرار مجلس الأمن ٢٤٢ . ولكن الرئيس السادات لم يستجب لاقتراحات كوسيجين الذى غادر القاهرة يوم ١٩/١٠/١٩٧٣ .

كان الموقف العسكرى المتدهور فى جبهة قناة السويس هو الحاسم فى اجبار الرئيس السادات على طلب وقف اطلاق النار بالشروط التى اقترحها كوسيجين . وفقد الرئيس السادات جميع المبادرات السياسية الطموحة التى اخطر بها هنرى كيسنجر فى رسالته يوم ٧/١٠ و١٠/١٠ وخطاب مجلس الشعب ١٦/١٠ .

وكانت القيادة العامة قد ركزت كل وسائل النيران المتاحة لديها سواء فى القوات الجوية أو من مدفعية الجيش الثانى على موقع الدفرسوار غرب وشرق القناة كذا على الثلاث كبارى المقامة بينهما . فاستخدمت القاذفات الثقيلة الصاروخية والقاذفات المقاتلة وطائرات الهليكوبتر بعد أن حملت عبوات نابلم وذلك فى يومى ٢٠ ، ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ .

وفى يوم ٢٠/١٠/١٩٧٣ وفى مركز القيادة الرئيسى (المركز ١٠) لمس الرئيس السادات تطور العمليات لصالح اسرائيل ، وانهيار القوات المصرية غرب القناة (نطاق تعبوى الجيش الثالث) . ومن واقع استنجاد القائد العام بالرئيس السادات للمرة الثالثة ليس لمناصرته على رئيس الأركان أو القادة المرؤوسين كما كان يفعل ، انما للبحث عن وسيلة سياسية لوقف اطلاق النار .

بعث الرئيس السادات ثلاث رسائل يطلب فيها وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية : **الرسالة الأولى** الى الرفيق بريجنيف يطلب فيها وقف اطلاق النيران فى المواقع التى وصلت اليها القوات ثم يبدأ مؤتمر السلام والانسحاب الاسرائيلى بضمان القوتين الأعظم حسب اقتراح كوسيجين فى القاهرة . **والرسالة الثانية** الى هنرى كيسنجر شملت — قبول مصر وقف اطلاق النار على الخطوط الحالية وعقد مؤتمر سلام بقصد التوصل الى تسوية جوهرية وضمان امريكى سوفيتى لوقف اطلاق النار والانسحاب

الاسرائيلى وذلك طبقا لما جاء فى رسالة كيسنجر يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ . **والرسالة الثالثة الى الرئيس** حافظ الأسد ــ حليف القتال ــ تضمنت نجاح القوات فى المرحلة الأولى من الحرب (٦ ــ ١٥ اكتوبر) ثم شرح التطور فى الموقف العسكرى فى الأيام العشرة الأخيرة حيث تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية بامداد اسرائيل بأحدث مالديها من أسلحة . وان مصر لايمكنها أن تحارب الولايات المتحدة الأمريكية ، ولا يمكن أن يتحمل المسؤلية التاريخية لتدمير القوات المسلحة مرة أخرى .

وهناك أمران هامان شملتهما هذه الرسائل :

١ ــ أن الرئيس السادات لم يذكر أى شروط للتسوية السياسية النهائية والتى كان يقترحها على هنرى كيسنجر فى رسالته يوم ١٠/٧ و١٠/١٠ ، كذا فى خطابه بمجلس الشعب يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ وهو فى موقف الانتصار .

٢ ــ أبرز الرئيس ثقل المعونة والدعم العسكرى الأمريكى لاسرائيل وجعله سببا مباشرا لوقف اطلاق النار وعدم قدرته على محاربة امريكا . ولكن ثبت من البحث وراء هذا الادعاء ــ أن حشد وتجميع المجموعات الثلاث المدرعة الاسرائيلية شرق القناة اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/١١ وابلغت عنه مخابراتنا العسكرية وهو الحشد الذى نجح فى اختراق دفاعاتنا ليلة ١٦/١٥ اكتوبر ثغرة الدفرسوار . وان الدعم الأمريكى الكثيف تقرر سياسيا فى واشنطن يوم ١٠/١٢ وبدأ شحنه عبر الجسر الجوى الأمريكى اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/١٣ الى اسرائيل . أى أن الهجوم المضاد الاسرائيلى واختراق دفاعاتنا فى الدفرسوار ونقل المعركة الى الضفة الغربية قد تم بمعرفة الحشد الاسرائيلى شرق القناة دون الاستعانة بأى معدة أو سلاح امريكى . ورد لاسرائيل عبر الجسر الجوى الذى بدأ يصل اسرائيل منذ ١٩٧٣/١٠/١٣ سوى الصاروخ « تاو » المضاد للدبابات الذى وصل الى مجموعة شارون يوم ١٠/١٣ ودعمت به باقى القوات يوم ٧٧/١٠/١٨ وهذا الصاروخ كان ضمن الأسلحة التى وصلت الى اسرائيل بواسطة طائرات النقل الاسرائيلى التى سبقت الجسر الجوى الأمريكى .

شعر الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو فى المركز (١٠) انعدام مقاومة القوات المصرية غرب القناة بسبب عدم وجود الفرق المدرعة والميكانيكية التى كانت تشكل النسق الثانى التعبوى وتعمل على تأمينه ضد اختراق العدو لدفاعاتنا ، كذا غياب كتائب المدفعية المضادة للدبابات « المالوتكا » والتى انتزعها القائد العام من وحدات النسق الثانى والاحتياطى وألحقها على الفرق المشاه التى قامت بالعبور ولم يصدر اوامره باستردادها بعد نجاح عملية العبور . وكان السلاح « المالوتكا » هو أنسب الأسلحة لمقاومة انتشار وتقدم مدرعات العدو بعد نجاح اختراقه فى الدفرسوار . أى أن غياب السلاحين ــ الدبابات والمالوتكا ــ من الوحدات المتبقية فى الضفة الغربية سهّل جدا عملية اجتياح وحدات العدو المدرعة مساحة ١٢٠٠ كم غرب القناة فى يومين (من ٢١ ــ ٢٣ أكتوبر) .

قدر الرئيس السادات مدى الخسائر التى لحقت بقواتنا الجوية وحائط الصواريخ الذى اعتمدت عليه مصر فى تحرير سيناء بسبب عنف وكثافة الهجمات الجوية الاسرائيلية . ولمس عن قرب التأثير

المعنوى الذى لحق بالقائد العام وقيادات المركز (١٠) وذلك قبل أن يصدر قراره النهائى بطلب وقف اطلاق النار مساء يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ حتى لاتزداد خسائر الأفراد خسارة فادحة تعجزه عن تحملها مستقبلا .

لقد كان قرار الرئيس السادات بانهاء القتال وطلب وقف اطلاق النيران يوم ١٩٧٣٢/١٠/٢٠ مفاجأة للمصريين وللعرب جميعا بعد النصر الشامخ الذى حققه قواتنا المسلحة المصرية فى الأسبوع الأول من المعركة . وكانت المبررات والأسباب التى ارتكن عليها الرئيس السادات لطلب وقف اطلاق النيران مدعاة لاهدار ارادة القتال لدى المقاتلين وشعوب الأمة العربية جميعا . هذه الارادة التى ترسخت فى افراد القوات المسلحة والشعب المصرى منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

ان اعلان الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس جمهورية مصر العربية بتصريحاته « ليس لنا طاقة لمحاربة امريكا » « ان معركة اكتوبر ١٩٧٣ هى آخر الحروب » ، هى توجيهات مثبطة لعزائم المقاتلين وللشعوب العربية ، وتدعو لزوال ارادة القتال .

نبع قرار مجلس الأمن لوقف اطلاق النار من موسكو بعد وصول هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية اليها يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ ، وعرض طلب الرئيس السادات على القيادة السوفيتية ، واتفقت القوتان على تقديم اقتراح الى مجلس الأمن يقضى بوقف اطلاق النار خلال ١١ ساعة من وقت صدوره ، والتنفيذ التطبيقى لقرار ٢٤٢ والمحادثات تحت الاشراف المناسب بهدف اقرار السلام العادل الدائم .

وفى مساء ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ اجتمع مجلس الأمن واصدره قراره رقم ٣٣٨ على أساس المشروع السوفيتى ــ الأمريكى بدعوة جميع الأطراف المشتركة فى الحرب الى ايقاف اطلاق النار ، وانهاء كل نشاط حربى فورا فى موعد لايزيد على ١٢ ساعة بعد لحظة صدور هذا القرار ، وذلك فى المواقع التى تحتلها الأطراف الآن ، ويدعو الأطراف المعنية الى البدء فورا عقب ايقاف اطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه ، وان تبدأ فورا بالتزامن مع ايقاف القتال مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت اشراف مناسب بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

وكان توقيت تنفيذ القرار ٣٣٨ بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط هو الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ . والتزمت القيادة المصرية بوقف اطلاق النار فى مسرح عمليات قناة السويس اذا التزم العدو بوقف اطلاق النار . وقبل وقف اطلاق النار مباشرة أصدر الرئيس السادات أوامره باطلاق صاروخين من المدفعية طويلة المدى الصاروخية « سكود » على منطقة الدفرسوار وكانت هذه الوحدة من الأسلحة السوفيتية الحديثة التى وصلت مؤخرا الى مصر ولكنها لم تشترك فى عمليات اكتوبر ١٩٧٣ . لعدم استكمال تدريب الأطقم المصرية .

والكروكى المرفق بين اوضاع القوات حتى مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ . المرفق (١٣) .

أما عن اسرائيل فقد قام هنرى كيسنجر باخطار الرئيس السادات بعد صدور القرار ٣٣٨ مباشرة أن اسرائيل وافقت على قرار وقف اطلاق النيران . ولكن تبين بعد ذلك ان هنرى كيسنجر وهو فى طريقه إلى موسكو عرج على اسرائيل لاخطار قادتها بتفصيلات وظروف وقف اطلاق النار ، وبارك عزم القيادة الاسرائيلية على تقدم قواتها فى الضفة الغربية للقناة بعد اعلان وقف اطلاق النيران بهدف الوصول الى موقف عسكرى قوى يمكن اسرائيل من املاء شروطها فى المفاوضات المقبلة مع مصر . وكان الهدف العسكرى للقيادة الاسرائيلية هو العمل على عزل قوات الجيش الثالث ومدينة السويس ، وقطع طرق المواصلات الداخلية اليهما .

وعندما انتهكت اسرائيل قرار وقف اطلاق النار يوم ١٩٧٣/١٠/٢٣ فى الوقت الذى كانت فيه قوات الجيش الثالث غرب القناة قد ضعفت مقاومتها ، لم يجد الرئيس السادات ملجأ يستند اليه سوى الاتحاد السوفيتى يطلب منه العون . وذكر كلمة قوات فى طلبه لوضع حد للانتهاكات الاسرائيلية ازاء الوضع العسكرى المتدهور غرب القناة . ولم يتردد الاتحاد السوفيتى من مساندة مصر ورفع درجة استعداد ٧ فرق جنود جو قوامها ٤٥٠٠٠ مقاتل . وارسل انذاره الى الرئيس الأمريكى نيكسون يهدد بالتدخل المنفرد فى مسرح عمليات الشرق الأوسط اذا لم تردع حليفتها اسرائيل بالالتزام الفورى لقرار مجلس الأمن .

فى نفس الوقت اعلنت الادارة الأمريكية حالة التأهب لقواتها النووية وأجرت تحركات بحرية وجوية استعدادا للصدام فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، كما تبين من احداث يومى ٢٤ و ٢٥ أكتوبر ، ومتابعة الاشارات المتبادلة بين الرئيس السادات والقوتين العظميين ، والردود الساخنة بينهما تعطى الاحتمال فى امكانية الصدام النووى بين القوتين المتحاربتين .

واعتبارا من مساء ١٩٧٣/١٠/٢٣ كانت قوات الجيش الثالث ومدينة السويس قوامها ٦٠٠٠٠ مقاتل محاصرين حصارا تاما وباتوا رهينة فى يد اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية .

وكان مجلس الأمن قد اصدر قراره فى نفس اليوم برقم ٣٣٩ وينص على تكليف مراقبى هيئة الأمم المتحدة لمتابعة تنفيذ القرار ٣٣٨ (قوات هيئة الأمم فى قبرص) بهدف الفصل بين القوات المتحاربة فى جبهة قناة السويس .

وفى مساء نفس اليوم صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٠ بتكليف الدول غير الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن بارسال قوات سلام لمنطقة الشرق الأوسط قوامها ٩٠٠ فرد كانت متمركزة فى قبرص ومكونة من قوات استرالية وفنلندية وسويدية وجميعها تحت القيادة المباشرة للجنرال اينزو سيلاسفو .

وكان الرئيس السادات قد اتصل بالرئيس الأمريكى يطالبه بالوفاء بما وعد به حول التزام اسرائيل

بوقف اطلاق النار ، وذلك بالتدخل « على الأرض » لاجبارها على ذلك . وفى نفس الوقت قررت مصر طلب عقد اجتماع لمجلس الأمن للنظر فى ارسال قوات سوفيتية وامريكية الى الشرق الأوسط .

وفى اليوم التالى بعث الرئيس نيكسون برسالة يستجيب فيها لاقتراح الرئيس السادات « فقد وافقت اسرائيل على السماح للملحقين العسكريين الأمريكيين فى تل أبيب بالتوجه الى منطقة القناة للتحقيق فى تنفيذ التعليمات بوقف اطلاق النار وذلك على أساس مؤقت الى أن يصل مراقبو الأمم المتحدة للمنطقة ، وطلب نيكسون ابلاغ قواتنا بذلك .

الرئيس السادات يسلم بنصائح كيسنجر للابقاء على حصار الجيش الثالث

كان الرئيس السادات قد أعلن بعد وقف اطلاق النار وحصار الجيش الثالث ومدينة السويس ، أن القوات المسلحة المصرية قد جهزت خطة تعرضية سمتها الخطة « شامل » للقضاء على الجيب الاسرائيلى . ولكن الرئيس السادات لم يحدد ميعاد تنفيذها طبقا لنصيحة هنرى كيسنجر حتى يبقى على الموقف الاسرائيلى القوى فى الضفة الغربية للقناة ، ومن ثم يجبر الرئيس السادات على قبول التنازلات العسكرية والسياسية التى تطلبها اسرائيل للوصول الى التسوية النهائية من وجهة نظرها . وكانت موافقة الرئيس السادات على نصائح كيسنجر هى اكبر خطأ سياسى يضاف الى القرارات السياسية الخاطئة التى فرضها الرئيس السادات على المعركة العسكرية . وانه فى هذه الحالة قد تنازل عن مطلب ضرورة عودة اسرائيل الى خط ٢٢ أكتوبر طبقا لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الذى أيدته الولايات المتحدة الأمريكية . بالاضافة الى موافقة الرئيس السادات على استمرار بقاء القوات الاسرائيلية فى مواقعها الحالية فى الضفة الغربية للقناة ، والتى تمكنها من حصار الجيش الثالث ومدينة السويس .

ان الثقة العمياء فى قدرة الولايات المتحدة الأمريكية التى منحها الرئيس السادات لحل قضية الصراع مع اسرائيل حلا منفردا منذ بداية حكمه أعمت ادراكه عما يدور من مؤامرات سياسية وعسكرية بواسطة كيسنجر واسرائيل .

بينما كان الموقف العسكرى للجيب الاسرائيلى ضعيفا للغاية بالاضافة الى حصاره من جميع الجهات ، ولايوجد منفذ لتموينه ودعمه سوى معبر الدفرسوار والذى شمل ثلاثة كبارى عبر قناة السويس فى منطقة الدفرسوار وغطاء جوى مسيطرة سيطرة تامة .

وكانت الفرق الثلاث المدرعة الموجودة فى الجيب الاسرائيلى ضعيفة . إذ ان قوة دبابات لواءاتها المدرعة وصلت مابين ١٧ دبابة ، ٥٠ دبابة فى كل لواء مدرع فقط ، وذلك بسبب الخسائر الكبيرة التى لحقت بهذه الفرق المدرعة من المعارك التى خاضتها .

كان توزيع الفرق المدرعة الاسرائيلية داخل هذا الجيب الاسرائيلى محرجا للغاية اذ كانت فرقة شارون قائمة بتثبيت اوضاع الجيش الثانى فى الشمال وفرقتى ادان وماجن تنتشران فى مساحة قدرها ١٢٠٠ كم (نطاق تعبوى الجيش الثالث الميدانى) تحيطها قوات الفرقة ٦ مشاة ميكانيكية والفرقة ٤ مدرعة وحائط

الصواريخ الذى تقوس من مكانه القديم جهة الغرب ، وكانت قوة الدبابات المتاحة للقوات المسلحة بعد وقف اطلاق النار هي :

لواء مدرع حرس جمهورى دباباته طراز ت ٦٢ = ١٢٠ دبابة

لواء مدرع جزائرى ــ (دبابات) = ١٥٠ دبابة كان الرئيس بومدين قد سدد ثمنها للاتحاد السوفيتي فى بداية القتال

لواء مدرع جزائرى ــ (دبابات) = ٩٠ دبابة

دعم يوجسلافى (دبابات) = ١٤٠ دبابة هدية من يوجوسلافيا

ويقرر اللواء كمال حسن على مدير ادارة المدرعات فى ذلك الوقت أن نسبة دباباتنا الى دبابات العدو هى ٤ : ١ كما يستشهد بقول موشى ديان ان مصر قد دفعت بالجيش الرابع لمحاصرة قوات الجيش الاسرائيلى (*) .

واذا اضفنا الى هذه القوة عدداً من اسلحة المالوتكا المضادة للدبابات تعمل عليها وحدات صاعقة ومنقولة جوا ومظلات بأسلوب الكمائن الليلية الذى مارسته فى حرب الاستنزاف مع توفر ارادة القتال لأمكن بسهولة القضاء على هذا الجيب الاسرائيلى .

الا ان السادات لايريد القتال لتصفية الجيب الاسرائيلى بعد اتفاقه مع كيسنجر فى قصر الطاهرة فى ١٩٧٣/١١/٧ . وكان هناك اجماع من جميع القادة بضرورة تنفيذ العملية ، فقام السادات بتكرار عملية التمويه والخداع التى مارسها فى أوائل عام ١٩٧١ حين اصدر قراره النهائى بتحديد ميعاد معركة تحرير الأرض فى مايو ٧١ ثم فى يونيو ٧١ ولكنه نكص عن توقيع القرار فى اخر لحظة .

وافق السادات على تنفيذ الخطة « شامل » لتصفية الجيب الاسرائيلى لمواجهة الضغوط من القوات المسلحة ولكنه لم يحدد ميعاد تنفيذها بالرغم من ذلك فان الاشتباكات التلقائية التى تمت مع قوات الجيب الاسرائيلى حتى يناير ١٩٧٤ ادت الى قتل ١٧٨ جنديا اسرائيليا وتدمير ١١ طائرة وعدد كبير من الدبابات والعربات المدرعة .

وكان هنرى كيسنجر قد هدد باشتراك امريكا فى القتال مع اسرائيل اذا حاول المصريون كسر قرار وقف اطلاق النار والعمل ضد قوات الجيب الاسرائيلى .

وبصفة عامة فان جميع قادة القوات المسلحة كانوا يدركون الموقف خاصة بعد اعلان الرئيس السادات وقف اطلاق النيران يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ وإقراره أن حرب اكتوبر هى آخر الحروب ، وانه ليس لنا طاقة لمحاربة امريكا . الأمر الذى سبب عن قصد من الرئيس السادات انهاء روح القتال فى القوات المسلحة والشعب المصرى وعدم رغبته فى مقاومة الجيب الاسرائيلى داخل محافظتى الاسماعيلية والسويس .

(*) كتاب محاربون ومفاوضون لكمال حسن على ص ٥١ .

وفى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٥ اخطرت القاهرة موسكو وواشنطن عن تراجعها فى طلب مراقبين وقوات أجنبية وبذا هدأت الأزمة بين موسكو وواشنطن التى سببها السادات بطلب مراقبين وقوات للحد من انتهاكات اسرائيل .

والكروكى المرفق بين اوضاع القوات حتى يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ — مرفق (١٤) .

وفى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٦ أصبح امداد الجيش الثالث بالمؤن غير العسكرية والأدوية من المشاكل الملحة أمام الرئيس السادات الذى سارع وأرسل رسائل متتالية الى الرئيس نيكسون .

رفضت اسرائيل فى البداية إمداد الجيش الثالث باحتياجاته التموينية . والعلاجية حتى يسمح بالافراج عن الأسرى المسجونين والجرحى والمصابين الاسرائيليين فى مصر .

اضطرت مصر لقبول طلب اسرائيل بعد ان سمحت بالقدر اليسير من التموين وبلازما الدم الذى جلبه الصليب الأحمر من إسرائيل ، وعبر أول قول تموين وعلاج تحت اشراف نقط التفتيش الاسرائيلية وبواسطة سائقين من الأمم المتحدة الى الجيش الثالث يوم ١٩٧٣/١٠/٢٩ .

كما اخطر كيسنجر القاهرة عن موافقة اسرائيل على الاقتراح المصرى بقبول مباحثات مباشرة مع مصر حول « كيف يمكن حل مشكلة وقف اطلاق النار وامداد الجيش الثالث » ووافق الرئيس السادات على الاجتماع وعين لواء محمد عبد الغنى الجمسى ممثلا لمصر لمناقشة الاعتبارات العسكرية لتطبيق قرارى مجلس الأمن رقم ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

وكانت مفارز قوات هيئة الأمم المتحدة قد وصلت الى منطقة مدينة السويس صباح نفس اليوم ، وعند الظهر توقفت العمليات الحربية نهائيا فى جبهة قناة السويس .

وإنتهت معارك اكتوبر يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ والتى استمرت ثلاثة اسابيع بطلب من الرئيس السادات ايقاف اطلاق النيران تحت ضغط شديد من العدو يوم ٢٠ / أكتوبر ١٩٧٣ .

الفصـــــل
الثامـــــن

قوات الدفاع الجوى فى معارك أكتوبر ١٩٧٣



قوات الدفاع الجوى هى القوة الرابعة فى القوات المسلحة ، بجانب القوات البرية والبحرية والجوية . وفى معركة العبور فى أكتوبر ١٩٧٣ كانت قوات الدفاع الجوى هى القوة الأولى فى المعركة ، والتى جعلت اقتحام المانع المائى الصعب — قناة السويس — أمرا ميسورا للقوات البرية .

برزت شبكة الدفاع الجوى المتطورة غرب قناة السويس كغطاء جوى كثيف حمى قوات النسق الأول والثانى للجيشين الثانى والثالث ، كما غطت القوات فى النطاق التعبوى خلال معارك أكتوبر ١٩٧٣(*) .

كما كانت فرق الدفاع الجوى التى أخذت مسئولية الدفاع الجوى عن الدولة والموزعة على المحاور الاستراتيجية الأخرى مثل المركزية — الشمالية — الدلتا — الصعيد الأوسط — الصعيد الأعلى أساس استكمال الدفاع الجوى عن الجمهورية .

وقوات الدفاع الجوى هى القوة الأساسية التى مكنت قوات المهندسين العسكريين من اعداد وتجهيز المنازل غرب وشرق مجرى قناة السويس وتركيب المعديات والمعابر الثقيلة عبر قناة السويس ، وفتح الثغرات فى الساتر الترابى شرق القناة تحت تهديد العدو . الأمر الذى جعل طرق العبور ممهدة وسهلة امام قواتنا المهاجمة .

(*) صاروخ سام ٢ يمكنه بسهولة تدمير أى هدف معادٍ بحد أدنى ٢٥ كم عند اقترابه على ارتفاع أعلى من ٣ كم ، كما يمكنه بسهولة تدمير أى هدف معادٍ بحد أدنى ١٥ كم عند اقترابه على ارتفاع منخفض .
صاروخ سام ٣ يمكنه بسهولة تدمير أى هدف معادٍ بحد أدنى ٢٠ كم عند اقترابه على ارتفاع أعلى من ٣ كم ، كما يمكنه بسهولة تدمير أى هدف معادٍ بحد أدنى ١٠ كم عند اقترابه على ارتفاع منخفض .

اما التغطية على مسافات اكثر من ٢٥ كم فتعتمد على انتقال سام ٣ وهو نصف متحرك فى شكل انساق متتابعة ، كلما تقدمت القوات شرقا اكثر من ذلك أو على أسراب المقاتلات الاعتراضية . هذا بالاضافة الى الحماية المتوفرة ضد الطيران الواطى والواطى جدا التى تعتمد على الأسلحة المضادة للطائرات العضوية للتشكيلات الميدانية وهى سام ٦ المتحرك على شاسيه دبابة ت ٣٤ وسام ٧ الذى يحمل على الكتف .

وقبل ذكر هذه القدرات فان شبكة الدفاع الجوى غرب قناة السويس قد تمكنت فى حماية نفسها ضد هجمات العدو الكثيفة التى قام بها فى الأيام الأولى من القتال ، والتى وصل متوسطها اليومى الى ٨٠٠ طلعة يوميا ، ولم تنجح فى فتح ثغرة جوية واحدة خلال هذه الهجمات ، أو تتمكن من تدمير كتيبة ، أو موقع به سلاح أو صاروخ من أسلحة الدفاع الجوى .

انشئت قوات الدفاع الجوى كقوة رئيسية فى يونيو ١٩٦٨ ، ولو ان انفصالها عضويا من تجميع القوات الجوية تم عقب معركة يونيو ١٩٦٧ مباشرة ، ونظمت قوات الدفاع الجوى على شكل فرق دفاع جوى ، كل تحتوى على لواءات دفاع جوى وكل لواء يحتوى على كتائب صواريخ ـــ كتائب مدفعية مضادة للطائرات ثقيلة ومتوسطة وخفيفة وكتائب رادار . وكتائب الصواريخ طراز سام منها ذات الوقود السائل مثل سام ٢ ومنها ذات الوقود الجاف مثل سام ٣ وسام ٦ ومنها الفردى مثل الصاروخ سام ٧ وكل لواء دفاع جوى له كتيبة فنية يجهز فيها الصواريخ للامداد والملء بالوقود .

ومن أجل تغطية الانذار المبكر على حدود الجمهورية وسواحلها الطويلة . اقامت قوات الدفاع الجوى سلسلة طويلة من نقاط المراقبة بالنظر اذ أنها كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة فى ذلك الوقت لاكتشاف والتبليغ عن الطيران المنخفض جدا ، كذا فى تغطية المناطق البعيدة عن شبكة الانذار الرادارية ، كذا لتغطية الثغرات الناشئة بين شبكات الدفاع الجوى عموما . وظلت نظم المراقبة بالنظر لمراقبة التحركات المنخفضة جدا هى المعتمدة فى كل الجيوش العالمية حتى اختراع الرادار المحمول جوا على الطائرة هوك أى أو A.Z.C الغربية أو اليوشن ٧٦ السوفيتية فى الثمانينات فقط ، وان الرادارات الأرضية المخصصة لاكتشاف الطيران الواطى مثل بـ ١٥ لم تستخدم ميدانيا فى الجيوش وفى التشكيلات البحرية السوفيتية الا عام ١٩٦٩ ، ودخلت مصر عام ١٩٧٠ بالاضافة الى شبكة الانذار بالرادار التى نظمت فى كتائب وسرايا تم ربطها مع قيادات لواءات الدفاع الجوى وكتائب الرادار حتى تنقل بلاغاتها الى مراكز عمليات الدفاع الجوى الموجودة فى مناطق الدفاع الجوى بخطوط تليفونية مستقلة بالاضافة الى ٢ جهاز لاسلكى فى كل نقطة انذار ، وكل خطوط الانذارات الجوية التليفونية واللاسلكية تصب اخيرا فى غرفة العمليات الرئيسية للدفاع الجوى فى مركز العمليات الرئيسى بالقاهرة . واطلق على كل هذه التنظيمات والأسلحة والأجهزة والمواصلات نظام الدفاع الجوى للدولة .

أما أسلحة الدفاع الجوى ضمن تنظيم الفرق المشاه والفرق الميكانيكية والفرق المدرعة والتى تضم أسلحة دفاع جوى نوعية للتشكيلات الميدانية مثل مدافع ٢٣ مم الثنائى والرباعى وكلها متحركة وتوجه راداريا ، وصواريخ سام ٧ الفردى والمدفعية المضادة للطائرات المتوسطة مثل ٥٧ مم المواجهة راداريا و٥٧ مم الذاتى الحركة مع الفرق المدرعة . وأضيف اليها فيما بعد ٣ لواءات صواريخ سام ٦ المتحركة(*) تم توزيعها على قوات الجيشين الثانى والثالث وهو أحدث صاروخ سام . وسبق تواجد الصاروخ سام ٦ مع الوحدات السوفيتية للدفاع الجوى عن السد العالى قبل استبعاد السادات لهم فى يوليو ١٩٧٢ وهو يعمل ضد الطيران الواطى والمتوسط ومحمل على شاسيه دبابة ت ٣٤ ويوجه راداريا بطريقة مرنة ، وهو

(*) اللواء الثالث من صواريخ سام ٦ وصل الاسكندرية يوم ١٩٧٣/١٠/١٢ . ولم يشترك فى المعركة منذ البداية .

مؤثر على طيران العدو بسبب عدم تمكين الولايات المتحدة أو اسرائيل من معرفة اسراره الفنية حتى معارك اكتوبر ١٩٧٣ الى أن أقدم الرئيس انور السادات على تنفيذ خطوة غير مشروعة وأهدى وحدة متكاملة منه الى الولايات المتحدة الأمريكية وتم معرفة سرها الفنى منذ ذلك الوقت .

كان التجميع الرئيسى لأسلحة وأجهزة الدفاع الجوى مركزا فى منطقة قناة السويس من القنطرة غرب حتى ميناء الأدبية جنوب السويس وبعمق ٣٠ كم غرب القناة ، احتلت اكثر من ٤٥ كتيبة صواريخ سام ٢ وسام ٣ بالاضافة الى كتائب المدفعية المضادة للطائرات المختلفة العيار وكتائب مدافع ٢٣ مم (الشيليكا(*)) وكتائب صواريخ سام ٧ وكتائب رادار وكتائب مراقبة بالنظر ضمتها الفرقة ٨ دفاع جوى ، والتى شملت ٦ لواءات دفاع جوى كل من ٦ ــــ ٨ كتيبة تدار عملياتها المشتركة مع القوات الجوية فى مركز عمليات مشترك فى أبو صوير . كما انشأت لها غرفة عمليات على محور منفصل فى منطقة بورسعيد الدفاعية ولكنه مرتبط بشبكة الدفاع الجوى فى نظام الانذار والتوجيه كما ضمت ٤ كتائب صواريخ سام ٢ و٣ .

زود هذا التجميع بنظام اللكترونى ساعد كتائب الصواريخ وأجهزة الرادار والتوجيه فى منع اعاقة وشوشرة العدو ، كما ساعد فى الاستطلاع الألكترونى وأسلوب توزيع وتخصيص الأهداف للواءات الصواريخ سام .

ويعتبر هذا التجميع فى أسلحة وأجهزة وصواريخ الدفاع الجوى هو أكثف تجميع متطور فى العالم فى ذلك الوقت ومن هذا أطلق عليه (حائط الصواريخ) وفى قول آخر « غابة الصواريخ » واقترب الحد الأمامى لهذا التجميع للشاطىء الغربى لقناة السويس على وثبات تراوحت بين ١ كم ، ٣ كم .

كما اضيف الى هذا التجميع الكثيف للدفاع الجوى اسراب ميج ٢١ اعتراضية مقاتلة ومخصصة للدفاع الجوى ، وتم التنسيق والتعاون بين السلاحين على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة .ونظمت القيادة لتكون من مراكز عمليات مشتركة ، وبذا اكتملت كل عناصر الدفاع الجوى الايجابية على مستوى الدولة .

وكان تواجد شبكة الصواريخ سام ٣ وغرزها فى غرب القناة هو حصيلة التعاون الصادق بين مصر والاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٦٧ . ففى يناير ١٩٧٠ تمكن الرئيس عبد الناصر والوفد المرافق له من اقناع مجلس السوفييت الأعلى من امداد مصر بأكبر صفقة اسلحة دفاع جوى عمادها صواريخ سام ٣ ، ومعداتها وطائرات ميج ٢١ المعدلة ومعداتها ، وأمدنا الاتحاد السوفيتى لأغراض السرعة فى الانجاز والدعم بأطقم كاملة من العسكريين السوفييت المقاتلين من تنظيم قوات الدفاع الجوى للاتحاد السوفيتى تتكون

* توجه الشيليكا اوتوماتيكيا من الرادار العضو لها ، أى لا تدخل بشرى في التوجيه . وكان السوفييت قد وردوا هذا السلاح عندما زودوا كتائبهم الصاروخية (دفاع جوى) التي حضرت لمعاونتنا في العمق في مارس ١٩٧٠ . وتم ذلك في اجتماع ثنائي مع المارشال جريشكو في القاهرة وعرض علينا سلاحين جديدين لم يكن لدينا علم بهما وهما الشيليكا ٢٣ مم والصاروخ سام ٧ ضد الطيران الواطي جدا والمحمول على الكتف ، وهما سلاحان متطوران حرص السوفييت على امدادنا بهما عقب استخدامهما ميدانيا في القوات السوفيتية العاملة مباشرة .

من ٤ لواءات صواريخ سام ٣ ولواء سام ٦(*) و٢ لواء طائرات ميج ٢١ معدل بطياريها ومعداتها كاملة بهدف دعم وتغطية عمق الدفاع الجوى عن الجمهورية العربية المتحدة ضد تهديد الطيران الاسرائيلى الذى كان يخترق دفاعاتنا الجوية ويقصف اهدافاً اقتصادية وحيوية فى عمق الدولة .

استقرت الوحدات السوفيتية فى العمق فى مناطق دفاعية مشتركة مع قوات الدفاع الجوى المصرية فى القاهرة ــ الاسكندرية ــ الدلتا ــ بنى سويف ــ الفيوم ــ واسوان ، بينما تمكنت قوات الدفاع الجوى المصرى من دفع عناصرها الجديدة من صواريخ سام ٣ (٣ لواءات) واحتلت مواقعها غرب القناة على ثلاث مراحل وكان اسلوب دفع الثلاثة لواءات صواريخ سام ٣ الى مواقعها الدفاعية ــ أصلية ــ تبادلية ــ هيكلية الى غرب القناة ، هى قصة ابطال الدفاع الجوى المصرى يخصص لها كتاب منفرد يدرس لأجيالنا القادمة ، ويسجل شهادات فخر واعتزاز لكل شهيد من قوات الدفاع الجوى ، أو من العمال المدنيين أو من أهالى منطقة غرب القناة ، أو من المستشارين السوفييت الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل نجاح قوات الدفاع الجوى فى غرس أقوى شبكة دفاع جوى كثافة وتطورا تحطمت عليها ذراع اسرائيل الطويلة . واعتبر العالم كله ان دعم ومساعدة الاتحاد السوفيتى بهذه السرعة وبهذا الاسلوب الذى لم يحدث منذ الحرب العالمية الثانية يعتبر ردعا سياسيا وعسكريا ضد الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل فى المنطقة ، واطمأنت القيادة السياسية والعسكرية بتأمين العمق فى مصر بسبب هذا الانجاز الضخم الذى جعل من اتمام معركة تحرير سيناء فى المدة التى حددها لى الرئيس عبد الناصر وهى ثلاث سنوات فى توجيهاته الأولى يوم ١٩٦٧/٦/١١ . أمرا ممكنا .

وتوقف التهديد الجوى الاسرائيلى لاهداف العمق المصرى اعتبارا من ١٩٧٠/٤/١٨ ، وهو اليوم الذى استقرت فيه شبكة الصواريخ سام واشتركت معها اسراب الميج ٢١ المعدلة السوفيتية فى العمق من ضد الهجمات الجوية الاسرائيلية . وبرزت قيمة وتأثير شبكة الصواريخ غرب القناة عندما تعمدت اسرائيل تحدى هذه الشبكة فى شهرى يونيو ويوليو عام ١٩٧٠ ونتج عن ذلك تدمير ١٨ طائرة واصابة ٥٠ أخرى من ــ الفانتوم والاسكاى هوك ــ وتم أسر ٥ طيارين اسرائيليين ظلوا اسرى فى يد القوات المصرية الى أن أعيدوا مع جملة الأسرى الاسرائيليين فى معارك اكتوبر فى شهر ابريل ١٩٧٤ .

وكان يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ هو يوم الفخر والمجد لقوات الدفاع الجوى مازالت تحتفل به مصر للآن . كما تحتفل بذكرى أول شهيد بنى بدمائه الطاهرة الصرح الكبير لحائط الصواريخ وهو الشهيد الرائد شطا قائد كتيبة صواريخ سام ٣ الذى استشهد فى نفس اليوم .

ويرجع الفضل فى حصول قوات الدفاع الجوى على هذه النتائج السريعة مع طيران العدو إلى اجادة قوات الدفاع الجوى غرب القناة استخدام اسلوب الكمائن المتحركة ، مستعينة بخفة حركة سام ٣ خاصة اذا تم التحرك وتجهيز المواقع الجديدة ليلا وفى منطقة غير مستطلعة من العدو وهو ما كانت تجيده

(*) كلف اللواء سام ٦ السوفيتى بمهمة الدفاع ضد الطيران الواطى والمتوسط عن السد العالى تحت قيادة الدفاع الجوى المصرى فى ابريل عام ١٩٧٠ . وسام ٦ يعمل داخل مجموعة واسعة من الترددات ولم يتمكن الخبراء الأمريكيون من ايجاد وسائل الكترونية مضادة له .

وتتقنه قوات الدفاع الجوى منذ معركة كمائن الصواريخ فى يونيو ١٩٧٠ .

وتبين ان الطيار الاسرائيلى لايجيد استخدام اسلوب الهجمات المباشرة الأمثل الا على الأهداف الأرضية المعروفة لديه مسبقا نتيجة للاستطلاع الجوى الحديث . ولما كانت مواقع كمائن سام ٣ لم تستطلع من العدو وعلى ذلك تمت مفاجأة العدو الجوى الذى وقع بطائرته فى مصيدة الكمائن لصواريخ سام ٣ .

وفى هذا الوقت فقط أيقنت اسرائيل ان حائط الصواريخ هو الحاجز المادى الذى يشل حركة ومرونة أقوى عناصرها القاتلة وهو السلاح الجوى . كما أعلنت القيادة العسكرية فى اسرائيل ان هذه الشبكة هى أول خطوة نجحت فيها مصر لاتمام باقى خطوات تحرير سيناء ، وكان قولا صحيحا ، اذ أن التقديرات الأساسية والفنية للخطة جرانيت اعتمدت أساسا على فاعلية قاعدة الانطلاق « حائط الصواريخ » التى تمكن قواتنا الضخمة المتمركزة غرب القناة من اقتحامها ، وان تكون فاعلية هذه الشبكة هى عماد التغطية الجديد لتقدمها شرقا فى سيناء مستعينة بخفة حركة سام ٣ بالاضافة الى مقاتلاتنا الجوية .

ومنذ صيف عام ١٩٧٠ تغير اسلوب اسرائيل فى الصراع المسلح مع مصر ليكون دفاعيا . وكان هذا التحول هو الأول من نوعه فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى . وأصبحت سياسة اسرائيل فى حيرة ، إذ أن المطلب السياسى لاسرائيل هو الاحتفاظ بسيناء بينما القدرة العسكرية لقواتها لاتمكنها بالاحتفاظ والتمسك بهذه المساحة الشاسعة من أرض سيناء دون بقاء أكثر من ٥٠٠٠٠ جندى اسرائيلى مدعم بقوة طيران مقاتلة قاذفة كبيرة ، بالاضافة الى تشكك قادة اسرائيل فى ضمان بقاء هذه القوة الكبيرة فى سيناء على درجة استعداد قتالى عال لاحتمال بدء قتال قواتنا فى أى وقت ، طالما أن مصر محتفظة بقواتها الكبيرة ، أكثر من ١٠ فرق مشاه وميكانيكية ومدرعة على الشاطىء الغربى لقناة السويس . تحميها فى تمركزها وفى عبورها المانع المائى قناة السويس وفى تقدمها شرقا لتحرير سيناء شبكة دفاع كثيفة ومتطورة نجحت قواتنا فى اقامتها غرب القناة .

بالاضافة الى هذا الموقف التعبوى الصعب بالنسبة لاسرائيل فان توازن القوى العسكرية بعد حساب قدرات الأفرع الرئيسية الأخرى للقوات المسلحة بين مصر واسرائيل ، نجد ان ميزان القوى كان لصالح مصر عام ١٩٧١/٧٠ ، وكان نقطة التحول فى هذا التقييم راجعة الى العامل الجديد الذى اضيف الى الجانب المصرى ، وهو اقامة اكبر شبكة دفاع جوى تطورا فى العالم غرب قناة السويس مباشرة ، وتأثيرها المباشر على اقوى أسلحة اسرائيل فى شهرى يونيو ويوليو عام ١٩٧٠ .

وبتأثير هذا الموقف سارعت الولايات المتحدة الأمريكية بطلب من اسرائيل بالتقدم بمشروع روجرز لوقف اطلاق النيران ، تمهيدا لاعادة الاستقرار فى المنطقة . وكان الهدف الرئيسى من وجهة نظر الأعداء هو هدنة مؤقتة لحين دعم اسرائيل واعادة تقييم قدراتها وتمكينها من استرداد مقومات التفوق على العرب مرة أخرى .

وأثبتت الأحداث بعد ذلك ان اسرائيل تهربت من الالتزام الذى اقرته عند قبولها لمشروع روجرز ، وهو الانسحاب من الأراضى العربية تحت ضغط خسائرها فى حرب الاستنزاف على قناة السويس . كما ان امريكا ايدتها فى هذا الموقف .

إدعت اسرائيل على مصر مخالفتها التزامات وقف اطلاق النار المتفق عليه فى مشروع روجرز ، بتحويلها حائط الصواريخ الى قرب الشاطىء العربى لقناة السويس ، وبزعم ان هذا العمل هو تهديد مباشر لأمن اسرائيل . وهددت بتدمير حائط الصواريخ اذا لم تتراجع مصر وتعيد الصواريخ الى مكانها الأول . ولم تؤيدها امريكا على هذا الادعاء منذ البداية ، ولكنها عادت وأمدت اسرائيل بطائرات فانتوم عددها ١٨ طائرة استعواضا لخسائر حرب الاستنزاف ، كما امدت اسرائيل بقنابل شرايك جو/أرض . وكانت هذه الامدادات علامة تأييد ودعم لموقف اسرائيل ضد مصر .

كانت قوات الدفاع الجوى قد نجحت فى تحريك نسق كامل من كتائب صواريخ سام ٣ الى غرب الشاطىء الغربى لقناة السويس ليلة ٧ أغسطس فى سرعة وسرية فائقين . وانتهت التحركات قبل حلول الساعة ٠١٠٠ يوم ٨ أغسطس التوقيت المحدد لوقف اطلاق النار من كلا الطرفين المتصارعين . ولم تتمكن طائرات الاستطلاع الأمريكية والتصوير الجوى من الأقمار الصناعية اثبات مايخالف ذلك .

قامت اسرائيل فى ذلك الوقت من أواخر عام ١٩٧٠ بوضع خطة لتدمير حائط الصواريخ اطلقت عليها خطة « الغزالة » . اعتمدت على نقل وحدة مدفعية صاروخية مضادة للدبابات ، وجماعة هاون على طائرة هليوكوبتر لتدمير كتيبة صواريخ سام غرب القناة ، وخصصت مجموعة مماثلة لكل كتيبة صواريخ تدفع هذه الطائرات عند بدء الهجوم عبر القناة السويس وتهبط بجوار الكتيبة ـــ ٢ كم تقريبا ـــ وتصوب اسلحتها من بعد على هوائى كابينة التوجيه لكتيبة الصواريخ فيتم توقفها ، وبعدها مباشرة يتم قصف نفس الكتيبة بصاروخ أو قنبلة من طائرة مقاتلة اسرائيلية ، يعقبها تدمير أو تعطيل الكتيبة عن العمل . ومن ثم يسهل على القوى الجوية الاسرائيلية اختراق حائط الصواريخ والحصول على السيطرة الجوية فى مسرح العمليات .

وكان الجنرال شارون قائدا لقوات سيناء فى ذلك الوقت وقام بتطوير خطة « الغزالة » بهجوم قوات مدرعة وميكانيكية عبر قناة السويس الى الضفة الغربية للقناة ، حيث ينقل المعركة من الشرق الى الغرب تحت ستار التفوق الجوى الذى اكتسبته قوات العدو الجوية بعد اختراق حائط الصواريخ فى التمهيد الابتدائى فى الخطة . وانتقى شارون اضعف نقطة تصورها بين قوات الجيشين الثانى والثالث وهو المفصل الذى يربطهما . وميزّها بعلامات طوب حمراء على كلا جانبى قطاع الاختراق (الثغرة) ، وكانت حوالى ٤ كم فى بداية الأمر وهى نفسها ثغرة الدفرسوار .

قمت بعمل اجراءات مضادة لحائط الصواريخ غرب القناة وكانت الاجراءات المضادة هى :

(١) امداد كل مجموعة كتائب صواريخ باحتياطى خفيف الحركة مدعم بالصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات للدفاع عن مواقعها صد اى هجمات أرضية .

(٢) توضيح نية العدو « خطة الغزالة » لدمير حائط الصواريخ فى مشروع تدريبى يظهر اسلوب العدو فى تحقيق هدفه والاجراءات المصرية المضادة لاحباط خطة العدو وافشال هدفه العدوانى . وكان المشروع الاستراتيجى الكبير الذى تم فى مارس ١٩٧١(*) يوضح تفصيلات الاجراءات المضادة .

وكان رحيل قائد المسيرة الذى صمم على تحقيق الهدف وتحرير الأرض العربية الرئيس جمال عبد الناصر فى ١٩٧٠/٩/٢٨ حيث توقفت مسيرة النضال ، ودخلت القوات فى حالة اللاسلم واللاحرب ، وفاتت على القوات المسلحة المصرية أن تقتحم معركة تحرير الأرض الشاملة فى توقيتها المخطط سابقا بمعرفة الرئيس الراحل أى فى ربيع عام ١٩٧١ .

وكان السبب الرئيسى فى استمرار حالة اللاسلم واللاحرب وتأثيرها السيء على القوات المسلحة ، والتى ظلت ساخنة أكثر من ثلاث سنوات هو رغبة الرئيس السادات فى تغيير استراتيجية الدولة تغييرا شاملا .

وكانت قوات الدفاع الجوى قد اكتسبت قدرات قتالية جديدة بسبب تعاملها المباشر مع طيران العدو منذ يوليو ١٩٦٩ حتى توقف اطلاق النيران فى ١٩٧٠/٨/٨ ، وكان أهمها هو معرفتها اسلوب العدو الجوى فى هجماته الجوية وفى أسلوب اقترابه من الهدف وفى أعمال مناوراته الجوية (مجموعة طائرات للمشاغلة ــ مجموعة أخرى للقذف ــ مجموعة ثالثة للحماية الجوية) وفى استخدامه للأجهزة الألكترونية الحديثة فى أعمال الاعاقة وأعمال التوجيه . وهى خبرات كثيرة كان من الصعب على قوات دفاعنا الجوى الحصول عليها لولا المواجهة المباشرة اليومية وباعداد كبيرة من الطائرات التى تمت على جبهة قناة السويس لمدة أكثر من سنتين ، بالاضافة الى الصدام المباشر فى مواقع عمليات دفاع جوى كان أولها على أرض الأردن فى ١٩٦٩/١١/٢٢ بين ٢ موقع رادار مصرية مجهز برشاشات قصيرة نصف بوصة و١٢٫٧ و١٤٫٥ وبين هجمة جوية معادية انتهت باسقاط ٣ طائرات مقاتلة للعدو . والثانية كانت العملية الخداعية بالعجرود غرب السويس يومى ١٨ و١٩ سبتمبر ١٩٦٩ حيث :

ــ تم سحب كتيبة صواريخ من موقعها بالعجرود بعد قيام العدو باستطلاعها بالتصوير الكترونيا ليلة ١٩/١٨ سبتمبر ١٩٦٩ ، وتم احتلال الموقع فى نفس الليلة بمعدات هيكلية مع تدعيم الدفاع المضاد للطائرات المحلى عنه بواسطة ٢ فصيلة سام ٧ ، وفوج مضاد للطائرات ٥٧ مم و٤ سرايا رشاشات ١/٢ بوصة .

(*) راجع الفصل الأخير من مذكرات المؤلف « حرب الثلاث سنوات » .

ــــ قام العدو فى يوم ١٩ سبتمبر ٦٩ بهجمتين جديدتين على موقع الكتيبة الأصلى المستطلع مسبقا وهو الهيكلى بعد التعديل ونجح فى تدمير المعدات الهيكلية بينما نجحت قوات الموقع الأصلى القريب من تدمير ٢ طائرة للعدو . وخرجت قوات الدفاع الجوى بدرس جديد عن العدو وهى « عندما يفاجأ العدو بتسليح لايعرفه مسبقا أو لا يعلم موقعه مسبقا يرتبك ويفقد اتزانه ويسهل اصابته وتدميره » .

وأقبلت قوات الدفاع الجوى على معارك اكتوبر ١٩٧٣ وهى محصنة بمقومات مادية ، أهمها القدرة على شل حركة العدو الجوية وحرمانه من المرونة التى اكتسبها فى حركته وفى سيطرته على اجواء المنطقة وعلى مسرح عملياتها ، كذا على مقومات فنية كان أهمها اختفاء الثغرات فى الحقل الراداري على الارتفاعات الواطية ، وتكامل الدفاعات المضادة للطائرات فى كل منطقة دفاعية ، وتنظيم التعاون بين عناصر الدفاع الجوى والطائرات المقاتلة . وأخيرا الوقاية الأرضية للطائرات ومعدات وأجهزة الدفاع الجوى والأجهزة الرادارية والانذارية والتوجيه ووسائل الانذار والمراقبة ، بالنظر داخل الدشم والملاجىء الخرسانية الشهيرة التى مارستها مصر كأول دولة فى العالم .

وطالت فترة اللاحرب واللاسلم على قوات الدفاع الجوى . وبالرغم من المساعدات الفنية التى قدمها الاتحاد السوفيتى وأهمها الأجهزة الألكترونية التى أضافت الى قدرات نظام الدفاع الجوى صفات ومميزات جديدة جعلتها محصنة ضد التطورات التكنولوجية والالكترونية التى اضافها العدو الى قواته الجوية والى أجهزة الاعاقة التى استخدمتها ، كذا الى التطور فى أنواع الصواريخ جو / أرض التى دعمتها بها الولايات المتحدة الأمريكية .

بالاضافة الى أن قوات الدفاع الجوى قد زادت من قوتها أسلحة ومعدات لزيادة حجمها وزيادة قدراتها القتالية والفنية فى صفقات أسلحة ومعدات من الاتحاد السوفيتى فى اكتوبر ١٩٧١ ، وفى مايو عام ١٩٧٢ ، وفى مارس عام ١٩٧٣ ضمن صواريخ سام ٢ معدلة وسام ٣ وسام ٧ معدلة . وأدخل لأول مرة عدد ٣ لواءات سام ٦ أصغر وحدة فيها عبارة عن ٣ صواريخ سام ٦ مركبة على شاسيه دبابة ت ٣٤ يعمل راداريا ضد الطيران المتوسط والواطى ، كذا زيادة اعداد الكوادرات ٢٣ مم الثنائى والرباعى المتميز باطلاق مخروط بعدد ضخم من الطلقات (٤٠٠٠ طلقة فى الدقيقة) . مع تتبع وتوجيه رادارى ويعمل ضد طيران العدو الواطى بصفة مؤثرة للغاية .

وقد لازم هذه الاضافات زيادة القدرات الفنية الى لواءات وفرق الدفاع الجوى بزيادة الكتائب الفنية ، والقدرة على الاصلاح فى الورش الرئيسية للدفاع الجوى .

وكان لاستبعاد أكثر من ٣٠ طاقم افراد متميز من صواريخ سام ٣ وأكثر من ١٢٠ طياراً درجة أولى من الجنود السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ أثره الكبير فى ضعف الدفاعات الجوية فى العمق (الصعيد + الدلتا + الاسكندرية وبورسعيد والسد العالى) وتقليل قدرة الدفاع الجوى الايجابية بسبب سحب الطيارين السوفييت . وقد استغرق استعواض الأطقم الـ ٣٠ للدفاع الجوى وقتا طويلا ، بالاضافة الى نمو وزيادة كتائب صواريخ سام ٣ فى نفس الوقت . الأمر الذى جعل من استعداد قوات الدفاع الجوى للمعركة

يستغرق وقتا طويلا .

أما استعواض ١٢٠ طياراً سوفيتيا فكانت مشكلة لم تتمكن القوات الجوية من حلها ، وبذا كان استبعاد السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ سببا فى اضعاف القدرات الدفاعية الايجابية التى كانت تقوم بها اسراب المقاتلات الاعتراضية .

وكان استبعاد وحدات سام ٦ بأطقمها السوفييت من مواقعها الدفاعية فى أسوان قد كشف الدفاعات المثلى عن إلسد العالى ضد الطيران المتوسط والواطى ، الأمر الذى كان السادات يعيب على السوفييت تأخيرهم فى استكمال دفاعاتنا الصاروخية فى منطقة الصعيد واتخذ من هذا التأخير مبررا لعدم استطاعته اصدار قرار المعركة ونفس الموقف بالنسبة لمنطقة بورسعيد .

وكان استبعاد الرئيس السادات للمستشارين والوحدات السوفيتية فى يوليو ١٩٧٢ والتى أخذت على عاتقها الدفاع عن العمق المصرى تعنى من وجهة نظر القدرة الدفاعية عن مصر ، إلغاء السبق الاستراتيجى والفائدة التاريخية التى أحرزها الرئيس عبد الناصر عندما نجح فى اقناع مجلس السوفييت الأعلى بضرورة دعم الجبهة المصرية بوسائل الدفاع الجوى المتميزة (صواريخ سام ٣ + ميج ٢١) فى يناير ١٩٧٠ استكمالا للعجز الذى لم أتمكن من انجازه فى هاتين القوتين فى الوقت المحدد لى فى برنامج انشاء واعداد القوات المسلحة تمهيدا لاتمام معركة تحرير الأرض الشاملة فى الوقت المناسب .

وكان استبعاد الأطقم الفنية من السوفييت فى الاصلاحات المتوسطة واصلاحات القاعدة لوحدات الصواريخ أثره فى اضعاف الكفاءة الفنية لمعدات الدفاع الجوى بعد استبعادهم .

ومن الناحية السياسية فان استبعاد بعض أطقم الدفاع الجوى السوفيتى من كتائب صواريخ سام ٣ بمعرفة الفريق أول محمد أحمد صادق وزير الحربية فى شهر أبريل عام ١٩٧٢ ولاحقه الرئيس السادات باستبعاد جميع العسكريين السوفييت من مصر فى يوليو ١٩٧٢ كان له ردود فعل سيئة لدى قادة القوات المسلحة بالنسبة للمواقف التالية :

١ — كيف يتم استعواض القدرة الناشئة عن استبعاد الأطقم السوفيتية بأسلحتها المتطورة فى الوقت الذى ينادى فيه الرئيس السادات بضرورة اتمام معركة تحرير الأرض فورا .

٢ — كيف تتمكن مصر من الحفاظ على المورد الأساسى الوحيد لامدادنا بالأسلحة المتطورة ، خاصة وأن قواتنا قد اعادت بناءها وتسليحها وتدريبها وعملياتها على الأسلوب الشرقى منذ أن اعتمدنا على التسليح السوفيتى كمصدر أساسى ووحيد لتوريد أسلحتنا .

٣ — تكشف لدى جميع القادة أن الرئيس السادات أقدم على هذه الخطوة مقدمة لاستكمال باقى الخطوات واستبعاد الإتحاد السوفيتى نهائيا من مصر .

وبالرغم من ذلك فقد استمر الاتحاد السوفيتى محافظا على اتفاقاته الدولية وتمسكه بروح التعاون والصداقة لرفع القدرة الدفاعية لمصر ، والتزم بوعوده كاملة وباتفاقات التسليح التى أبرمت مع مصر ،

وظل يمدها بالسلاح حتى يناير ١٩٧٥ .

وكان الاهتمام والتركيز على قوات الدفاع الجوى ودورها المؤثر فى عملية تحرير الأرض جعلت قيادة الدفاع الجوى تحتفظ بأطقم تشغيل زائدة لكتائب الصواريخ ، كذا أطقم اصلاح فى التخصصات المختلفة وعلى درجة عالية من الكفاءة تحسبا لسد خسائر المعركة . وتحولت بسبب استبعاد العسكريين السوفييت فى يوليو ١٩٧٢ الى سد جزء صغير من الفراغ الناتج عن خروجهم ، وبذا تأثرت الكفاءة والقدرة القتالية ولكن ليس بالقدر الكبير الذى تأثرت به القوات الجوية . وكانت نقط الضعف المؤثرة فى نقص قطع الغيار لمعدات الدفاع الجوى والقدرة على اتمام الاصلاحات الفنية فى الورش الرئيسية ظاهرة مؤثرة على قدرة قوات الدفاع الجوى .

وعلى الجانب الآخر وفى أواخر وأوائل ١٩٧٣ دعمت الولايات المتحدة الأمريكية اسرائيل بأسلحة متطورة ، خاصة الطائرات والدبابات والصواريخ بحجم كبير يعادل ٣/١ ٣٣٪(*) زيادة عن حجم قدرات اسرائيل عام ١٩٧١ . وبذا أصبح ميزان القوى بين مصر واسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ لصالح اسرائيل . وكان هذا العامل هو المؤثر الأول فى تقديرات معارك أكتوبر ١٩٧٣ .

تحضيرات قوات الدفاع الجوى لمعارك اكتوبر ١٩٧٣

فى أوائل سبتمبر ١٩٧٣ تم توقيع خرائط العمليات للخطة التى تم تدقيقها للقوات المسلحة المصرية وهى الخطة جرانيت ٢ المعدلة ، وهدفها كما جاء فى التوجيه الاستراتيجى العسكرى من القائد الأعلى للقوات المسلحة (رئيس الجمهورية) .

« قيام القوات المسلحة المصرية بعملية هجومية عبر قناة السويس بغرض كسر الجمود السياسى مع تحرير الأرض على مراحل فى حدود امكانيات وقدرات القوات المسلحة » .

وظهرت الموضوعات الرئيسية التالية عند عرض قائد الدفاع الجوى لقراره فى سبتمبر ١٩٧٣ .

تحضيرات قوات الدفاع الجوى

١ ـــ ترفع درجة استعداد قوات الدفاع الجوى فى الجمهورية قبل يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ استعدادا للعملية الهجومية (عبور قناة السويس) .

٢ ـــ تقترب كتائب صواريخ الفرقة ٨ دفاع جوى الى أقرب مايمكن للحافة الغربية لقناة السويس قبل ٥ اكتوبر ١٩٧٣ .

٣ ـــ تنسيق نيران قوات دفاع جوى التشكيلات الميدانية مع نيران وحدات دفاع جوى الفرقة ٨ ، ويتم التركيز على أماكن المعابر الرئيسية والمعديات خاصة بالنسبة للطيران المعادى الواطى والمتوسط وفى حالة تنفيذ المرحلة التالية شرقا يتم الآتى :

(*) تقرير لجنة شئون الدفاع والأمن للكونجرس الأمريكى التى زارت مصر واسرائيل عقب معارك اكتوبر ١٩٧٣ ونشرت تقريرها فى فبراير ١٩٧٤ .

أ ـــ عبور نسق(*) كامل من كتائب الصواريخ سام ٣ (بتشورا) قناة السويس ليلة عمليات الهجوم شرقا ، بحيث تكون مستعدة لزيادة مدى مظلة الدفاع الجوى شرقا على مواجهة الجيشين الثانى والثالث فجر يوم الهجوم .

ب ـــ يستمر انتقال أنساق كتائب الصواريخ شرقا بواقع نسق واحد متكامل كل ليلة ، طالما أن عملية الهجوم مستمرة ومتقدمة شرقا .

٤ ـــ تأمين عبور القوات

ركز قائد الدفاع الجوى على تأمين مواجهات عبور الفرق الخمس المشاة بواسطة كتائب صواريخ سام الكثيفة غرب قناة السويس . اما تأمين المعابر والكبارى وعددها ١١ معبرا فقد جهز مجموعات دفاع جوى كثيف ضد الطيران الواطى والمتوسط مكونة أساسا من كتائب الشيلكا (٢٣ مم متحرك) والاستريلا (سام ٧) على أن يكون استعدادها منذ بدء العبور .

٥ ـــ تأمين الدفاع الجوى عن القوات شرق القناة :

عند صدور أوامر القائد العام ببدء عمليات الهجوم شرقا الى المضايق الاستراتيجية فى سيناء، تقوم قوات الدفاع الجوى باستئناف تحرك النقلات لكتائب الصواريخ عبر قناة السويس شرقا ، بحيث تتمركز ٩ كتائب صواريخ شرق القناة وداخل نطاق رؤوس الكبارى فى اليوم الأول للهجوم . ثم تتوالى النقلات يوميا الى الشرق لتصبح القوة عدد ٣ لواءات صواريخ . واشترط قائد الدفاع الجوى فى اجتماع تنسيق التعاون بين القوات أن تمركز الكتائب شرقا بعد النقلة الأولى لايتم الا بعد اكتساب قوات الجيشين الثانى والثالث للأرض شرقا وذلك تأمينا للنقلات التالية لكتائب الصواريخ ضد المؤثرات الأرضية من العدو .

٦ ـــ تنسيق التعاون بين قوات الدفاع الجوى عن الدولة وقوات دفاع جوى التشكيلات الميدانية والقوات الجوية ، ومراجعة أساليب القيادة والسيطرة والتوجيه وتوزيع الواجبات والمهام قد تمت بالتفصيل فى جلسة تنظيم وتنسيق التعاون التى تمت تحت مباشرة القائد العام .

معركة العبور

قوات الدفاع الجوى كانت هى السلاح الأول فى معركة العبور التى استغرقت أيام ٦ و٧ و٨ أكتوبر ١٩٧٣ . وأن البطل الأول فى هذه الملحمة التاريخية هو المقاتل الفنى الذى طوع الصاروخ والمدفع والأجهزة الدقيقة لارادته . وكانت حصيلة جهود الأبطال هى تحييد سلاح الجو الاسرائيلى خلال معركة العبور .

(*) النسق عبارة عن ٩ ـــ ١١ كتيبة صواريخ .

اعتمدت قوات العدو الاسرائيلى على ٤٣٠ طائرة مقاتلة / قاذفة أنواع فانتوم سكاى هوك ــ ميراج ــ سوبر مستير ــ فوتور بالاضافة الى ٤٩ طائرة سكاى هوك وردت عبر الجسر الجوى الأمريكى بالاضافة الى اعداد من الطيارين بنسبة ٣ طيار لكل ٢ طائرة . وتمثل قدرة هذا العدد من الطائرات والطيارين بحيث يمكن القيام بأربع طلعات يوميا بفضل جهاز اعادة الملء فى القواعد الجوية الاسرائيلية .

كان القرار الاسرائيلى فى جبهة قناة السويس هو منع المصريين من عبور قناة السويس . وتعاون طيران العدو مع القوات الأرضية الاسرائيلية على تعطيل وعرقلة القوات المصرية المهاجمة على طول قناة السويس . وتحدد الواجب الأول للقوة الجوية الاسرائيلية ، تدمير المعابر الرئيسية والمعديات حتى لاتتدفق القوات المصرية عبر قناة السويس . ودخل المعركة فى الساعات الباقية من نهار يوم ١٠/٦ أكثر من ٤٠٠ طلعة طائرة وساعات الليل نفس اليوم أكثر من ٢٥٠ طلعة طائرة . وتحولت سماء وأرض منطقة قناة السويس الى جحيم . وازداد عدد الطائرات المعادية فى الأيام التالية ٧ و٨ اكتوبر الى ٥٠٠ ــ ٦٠٠ طلعة طائرة فى اليوم الواحد .

ركزت قوات الدفاع الجوى دفاعها الكثيف على المعابر الرئيسية والمعديات على مواجهة الجيشين الثانى والثالث ، وكان عددها ١١ معبرا رئيسيا . وخصصت المعابر خطة محددة اعتمدت على سام ٦ وسام ٧ والمدفع ٢٣ مم (الشيلكا) وكلها أسلحة وصواريخ ضد الطيران الواطى الذى لجأ اليه العدو مضطرا كى يصيب المعبر اصابة مؤثرة . ودمر للعدو ٣١ طائرة فى يومى ٦ ، ٧ أكتوبر .

واتبع العدو أسلوب الطيران الواطى جدا فى الاقتراب نحو أهدافه كى يتخلص من الكشف الراداري ، ثم ترتفع فجأة ملقية قنابلها . ولم يستطع العدو الاستمرار فى تطبيق هذا الأسلوب بسبب الخبرة السابقة التي اكتسبتها قوات الدفاع الجوى خلال حرب الاستنزاف . وقام المصريون بوضع سام ٧ فى الخطوط الأمامية للقوات ، أجبرت العدو على الارتفاع خوفا من اصابته ، ومن ثم وقع فى حقل الكشف الرادارى لشبكة الصواريخ سام ٦ وسام ٣ ، وسام ٢ .

كما أن العدو الجوى لم يتمكن من استغلال المساعدات الموجودة لديه فى طائرات الفانتوم من أجهزة الاعاقة والشوشرة أو الموجودة فى مصادر أرضية والموجهة أساسا لشل أجهزة التوجيه فى الطائرة أو الصواريخ بسبب معرفة قوات الدفاع الجوى لهذه الأساليب منذ حرب الاستنزاف . وبذا لم يتمكن العدو من مفاجأة قواتنا بأى سلاح جديد أو جهاز جديد يعطى قدرات أكثر للطائرة المعادية لاتعلمها قواتنا .

وفى اليوم التالى للقتال ركز العدو الجوى هجماته على المطارات الأمامية والوسطى وهى ابو حماد المنصورة وجناكليس وشبراخيت وطنطا ــ القطامية بنى سويف . وكان اقترابه الى أهدافه من الأجناب لتفادى شبكة الدفاع الجوى الكثيفة غرب القناة ، ووجد أن الموقف الوقائى مختلف تمام الاختلاف عما شاهده وفعله فى طائراتنا يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ، اذ أن جميع طائراتنا وأجهزتها ومعداتها وذخيرتها ووقودها وغرف عملياتها وأماكن ايواء الطيارين والفنيين كانت كلها فى ملاجىء ودشم خرسانية . وبالرغم من أن العدو قد خصص من ٨ ــ ١٠ طائرة فانتوم لكل مطار ، الا أنه لم يتمكن من اصابة أى طائرة أو فرد

واحد . واكتفى باسقاط قنبلة على ممر واحد فرعى وقنبلة زمنية اخرى بجوار منزل مجاور لأحد المطارات اصابت اوتوبيسا قرويا اثناء سيره . ودمرت قوات الدفاع الجوى (كتائب صواريخ سام) ١٠ طائرات معادية خلال الهجمات المعادية على المطارات المصرية المتقدمة .

ومن الملاحظ فى هذه المعركة بين قوات الدفاع الجوى وبين طائرات العدو التى تمت ضد المطارات المصرية لم يشترك فيها العنصر الجوى الايجابى لقوات الدفاع الجوى وهو المقاتلات من طائراتنا الميج ٢١ . وكانت الفكرة السائدة التى فرضت نفسها على أسلوب التنسيق بين القوتين : الدفاع الجوى والقوات الجوية ، ان مسئولية الدفاع الجوى عن المطارات والقواعد الجوية تكون قاصرة على قوات الدفاع الجوى الأرضية وحدها وهذا خطأ تطبيقى كبير ، اذ أن الطائرات المقاتلة الاعتراضية وهى الجانب الايجابى المكمل لعنصرى الدفاع الجوى عن مسرح العمليات . وأن هذا الأسلوب الشاذ اعتنقه الفريق أول أحمد اسماعيل لحرصه الزائد على ضمان سلامة القوات الجوية وضرورة الاحتفاظ بها لآخر لحظة فى المعركة ، ولم يكن هذا الأسلوب الخاطىء سوى رد فعل نفسى عاصره القائد العام بالنسبة لنتائج الضربة الجوية يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ . لم يمحها من فكره الواقع الفعلى فى تطور القوات الجوية الحديثة خلال سنوات اعدادها وتحديثها من ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٠ .

معركة الضفة الشرقية

أصدر القائد العام قراره بتنفيذ عمليات هجومية اضافية يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ وحدد ساعة ٦٫٣٠ يوم ١٣ اكتوبر توقيتا لبدء هجوم القوات التى كلفت بهذه المهمة وهى ٤ لواءات مدرعة ، ٢ لواء مشاه ميكانيكى على أربعة محاور رئيسية شرق القناة .

وكان التخطيط المسبق بدفع نسق كتائب صواريخ سام ٣ عدده ٩ كتائب بتشورا (سام ٣) عبر قناة السويس الى شرقها بهدف امتداد عملية وقاية القوات شرقا حتى تتمكن من الوصول الى أهدافها بأمان . وكانت خطة متكاملة أساسها دفع جزء من انساق حائط الصواريخ شرقا وتدريجيا على مواجهة الجيشين الثانى والثالث ، وكانت قوات الدفاع الجوى قد قامت بالاجراءات التحضيرية لاتمام النقلة الأولى شرق القناة مثل تنسيق خط نيران الدفاع الجوى ، وخطة الكشف والتتبع الرادارى وتنسيق الحقل الرادارى الخ من الاجراءات الضرورية لضمان الربط والفاعلية مع الانساق الخلفية لاستمرار خطة الانتقال شرقا بأنساق تالية ، طالما أن القوات البرية تضمن بتقدمها شرقا التأمين الأرضى لمواقع كتائب الصواريخ التى تدفع شرقا ، والتى بدأت عبورها من مساء يوم ١٢/١٠/١٩٧٣ .

ونسى القائد العام إخطار قائد الدفاع الجوى بتأخير الهجوم ٢٤ ساعة . فى الوقت الذى التزم قائد الدفاع الجوى بتنفيذ التخطيط المتفق عليه طبقا لقرار الهجوم الأول وانتقلت الكتائب التسع صواريخ الى شرق القناة لتنفيذ مهمتها فى المرحلة الاضافية من العمليات الهجومية .

تعرضت كتائب الصواريخ التسع الى ضرب مدفعية مركزة من العدو عيار ١٧٥ مم الطويل

المدى ، واصيبت ٥ كتائب منها ، ولم تتمكن قوات الجيشين الثانى والثالث من تأمين مواقع كتائب الصواريخ فى أماكنها شرقا ، فضلا عن عدم تقديم القوات الجوية أى معونة جوية لتأمين هذه الكتائب وهى فى مواقعها شرق القناة .

بعد فشل العمليات الهجومية وانسحاب الوحدات المدرعة القائمة بالهجوم، اضطر قائد الدفاع الجوى الى سحب كتائب الصواريخ التسع من شرق القناة مساء يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ الى غرب القناة وزاد هذا الحادث من خطأ الزعم المدمر الذى تبناه الفريق الشاذلى رئيس الأركان وجذب اليه الرأى العام فى القوات المسلحة ، بأن شبكة الدفاع الجوى الكثيفة غير قادرة على حماية القوات المصرية عند تقدمها شرقا الى المضايق الاستراتيجية فى سيناء . وفى الحقيقة لم يكن هذا الزعم الخاطىء سوى صدى لهدف السادات القاصر على عبور قناة السويس والتمركز شرقها فقط .

ان نجاح قوات الدفاع الجوى فى دفع نسق كامل من كتائب الصواريخ سام ٣ شرقا يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ هو خير دليل على صحة مرونة وقدرة الدفاع الجوى بالانتقالات المتتالية لوقاية التشكيلات البرية كلما تقدمت شرقا . وان فشل القوات البرية فى تأمينها هو السبب فى عدم استكمال خطة الانتقال بالانساق الأخرى تمشيا مع قدرة الجيشين الثانى والثالث ، وليست عجزا فى قدرة الدفاع الجوى كما ادعى الفريق الشاذلى قبل بداية العمليات .

معارك الضفة الغربية لقناة السويس

عقب فشل العمليات الاضافية شرق القناة يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ تمكنت مفرزة القوات الاسرائيلية من عبور قناة السويس ليلة ١٦/١٥ اكتوبر ١٩٧٣ بقيادة الجنرال شارون ، ومعه ٣٠ دبابة و٢٠٠ فرد مظلى اسرائيلى فقط . وبقيت هذه المفرزة البسيطة قابعة غرب القناة فى نقطة الدفرسوار دون اعتراض أى قوة مصرية لمدة ٣٦ ساعة حتى تمكنت القوة الأساسية الاسرائيلية من عبور القناة غربا . واندفعت القوات المدرعة الاسرائيلية تحقق الهدف الرئيسى لعبورها وهو تدمير حائط الصواريخ الكثيف ، والذى اعتمدت القوات المسلحة المصرية عليه فى نجاح عبورها لقناة السويس .

انتشرت قوات شارون غربا فى شكل مجموعات صغيرة من ٣ ــ ٤ دبابات وجماعة من المظليين فى اتجاه كتائب الصواريخ سام ، وعلى بعد منها تمكنت الدبابات الاسرائيلية من اصابة كتائب الصواريخ وإبطال مفعولها . وبعد أن أتمت اصابة ٣ كتائب صواريخ تمكنت القوة الجوية الاسرائيلية من العمل بحرية فى منطقة الثغرة بهدف مساعدة القوات المدرعة الاسرائيلية فى تحقيق أهدافها[*] .

(*) نفس التخطيط السابق معرفته بواسطة قيادة القوات المسلحة عام ١٩٧١/٧٠ وقامت بوضع الاجراءات المضادة لافشاله (انظر فصل التخطيط) .

أضطرت قيادة الدفاع الجوى الى سحب لواء صواريخ دفاع جوى الوسط (منطقة الدفرسوار) الى غرب المنطقة بعيدا عن نشاط القوات المدرعة الاسرائيلية يوم ١٠/١٧ ، وبعد اصابة ٣ كتائب من قوة اللواء . وكان هجوم الدبابات مفاجأة لكتائب الصواريخ سام غرب القناة بسبب عدم وجود انذار أو معلومات مؤكدة لدى القيادة العامة عن اختراق الدبابات الاسرائيلية الى الضفة الغربية ، كما لم يكن فى المنطقة الاحتياطات المضادة للدبابات خفيفة الحركة كى تقوم بالدفاع الأرضى عن كتائب الصواريخ ، كذا لم يكن هناك فى الضفة الغربية أى قوات مدرعة مصرية يمكنها التصدى لقوات العدو ومنعها من تدمير كتائب الصواريخ بعد أن دفعت القيادة العامة الفرقة ٢١ مدرعة الى شرق القناة ، وتحت ضغط العدو اضطرت قوات الدفاع الجوى لسحب باقى وحداتها بالتدريج من المنطقة غربا بعد احداث يوم ١٠/١٧(**) وتقدمت القوات المدرعة الاسرائيلية جنوبا حتى تمكنت فى يوم ١٠/٢٤ من أسر قيادة لواء ١٠٩ دفاع جوى واصابة كتيبة من كتائبه .

وكان انسحاب وحدات الفرقة ٨ دفاع جوى من نطاق تعبوى الجيش الثالث غربا الى منطقة مقوسة (دائرة نصف قطرها اكثر من ٢٠ كيلومترا) الأمر الذى حرم قوات الجيش الثالث المتمركزة شرق القناة ، كذا مدينة السويس من حماية شبكة الدفاع الجوى . وتمكنت القوات الاسرائيلية من حصار الجيش الثالث ومدينة السويس والوصول بقواتها بسهولة الى ميناء الأدبية والاستيلاء عليها برا وبحرا يوم ١٩٧٣/١٠/٢٤ .

عمليات قوات الدفاع الجوى فى منطقة بورسعيد

بدأ الهجوم الجوى المعادى على منطقة بورسعيد بقوة ٥٠ طائرة مقاتلة / قاذفة يوم ١٩٧٣/١٠/٨ مهددة مواقع الدفاع الجوى أولا ، وكان قوامها ٤ كتائب صواريخ سام منفصلة عن التجميع الرئيسى لشبكة الدفاع الجوى غرب القناة ، وتمكن العدو بعد تكرار هجماته عليها أن يصيب ٢ كتيبة منها ويسكت ٢ آخرين فى الوقت الذى تم فيه اصابة ١٢ طائرة .

تمكنت قيادة الدفاع الجوى من دفع أطقم إصلاح ومعها قطع الغيار اللازمة لاصلاح أعطال الكتائب المصابة ، فى نفس الوقت تم استخدام مولدات الدخان والشراك الخداعية الحرارية ، ووسائل اخرى ساعدت على الاخفاء والتمويه وتضليل العدو الجوى .

اعاد العدو هجماته الجوية بنفس الكثافة يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ وتمكن بعد تكرار هجماته على مواقع الدفاع الجوى الجديدة واصابة بعض منها .

(**) يوم ١٩٧٣/١٠/١٧ هو اليوم الذى فشلت فيه القوات المصرية فى القضاء على ثغرة الدفرسوار من جهة الغرب .

تحليل ودروس مستفادة

١ ـــ كفاءة وقدرة طيران العدو

اسرائيل تعتمد على اكتساب طاقتها الذاتية برفع مستوى الكفاءة القتالية فى معظم أسلحتها على القدرة الرأسية للفرد وللطاقم ، ويرجع ذلك الى العقدة المتوارثة لديها فى ضعف وقلة تعدادها البشرى . وظهر ذلك جليا فى معركة يونيو ١٩٦٧ خاصة بالنسبة لقواتها الجوية وكان الحل الأمثل لدى العرب هو زيادة تدريب الحجم البشرى الأكبر تدريبا متعادلا مع الكفاءة الرأسية التى يتمتع بها العدو . وفى معركة اكتوبر ١٩٧٣ ثبت أن الجهد التحضيرى فى الاعداد والتدريب والصقل الفنى للأفراد بالنسبة للمعدات والأجهزة قد حقق لمصر مبدأ التفوق فى نظرية « الكم المصرى المدرب تدريبا حسنا يمكن أن يواجه الكيف الاسرائيلى العالى التدريب » . ويتحول التفوق والنصر لجانب الكم المدرب . وان ماقامت به شبكة الدفاع الجوى غرب القناة هو أحسن مثل يحقق هذه النظرية .

٢ ـــ ان التوازن بين عناصر الدفاع الجوى أصبح شيئا ضروريا . وان الجمع بين الصواريخ المضادة للطائرات والمقاتلات الاعتراضية من الميج ٢١ بالذات والمدافع المضادة للطائرات بعياراتها المختلفة يكون خليطا متجانسا يحقق الأسلوب الأمثل فى النجاح وتدمير العدو . حيث أن المقاتلات توسع مجال عمل الدفاع الجوى عامة ، كما أن الصواريخ على المستوى العالى ومنها على المستوى المتوسط ومنها على المستوى المنخفض تحقق التعامل الرأسى فوق المنطقة المباشرة بالنسبة للارتفاعات المختلفة بالتعاون مع الموانع المضادة للطائرات بعياراتها المختلفة . وأن فاعلية الأسلحة ضد الطيران الواطى وماتتميز به من مخروط النيران الكثيف المركز على الهدف يعتبر مؤثرا جدا(*) . وبهذا التجانس فى عناصر الأسلحة داخل تشكيلات الدفاع الجوى تحقق تدمير العدو الذى يحاول الاقتراب من الهدف فى أى اتجاه أو على أى ارتفاع .

٣ ـــ ان كفاءة وقدرة ومرونة قوات الدفاع الجوى تستكمل وتصبح مثالية اذا توافرت لدى القوات الأجهزة والمعدات والأفراد الفنيين للصيانة والاصلاح ، سواء على مستوى الميدان أو مستوى القاعدة ، وخاصة عناصر الاصلاح المتحركة بين لواءات الدفاع الجوى ، أو بين كتائب الصواريخ ، بالاضافة الى الكتائب الفنية . وجميعها تمثل عناصر تقوى القدرة الفنية لقوات الدفاع الجوى وتمثل ذلك فى اصلاح أعطال كتائب صواريخ منطقة بورسعيد تحت ضغط العدو الجوى ، كذا العمل على خداعه والتمويه عليه باستخدام وسائل شراك خداعية ومولدات الدخان التى نجحت فى خداع وسائل استطلاع العدو فى الأيام التى كانت السلبية فى وسائل الدفاع الجوى هى السائدة .

(*) المدفع ٢٣ مم الموجهة ذاتيا ذو الأربعة مواسير يطلق ٤٠٠٠ طلقة فى الدقيقة .

٤ — **تأمين كتائب الصواريخ فى مسرح العمليات**

ان الصاروخ سام مثل الطائرة المقاتلة ، كلاهما يشكلان جناحى وحدة الدفاع الجوى ، وأن تأمينهما الأرضى من مسئولية القيادة العامة للقوات ، كذا قيادات التشكيلات الميدانية .

ان مسئولية تأمين كتائب الصواريخ هى من مسئولية التشكيلات البرية المحيطة بها أو القريبة منها ، ويماثل الاهتمام الزائد والمكفول لدى قواتنا فى حماية ووقاية وتأمين الطائرة المقاتلة تماما .

ويجب أن يكون الاحساس بالمسئولية الوقائية والتأمين متبادلا بين عناصر القوات . فما تقوم به كتائب الصواريخ من تغطية وتأمين تمركز وتحركات وعبور التشكيلات الميدانية من الطيران المعادى فان التزام تأمين هذه العناصر لكتائب صواريخ الدفاع الجوى المتمركزة بين وحداتها ضد هجوم العدو الأرضى يصبح واجبا ملزما على هذه التشكيلات .

٥ — ثبت ان أغلبية الهجمات الجوية تتم على الأهداف من الارتفاعات المتوسطة أو المنخفضة أو استخدام الاثنين معا ، وهو الأسلوب الأنسب لاصابة الأهداف وبذا امتلأت مخازن دول الغرب بصواريخ الدفاع الجوى متوسطة المدى ، كذا القصيرة المدى ، بينما أثبتت معارك أكتوبر أن صواريخ سام ٢ وسام ٣ فعالة ضد الهجمات من الارتفاعات العالية مثل طائرات الاستطلاع أو الهجمات من الارتفاعات المتوسطة ، ولذا نجد أن الدول الغربية بدأت تعيد النظر فى استخراج صواريخ مضادة للطائرات للعمل ضد الهجمات العالية وان يكون لها القدرة على الاشتباك مع عدة أهداف فى وقت واحد « متعدد قناة الهدف » .

٦ — الاتجاه المتزايد نحو استخدام الأسلحة المتطورة والمعقدة فى أسلحة وأجهزة الدفاع الجوى ، وهى تتطلب رجالا ذوى خبرة فنية عالية وعلى مستوى نفسى وعقلى عال ، الأمر الذى يؤكد أن القوة العسكرية لأى دولة لم تعد تقاس بصورة مطلقة وفقا للعناصر المكونة لها من تسليح وقوة بشرية ، وانما أصبحت تقاس بصورة نسبية وفقا لنوعية القوة البشرية وقدرتها على استيعاب الأسلحة والمعدات المتطورة . كما توفر الوقت اللازم والكافى لتمكين هؤلاء الأفراد من استيعاب الأسلحة المتطورة والتعامل معها فى مجال القتال ، كذا فى مجال التصنيع الحربى . وان اعداد قوات الدفاع الجوى الذى بدأ من عام ١٩٦٧ بالحاق جنود خريجى المعاهد العليا ، وخاصة المهندسون يعتبر أحسن مثل يحقق هذه الحقيقة فى سرعة استيعاب الأسلحة المتطورة واجادة استخدامها .

٧ — كان من نتيجة حرب الاستنزاف التى تمت بين القوة الجوية الاسرائيلية وبين الصواريخ سام غرب القناة خاصة فى شهرى يونيو ويوليو عام ١٩٧٠ ، أن سافر الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى الى فيتنام ليتعرف ويستوعب الخبرة والفاعلية بين صواريخ سام ٢ السوفيتية الصنع فى مسرح عمليات فيتنام ، وعاد ناقلا هذه الخبرة الى القوة الجوية الاسرائيلية التى استخدمت أحدث التكتيكات وأساليب القتال ، والأهم فى هذا الشأن تطبيق أحدث وسائل الاعاقة الالكترونية وأكثرها تطورا بامداد حديث من أمريكا .

ولم تغفل القيادة العامة عن اكتساب خبرة معارك فيتنام الجوية بالاضافة الى امدادنا بهذه الخبرة بواسطة الجانب السوفيتى ، فقد قامت قيادة الدفاع الجوى بارسال أحد ضباط فرع البحوث للدفاع الجوى (مقدم سلاوى) الى فيتنام لمعرفة خبرة صواريخ سام ٢ وأسلوب تعاملها مع القاذفات المختلفة الأمريكية . وتم نقل هذه الخبرة الى وحدات الدفاع الجوى ، وبذا ارتفعت كفاءة أطقم الدفاع الجوى بالنسبة لاستخدام الصواريخ تكتيكيا ، كذا معرفة أسلوب هجمات العدو الجوية عليها .

٨ ــ ازدواجية الهجمات على عناصر الدفاع الجوى

بعد مهاجمة جهاز الرادار فى منطقة البحر الأحمر فى ديسمبر ١٩٦٩ تبين للقيادة العامة للقوات المسلحة فى ذلك الوقت ، امكانية الهجوم المزدوج جوى وأرضى على أجهزة ووسائل الدفاع الجوى . ووضعت القيادة اسلوبا للدفاع عن هذه الوسائل بتخصيص احتياطى خفيف الحركة مدعم بأسلحة صاروخية مضادة للدبابات يتواجد فى المنطقة ، يكون على اتصال قريب بوسائل الدفاع الجوى خاصة المنفصلة أو المتطرفة فى أرض خالية من القوات بهدف حمايتها والدفاع عنها ضد هجمات العدو المزدوجة .

٩ ــ بعد التدقيق فى كمية استهلاك الصواريخ سام بأنواعها المختلفة التى تمت فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ ــ (ثمن الصاروخ سام ٢ ٢٥ ألف جم) ــ بالنسبة لعدد الأهداف الجوية المعادية التى اصيبت بفعل أسلحة وصواريخ الدفاع الجوى ، نجد أن كمية الاستهلاك اكثر من المعدل العالمى المعروف بكثير . وهذا يرجع الى حرص الجميع بوحدات صواريخ الدفاع الجوى من الاشتباك مع جميع الأهداف المعادية بهدف اسقاط اكبر عدد ممكن منها بصرف النظر عن عدد الوحدات المشتركة مع نفس هذا الهدف . فاذا علمنا أن معدل تدمير أى هدف يحتاج الى صاروخين اثنين فقط . بينما تقوم اكثر من وحدة فى الاشتراك على تدميره . أى أن الهدف استهلك اكثر من صاروخين . ومن هنا ينشأ الاسراف الزائد فى الاستهلاك الأمر الذى يجعلنا نعود الى دراسة موضوع « الدقة فى الاصابة » . ان نظام توزيع الأهداف المعادية على وحدات الصواريخ (OZQRK) لم يستكمل فى كل وحدات صواريخ الفرقة ٨ دفاع جوى بسبب استبعاد الأفراد الفنيين من الاتحاد السوفيتى الذين انهوا عملهم فى يوليو ١٩٧٢ قبل استكمال هذا النظام فى كل وحدات الدفاع الجوى . كما أن الحماس الناشىء من رغبة جميع الوحدات فى اسقاط أكبر عدد من الأهداف لم يتح لادارة وقيادة وحدات الصواريخ التحكم فى توزيع الأهداف على الوحدات .

ان الزيادة فى استهلاك الصواريخ يعتبر عدم اقتصاد فى القوى والامكانيات الأمر الذى يؤثر على ضرورة تعديل معدل الاستهلاك فى تعليمات الاشتباك ، كذا فى معدلات التخزين فى خطوط الذخيرة ، كذا فى معدل الخسائر المتوقعة ، كذا فى تحديد القدرات الانتاجية للتصنيع الحربى .

١٠ــ أضيفت لأول مرة فى قتال الشرق الأوسط نوعية جديدة من المعدات والأجهزة والنظم هى الوسائل

الالكترونية فى الميدان . استغلتها اسرائيل أولا فى معركة يونيو ١٩٦٧ ثم ادخلتها القوات المصرية فى قتالها مع العدو فى حرب الاستنزاف ٦٧ ــ ١٩٧٠ ، وشملتها عناصر الاستطلاع الجوى وعناصر وحدات الدفاع الجوى وعناصر ووحدات القوات الجوية .

غير أن التطبيق العملى للوسائل والمساعدات الالكترونية فى معارك ١٩٧٣ بين الطرفين المتصارعين لم يكن متعادلا لغياب أهم عناصرها فى الجانب المصرى وهو وسائل الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى .

ان الحرص على الحصول على معلومات دقيقة يماثل دقة التوجيه ــ كذا تنسيق الاشتباكات على أهداف متعددة فى وقت واحد . ودقة الاصابة للأهداف ــ باستخدام عناصر وأجهزة ووسائل الكترونية سوف تشجع جميع الأطراف المعنية مستقبلا بالعمل على تحسين وتطوير وزيادة الوسائل الألكترونية فى هذه المجالات وفى غيرها ، الأمر الذى يوصى بأن حروب الالكترونيات قادمة بازدهار .

الفصل التاسع

القوات البحرية فى معارك أكتوبر ١٩٧٣



ان تحفظ الرئيس السادات وجموده نحو تحديد هدف نهائى فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ جعل القوات البحرية فى معارك اكتوبر تقوم بمهام دفاعية وقائية ، وهى مهام ابعد ماتكون عن خصائص ومميزات القوات البحرية المصرية . فى نفس الوقت الذى كانت تتمتع به قواتنا البحرية بقدرات تفوق قدرات اسرائيل البحرية كثيرا كما كان تحفزها الوطنى واستعدادها العسكرى الذى اعدته خلال ثلاث سنوات حرب الاستنزاف والذى دفع قادة ومقاتلى القوات البحرية الى ابراز المزيد فى العمليات الهجومية الجريئة محققه السيطرة البحرية على كلا محورى البحر الأحمر وشرق البحر الأبيض .

إن قرار الرئيس السادات فى أول أكتوبر ١٩٧٣ هبط بأهداف المعركة لتكون محدودة وقاصرة على تحرير الشريط الضيق من الأرض بعمق ١٠ ــ ١٢ كم شرق القناة من أجل تحريك الموقف الدبلوماسى ، بعد أن يئس من تحريك الموقف الأمريكى دون معركة . وان حجم المعركة ومواجهاتها وعمقها ومدى الاشتباكات العسكرية التى تحقق تسخين الموقف قد تم الاتفاق عليها خلال الاتصالات السرية بين الرئيس السادات والادارة الأمريكية ، والتى استمرت تعمل بانتظام قبل العمليات ونشطت اكثر خلالها ، وكانت ذات أهمية كبيرة للأمريكيين وان لهجة هذه الاتصالات كانت ودية(٠) .

ان تطبيق هذا القرار على القوات البحرية يعنى التزامها بأعمال دفاعية ووقائية فقط طالما ان قرار الحرب نبذ اسلوب الحرب الشاملة ، والتى يمكن من خلالها ان تنطلق قواتنا البحرية الى مهاجمة العدو فى قواعده البحرية وفى ممراته البحرية وفى قطع خط مواصلاته والعمل على شل حركته داخل مياهه الاقليمية .

بالاضافة الى ان حجم قواتنا البحرية وتنويع قطعها البحرية فى جميع العناصر تمكنها من الحصول على السيطرة البحرية ، الا ان العدو البحرى أمكنه الحصول على توازن فى القوى والقيام بعمليات بحرية نشطة فى كلا محوى العمل البحرى ــ البحر الأحمر وشرق البحر الأبيض بسبب سلبية قرار حرب أكتوبر القاضى بجعلها حربا محدودة قاصرة ومقيدة .

---

(٠) كتاب التغيير الكبير Up Hearval لهنرى كيسنجر ص ٥٧٤ .

ان إعداد وتجهيز ،واستعداد، قواتنا البحرية خلال سنوات حرب الاستنزاف من خلال التدريب المكثف فى أشكاله المختلفة ليلا ونهارا مكنت قواتنا البحرية وتشكيلاتها المقاتلة من الوصول الى القدرة القتالية التى يمكن الاعتماد عليها فى العمليات الهجومية البحرية التى كانت متوقعة فى ظل معارك تحرير شاملة تتم فى ــ أوائل عام ١٩٧١ .

وكان إشراك وحدات القوات البحرية مع باقى تشكيلات أفرع القوات المسلحة الرئيسية فى قتالها مع العدو الاسرائيلى عقب معركة يونيو ١٩٦٧ مؤثرا وقد حصلت على نصر منفرد فى :

ا ــ تدمير واغراق اكبر مدمرة اسرائيلية « ايلات » فى ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ ، وغرق معها ٤٧ بحارا اسرائيليا ، مستخدمة الصاروخ سطح /سطح السوفيتى سينتكس لأول مرة فى معارك البحرية العالمية .

ب ــ قصف نيرانى مؤثر بواسطة مدافع اسطولنا البحرى على مواقع ومنشئات ومراكز تدريب اسرائيلية فى منطقة رمانة عدة مرات فى عامى ٦٩ ، ٧٠ متعاونه مع الجيش الثانى الميدانى فى جبهة قناة السويس .

جـ ــ ثلاث عمليات جريئة للضفادع البشرية ــ تتم لأول مرة ــ ضد ميناء ايلات الاسرائيلى عامى ٧٠/٦٩ .

د ــ تدمير الحفار كيتنج المؤجر لاسرائيل فى ميناء أبيدجان فى مارس ١٩٧٠ .

وهى عمليات مشرفة لقواتنا البحرية دلت على كفاءة وقدرة فى العمليات البحرية بالاضافة الى ماسببته هذه العمليات من رفع معنويات قيادات وافراد القوات البحرية .

بالاضافة الى قيام قواتنا البحرية بحماية مياهنا الاقليمية طوال حرب الاستنزاف فى كلا محورى العمل البحرى ــ البحر الأحمر وشرق البحر الأبيض . كما اشتركت فى جميع العمليات الصغرى التى قامت بها وحدات الصاعقة ضد المنشئات البترولية التى كانت اسرائيل تستغلها على الشاطىء الشرقى لخليج السويس منطلقة من قواعدنا البحرية فى الغردقة وسفاجا وبرنيس فى البحر الأحمر .

تحضيرات القوات البحرية لمعركة تحرير الأرض الشاملة :

وضعت القوات البحرية خطتها ضمن خطة عملية التحرير الشاملة اسوة بأفرع القوات المسلحة الرئيسية منذ ١٩٦٨ على أساس تحقيق الهدف السياسى « ازالة اثار العدوان » والذى تحول الى هدف عسكرى محدد هو تحرير سيناء ــ بالكامل . متعاونة مع قوات الجيشين الثانى والثالث ، واحتياطى القوات المسلحة فى عملية هجومية شاملة ضد اسرائيل لتحقيق هذا الهدف . وكانت الفرصة مواتية لقدرة القوات البحرية بوصفها قوة ردع تتفوق كثيرا على البحرية الاسرائيلية حيث كانت (نسبة التفوق ٣ــ ١ لصالح مصر) لتحقيق المبادأة فى تنفيذ حرب شاملة ضد اسرائيل ، خاصة وان محيط مياهها ومداخل موانيها كلها داخل ضمن المسرح الجغرافى الواقع ضمن العمق الاستراتيجى للوطن العربى .

وكان الاعتبار الأول لقواتنا البحرية أن تحقق أهدافها بأعمال هجومية مؤثرة ضد القوات البحرية الاسرائيلية وفى العمق حتى موانيها ، بالاضافة الى الواجب الكبير فى حماية جانب الجيش الثانى الأيسر عند تقدمه شرقا ، والقيام بعمليات إنزال على الشاطىء الشمالى لسيناء بالاضافة الى مهمة قطع خطوط مواصلات العدو وحصار مداخله البحرية .

وحولت قيادة القوات البحرية هذه الأهداف الى واجبات عمليات بحرية مفصلة واخذت فى الاعداد والتدريب عليها .

كما طورت قيادة القوات البحرية مشروعاتها التعبوية والاستراتيجية ، كذا تدريبات الرماية البحرية لرفع كفاءة وحداتها البحرية المتنوعة عموما .

وعندما حاولت قيادة القوات البحرية تدريب وحدات الغواصات على واجبات عملياتها المخططة ، وجدت أن الأسلوب الأمثل لذلك هو البدء بواجب الاستطلاع ، وقامت فعلا بتكليف الغواصات طراز ٦٣٣ بمهام استطلاعية فى المياه الاسرائيلية . وقد امكن تكليف كل غواصة من هذا النوع وعددها ست بمهمة استطلاع لمدة عشرون يوما تخرج فيها الغواصة من المياه المصرية متبعة روتين الحرب . وهو الصمت اللاسلكى التام والاستماع الى اذاعة قيادة القوات البحرية فى أوقات متفق عليها . واتبعت فى ذلك الغطس نهارا حتى عمق ٥٠ مترا والطفو ليلا لشحن البطاريات وتغيير الهواء ، مع الاستعداد للغطس السريع عند اقتراب اى هدف ، وذلك بالغطس الى عمق البيريسكوب فى ٤٥ ثانية ، وهو معدل زمنى قياسى . وكانت مهمة الاستطلاع تتلخص فى الابلاغ عن نشاط العدو فى منطقة موانيه امام حيفا وتل ابيب واسدود وتصويرها وكذلك عمل استطلاع لاسلكى وراداري فى هذه المناطق .

وكان الهدف الأساسى لهذا الأسلوب الجرىء هو زيادة حصيلة المعلومات المتوفرة لدينا عن استعداد العدو ومعرفة تحصينات ودفاعات موانيه البحرية ، كذا كسر حاجز الخوف بالأسلوب العملى لأطقم الغواصات وامكانية التجول بحرية تامة فى مياه العدو الاقليمية دونما خوف من وسائل العدو أو اسلحته المضادة للغواصات التى كانت — ولاتزال — ضعيفة ودون المستوى . وقد تم القيام بهذه المهام لعدد ستة أطقم من هذه الغواصات خلال اعوام ٧٠/١٩٧١ م .

لقد اضاف هذا الأسلوب وسيلة جديدة لعناصر الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى لقواتنا المسلحة ، بالاضافة الى الخبرة البحرية المكتسبة لأطقم غواصاتنا فى اعالى البحار . بالاضافة الى التأثير الكبير فى رفع قدرة اطقم تلك الغواصات واعطائهم الثقة فى أنفسهم وفى معداتهم البحرية .

ان قواتنا البحرية مازالت حتى الآن تتفاخر بالعمل الاستطلاعى الذى قام به اطقم الغواصات الست خلال تدريبها وتجاربها ، كذا على الأسلوب الجرىء الذى سلكته قيادة قواتنا البحرية لاختيار هذا الأسلوب للتدريب على واجبات الاستطلاع البحرى باستخدام الغواصات لأول مرة بالرغم من عدم نجاح مثل هذه العمليات فى أكتوبر ١٩٧٣ .

اما بالنسبة لتدريب أطقم اللنشات وأطقم الضفادع البشرية على واجبات العمليات البحرية ضد موانى ، حيفا وتل ابيب ، فقد تمت تحضيرات هذه العمليات بالتعاون مع عناصر وطنية فى جنوب لبنان وبطريقة سرية للغاية أشبه بالعمليات التى قامت بها الضفادع البشرية داخل ميناء ايلات عام ٦٩ ، ٧٠ . كما تم تشوين وتخزين مطالب أطقم التفجير للضفادع البشرية ومعداتها فى مناطق سرية استعدادا لتنفيذ عمليات بحرية جريئة ضد منشآت ميناء حيفا عند بدء معركة تحرير الأرض الشاملة .

كما تم وضع خطط بحرية فى البحر الأحمر مع التركيز على استخدام الألغام البحرية فى اهم المناطق حيوية لاسرائيل وهى مدخل خليج العقبة ـــ وكان أهم العمليات البحرية فى هذا المحور هو تحديد منطقة عرضية جنوب قاعدة برنيس الجوية من أجل تواجد مجموعة بحرية لقطع خط الملاحة البحرى الذى يغذى ميناء ايلات بالبترول والمواد الاستراتيجية الواردة من الخليج العربى (ايران) أو من جنوب افريقيا . بالاضافة الى بُعد هذه المنطقة عن اقصى مدى تكتيكى لقاذفات العدو الجوية .

وكان للقوات البحرية واجبات اخرى فى زيادة اعداد أطقم الضفادع البشرية وتوفير المعدات البحرية اللازمة لرفع قدراتها القتالية . كما بدأت قيادة القوات البحرية فى انشاء لواء برمائى من مشاة البحرية بهدف زيادة مقوماتها القتالية فى عمليات الانزال البحرى مساعدة لعمليات الجيش الثانى الميدانى بانزال وحدات على الساحل الشمالى عندما يبدأ تقدم الجيش شرقا لتحرير سيناء .

كما نجحت القوات البحرية فى رفع كفاءة قوات المدفعية الساحلية بزيادة قدراتها الصاروخية بعد ان انضمت تنظيميا عقب معركة يونيو ١٩٦٧ للقوات البحرية بعد ان كانت تابعة لادارة المدفعية .

التخطيط البحرى لعمليات اكتوبر ١٩٧٣ م .

اصطدمت آمال التخطيط البحرى لقواتنا البحرية الذى كان معدا منذ عام ١٩٧٠ ، وتم تدريب تشكيلاتنا البحرية على واجباته وعملياته بالقيود والحدود التى وردت فى قرار حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والتى اجبرت قواتنا البحرية على تعديل خططها للعمليات البحرية لتكون جميعها دفاعية ـــ وقائية عن موانينا وسواحلنا فى كلا محورى العمل البحرى ـــ البحر الأحمر وشرق البحر الأبيض المتوسط . وبذا فقدت قواتنا المسلحة خصائص ومميزات قوة الردع القوية المتمثلة فى قواتنا البحرية والتى تتفوق على بحرية اسرائيل تفوقا ساحقا .

واقتصرت واجبات العمليات البحرية طبقاً لقرار حرب اكتوبر ١٩٧٣ :

١ ـــ حماية وسيطرة على مياهنا الاقليمية وموانينا البحرية فى كلا محورى العمل البحرى ،
٢ ـــ تهديد وحصار المداخل المائية للعدو الاسرائيلى فى البحر الأحمر .
٣ ـــ معاونة قوات الجيش الثانى فى عملياته البرية فى قطاع بورسعيد .
٤ ـــ العمل على منع امداد البترول والمواد الاستراتيجية الحربية الى ايلات وذلك بالسيطرة على خليج باب المندوب .

إن واجبات العمليات البحرية التى كلفت بها قواتنا البحرية فى حرب **أكتوبر ١٩٧٣ حرمتها من :**

١ ــ استغلال تفوقها البحرى على العدو الاسرائيلى .

٢ ــ فقدت ميزة المبادأة على العدو .

٣ ــ لامجال للمشاركة أو التعاون أو التنسيق فى عمليات بحرية مشتركة مع بحرية الحليفة سوريا. وكانت اسرائيل تتوقع قيام قواتنا البحرية بعمليات هجومية ضد موانيها وقواعدها البحرية منذ بداية العمليات الحربية على نسق ما قامت به قواتنا البرية لعبور قناة السويس ومهاجمة وتدمير مواقع بارليف .. ولكن قواتنا البحرية ، كذا القوات البحرية السورية لم تقم بأى مبادرة يمكن ان تحصل بها على ميزة المبادأة فى العمليات البحرية . يرجع ذلك الى التزام قواتنا البحرية بالحدود التى خطها قرار حرب اكتوبر وسلكت اسلوب الدفاع الثابت فى قواعدها البحرية .

وعندما توضح للعدو البحرى اهدافنا ومقاصدنا البحرية ، قامت قواته البحرية بعملياتها الهجومية على البحرية السورية ، ثم على قواتنا البحرية فى قواعدها بعد يومين اثنين فقط من بدء العمليات ، وبذا اكتسبت حرية الحركة فى شرق البحر الأبيض المتوسط وتحصلت على ميزة المبادأة فى العمليات البحرية على القوات البحرية المصرية والسورية معا . وتمت المواجهات والاشتباكات والصدام البحرى فى مناطق موانىء اللاذقية وطرطوس فى سوريا ثم موانىء بورسعيد ودمياط وأبى قير فى مصر .

عمليات القوات البحرية فى البحر الأحمر :

١ ــ تواجد مدمرة واحدة طراز Z وعدد اثنان مدمرة طراز سكورى وغواصتان فى مهمة السيطرة على مياه باب المندب اعتبارا من الساعة ١٤٠٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بهدف حرمان اسرائيل (ميناء ايلات) من استمرار تدفق الوقود الوارد من الخليج العربى (ايران) ، كذا الامداد البحرى الاستراتيجى للحرب . وكانت مصر قد اعلنت عن حظر الملاحة البحرية فى عدة مناطق بحرية فى كلا محورى العمل البحرى ــ البحر الأحمر وشرق البحر الأبيض المتوسط .

نجحت خطة التعرض البحرى ضد الامداد الاسرائيلى ، بدليل انه لم تدخل سفينة واحدة الى ميناء ايلات أو تخرج منها حتى اتفاقية فك الاشتباك فى ١٨ يناير ١٩٧٤ ، وحرمت اسرائيل من الامداد بالوقود طوال هذه الفترة .

ولم يحدث ما يعكر هذا النجاح سوى بلاغ من قوة المراقبة البحرية عن تسرب سفينة شحن بترول اسرائيلية عبر المياه الدولية لباب المندب ، وكلفت غواصة من قوة الاعتراض البحرى بتدميرها فى خط سيرها شمالا فى البحر الأحمر .

قامت الغواصة بهجوم خاطىء على سفينة شحن البترول بأن غطست تحت الماء واطلقت طوربيداتها مرة واحدة وكانت الغواصة على عمق ٣٠ مترا تحت سطح الماء . فأخطأت جميع الطوربيدات

الهدف ولم تصب شاحنة البترول . ومر هذا الحادث دون حساب أو عقاب . ويظل التساؤل قائما عن الجهود التدريبية الشاقة والخبرة البحرية التى اكتسبها قائد الغواصة ضد أسهل وأبسط هدف يمكن ان يصادفه فى أى عمليات بحرية فى حياته .

أعلن يوم ١٧/١٠/١٩٧٣ غرق سفينة شحن بترول اسرائيلية فى مدخل خليج السويس بسبب اصطدامها بأحد الألغام البحرية .

واضطرت القيادة العليا فى مصر سحب مجموعة المراقبة والحصار البحرى لمياه باب المندب وهى العملية البحرية الوحيدة الناجحة فى اكتوبر ١٩٧٣ وذلك بعد نجاح القوات الاسرائيلية فى حصار قوات الجيش الثالث الميدانى ومدينة السويس دون الاعلان عن الانسحاب اعلاميا .

وكان الرئيس السادات قد أمر بتمكين مرور سفينة شحن بترول الى اسرائيل فى اليوم الأول لمفاوضات كم ١٠١ طريق القاهرة السويس نظير قبول اسرائيل مرور قول تموين واحد الى قوات الجيش الثالث المحاصر .

كان التخطيط البحرى فى خطة تحرير سيناء الشاملة يحدد منطقة بحرية فى البحر الأحمر جنوب ميناء برنيس تتواجد فيها مجموعة الاعتراض والتدمير البحرية ضد السفن الاسرائيلية المتجهة الى ايلات تطبيقا لخطة حصار مسرح العمليات البحرى لاسرائيل .

يتميز هذا التخطيط بقربه من قاعدة برنيس الجوية حيث يتمركز سرب مقاتل قاذف يتعاون مع قواتنا البحرية فى شئون الاستطلاع والحماية الجوية ، وان المنطقة بذاتها خارج نطاق العمل التكتيكى لطيران العدو .

ودار الهمس بين القادة والضباط عن الهدف من تلغيم خليج السويس وهو الممر المائى لقواتنا البحرية وسفننا التجارية والسفن العالمية ، ولماذا لم يوضع مدخل العقبة مكانه فى التخطيط لتلغيمه ؟ .

قامت مجموعة بحرية البحر الأحمر بتوجيه نيران صواريخها الموجهة على مواقع العدو فى شرم الشيخ . وتكرر القصف عدة مرات الامر الذى اثبت للعدو ان حرصه على الاحتفاظ وتأمين خليج العقبة اصبح عديم الفائدة بالنسبة لنجاح بحريتنا فى تهديده سواء بحصاره من الجنوب أو بتلغيم مدخله ، أو بقصفه بالنيران . كما تم القصف بالنيران على مواقع اخرى للعدو مثل رأس سدر .

قامت مجموعة من الضفادع البشرية فى خمسة قوارب صيد مساء يوم ١٩٧٣/١٠/٨ بمهاجمة حفار بترول بلاعيم ذات ٦ ارجل مؤجر لاسرائيل بالقرب من ابورديس ونجحت المجموعة فى تدميره . وفى العودة غرق قارب من القوارب الخمسة ، وعاد طاقمه سباحه الى الشاطىء الشرقى لخليج السويس(*) .

(*) فى كتاب ادجار أوبلانس ــ فصل المواجهات البحرية

واثناء تمركز وحدة الضفادع البشرية التابعة للقوات البحرية فى ميناء الأدبية وصلت اليها القوات المدرعة الاسرائيلية يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ وأسرتها . وهى خسارة كبيرة جدا بالنسبة للقوات المسلحة ولم يعرف السبب فى تمركزها دون عمل أو مهمة فى ميناء الأدبية . وعند استجواب افرادها بمعرفة المخابرات الاسرائيلية تبين ان من بين الأسرى الضابط البحرى الذى اشترك فى عمليات ايلات الشهيرة عامى ٦٩ و٧٠ . كما انه كان قائداً لمجموعة الضفادع البشرية التى تمكنت من تدمير الحفار كيتنج المؤجر لاسرائيل فى ميناء ابيدجان (ساحل العاج) فى مارس ١٩٧٠ .

عمليات القوات البحرية فى البحر الأبيض :

كانت العمليات البحرية المعتمدة لقواتنا البحرية فى شرق البحر الأبيض المتوسط هى تأمين مياهنا الاقليمية ضد عمليات العدو البحرية ، كذا تهديد وحصار موانىء اسرائيل فى البحر الأبيض ، ولكن اقتصرت العمليات البحرية التعرضية على :

١ ــ قيام غواصتين لتهديد وحصار موانىء اسدود وحيفا ، والعمل على قطع خطوط المواصلات البحرية اليهما . أخطأت شعبه عمليات البحرية فى تحديد « كود واحد » لاتصالات الشفرية مع الغواصتين ، الأمر الذى جعل من الصعب التمييز بين أى غواصة فى حالة استخدام « كود واحد » للإتصال مع أيهما .

تعطلت احدى الغواصتين عطلا فنيا امام شاطىء البرلس . صدر الأمر من عمليات البحرية بالعودة الى القاعدة . وتسلمت كل من الغواصتين امر العودة بسبب وجود اسلوب اتصال واحد لكلتيهما « كود واحد مشترك » عادت الغواصتان الى قاعدتهما دون ان يصلا الى هدفهما أو يحققا شيئا . علما بأن الطاقمين بهذه المهمة لم يكونا من ضمن الستة اطقم السابق تدريبهم على نفس المهمة عام ١٩٧٠/١٩٧١ .

رفضت القيادة العامة تكرار ألمهمة عندما عزمت قيادة البحرية تصحيح الخطأ وتكرار المهمة .

٢ ــ وفى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٥ تكتشف قاعدة مرسى مطروح البحرية هدفا بحريا فى منطقة عملياتها اتضح فيما بعد انها سفينة يونانية حمولة ٣٠٠٠ طن ترفع علم قبرص قامت من ميناء الاسكندرية وتتبع الخط الملاحى العادى الى بنغازى . أصيبت السفينة وغرقت وصدر بلاغ عن الحادث ضد مجهول .

٣ ــ قامت وحداتنا البحرية فى بورسعيد باعطاء الدعم بالنيران لوحدات الجيش الثانى (قطاع بورسعيد) فى مرحلة العبور وانشاء رؤوس كبارى وذلك بقصف مواقع العدو على الساحل الشمالى فى سيناء وبشكل مركز على مواقع العدو فى شرق بورفؤاد ورمانه .

٤ ــ هجوم مضاد ومتابعة من زوارقنا الصاروخية على مجموعة الزوارق الاسرائيلية التى هاجمت سواحلنا وميناء ابى قير ليلة ١٠/٩ وليلة ١٠/١٠ ونجحت فى اصابة زورق اسرائيلى شمال سواحل البرلس .

ولو ان جوهر الخطط البحرية تحاشى منذ البداية القيام بالعمليات الهجومية الجريئة وهو طابع القوات البحرية فى العالم . ولهذا لم تكن عملياتنا البحرية التى تمت فى شرق البحر الأبيض المتوسط على أى مستوى من ناحية الأداء أو من ناحية التخطيط للعمليات البحرية التى كانت تتوقعها اسرائيل من قواتنا البحرية بصفة خاصة فى عمليات اكتوبر ١٩٧٣ .

وكانت السلبية فى اتخاذ قواتنا اوضاع الدفاع الوقائى تطبيقا لقرار حرب أكتوبر ، الا ان العدو الأقل حجما تمكن من استغلال هذه السلبية ، وقام بهجمات بحرية مركزة على القوات البحرية السورية ثم المصرية واحدث فيها خسائر .

العمليات الاسرائيلية البحرية فى اكتوبر ١٩٧٣ .:

كان تقدير القيادة الاسرائيلية منذ البداية ان التفوق البحرى لمصر وسوريا معا يفوق مقدرة قواتها البحرية بكثير من الصفات والمميزات والحجم . الأمر الذى يجعلها تلتزم جانب الدفاع فى استخدام قواتها البحرية .

ولو ان استعداد القوات الجوية الاسرائيلية فى معاونة القوات البحرية فى كل عملياتها الدفاعية والوقائية يكسبها كثيرا من القدرات ، الا ان التزام قواتنا البحرية بجوهر قرار حرب اكتوبر ارغمها على استخدام قواتها البحرية الاستخدام السلبى منذ بدء العمليات جعل العدو يجرؤ على انتهاز هذه الفرصة ، وغير من اسلوبه وطبق المبادأة وهاجم بقوة موانىء مصر وسوريا معا .

ان القوات البرية للدولتين طبقا المبادأة وتحصلا على نصر سريع ومفاجىء فى الجبهتين فى اليومين الأولين للقتال . فلماذا لم يطبق ذلك على القوات البحرية ؟ علما بأن الخطط الهجومية على موانىء اسرائيل كانت معدة ومجهزة ومدرب عليها مسبقا عام ٦٩ و١٩٧٠ ، ١٩٧١ (خطط تحرير سيناء الشاملة) .

واعتمد العدو فى تخطيطه البحرى على غياب عناصر (*) الاستطلاع لدينا واتبع أسلوب الضرب والهرب محققا المفاجأة فى كل حالة . وفى نفس الوقت قامت قواته الجوية خاصة الهليوكوبتر المخصصة للانذار المبكر والمشتركة معه فى عملياته البحرية لتقديم المعاونة المباشرة فى جميع العمليات . عوضت عليه القصور الواضح فى كثير من اسلحته الهجومية فى قواته البحرية .

ففى يوم ٩ أكتوبر ٧٣ تعرض تشكيل من أربعة زوارق سعر اسرائيلية مسلحة بصواريخ جبريل ومدافع ٧٦مم ومعاونه طائرات هليوكوبتر لمهاجمة ميناء اللاذقية السورى حيث تصدى له مجموعة من الزوارق الصاروخية السورية المسلحة بالصواريخ ستيكس من ميناء طرطوس واطلقت عليه مجموعة من

(*) افتقدت قواتنا المسلحة القدرة على توفر معلومات الاستراتيجية التعبوية عن العدو وعلى مسرح العمليات منذ ان استبعد الرئيس السادات القوات السوفيتية فى يوليو ١٩٧٢ .

الصواريخ لم تصب اهدافها. ثم هاجمت الزوارق الاسرائيلية الميناء وفى حدود مدى الاصابة للصاروخ جبريل تمكنت من اصابة زورقين سوريين كما اصابت سفينة شحن « تسلمينارقوس » واخرى يابانية « ياماماسيبومارو » بينما خسرت اسرائيل زورقا صاروخيا فى هذه المواجهة .

وفى يوم ١٠ اكتوبر ٧٣ هاجم تشكيل من اربعة زوارق سعر اسرائيلية تشكيلا بحريا مكونا من اربعة زوارق كرومر مصرية مسلحة بصاروخ ستيكس كان فى طريقة الى قاعدة بورسعيد البحرية واستخدام التشكيل البحرى الاسرائيلى نفس الأسلوب الذى اتبعه امس ضد الأهداف السورية — السماح لزوارقنا باطلاق صواريخها اولا ويعمل العدو على انحرافها عن اهدافها بوسائله الالكترونية ثم يقترب الى حدود مدى الصواريخ جبريل ويطلق صواريخه على أهدافنا البحرية — واصاب ٣ زوارق مصرية خارج مياه دمياط واضطر الرابع الى اللجوء الى الشاطىء بينما خسرت اسرائيل زورقا صاروخيا وكانت طائرات الهيلوكوبتر الاسرائيلية تعاون التشكيل البحرى فى الانذار المبكر وعمليات الاستطلاع التكتيكى .

وفى يوم ١١ أكتوبر هاجم تشكيل اسرائيلى مماثل قاعدة ابى قير البحرية يعاونه تشكيل من طائرات الهيلوكوبتر وتمكن من اصابة كتيبة المدفعية الساحلية الصاروخية ومحطة رادار . واثناء ارتداد التشكيل الاسرائيلى تابعه تشكيل زوارق مصرى تمكن من اصابة احد الزوارق الاسرائيلية امام شواطىء البرلس .

وفى يوم ١٢ أكتوبر هاجم تشكيل اسرائيلى مماثل قاعدة طرطوس فى الوقت الذى كانت سفن الامداد السوفيتى الى سوريا تفرغ معدات واسلحة عسكرية فى الميناء . وتمكن التشكيل من قذف اهداف حيوية (جسر طريق الابراش الرئيسى الى الشمال من طرطوس) واصابة سفينة شحن روسية « ايليامينشنكوف » .

وفى ١٦ اكتوبر حاول العدو مهاجمة بورسعيد والقيام بعملية انزال مستخدما الضفادع البشرية وأفراداً من الصاعقة ولكن العملية فشلت وغرق ١٩ فردا اسرائيليا .

بينما نجحت الضفادع البشرية الاسرائيلية فى تفجير خط المواصلات البحرى ، الكابل البحرى امام شواطىء بيروت يوم ١٨ اكتوبر سبب قطع المواصلات الخارجية لكل من سوريا ولبنان . كما فقد خط المواصلات المحورى بين سوريا ومصر .

وفى يوم ٢٢ أكتوبر هاجمت مجموعة زوارق اسرائيلية ميناء الغردقة وقصفت منشآت الميناء وأصيب زورق مصرى كان رابضا فى الميناء بقذيفة مضادة للدبابات على مسافة ١٠٠ متر فقط .

دروس وخبرات فى عمليات اكتوبر البحرية :

ان العمليات البحرية التى تمت فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ المحدودة تمت جميعها فى المياه الاقليمية لكل من مصر وسوريا . وكانت فى شكل اغارات بحرية خاطفة من الجانب الاسرائيلى الذى تمكن من أخذ المبادأة فى العمليات البحرية ، عكس ماحدث للقوات البحرية لكل من مصر وسوريا . أى لم تحدث مواجهات بحرية فى شكل معارك بحرية فى مياه مفتوحة .

ان توازن القوى البحرى بين القوات البحرية العربية (مصر وسوريا مجتمعة) وقوات العدو البحرية ، حيث كان التفوق واضحا وساحقا للعرب ـــ الأمر الذى لايسمح إطلاقا لقوات العدو البحرية أن تنتزع حرية الحركة والمبادأة من القوات العربية البحرية .

ان التزام القوات البحرية المصرية باتخاذ اسلوب الدفاع الثابت فى القواعد البحرية خاصة فى محور شرق البحر الأبيض المتوسط تجاوبا مع قرار حرب اكتوبر ، وكذا عدم وجود اشتراك أو تنسيق أو تعاون بين القوتين البحريتين مصر وسوريا مكن العدو بعد يومين من الحصول على حرية الحركة وعلى المبادأة فى العمليات الحربية . بدليل أن الغارات البحرية التى تمت خلال حرب اكتوبر تمت فى المياه الاقليمية والموانىء فى مصر وسوريا . أى ان التشكيل البحرى الاسرائيلى هو الذى أقدم وهاجم أهدافه فى كل من الساحلين وليس العكس .

إن عناصر القتال البحرى التى نشطت فى عمليات اكتوبر البحرية هى الزوارق المسلحة بالصواريخ واللغم البحرى والغواصة الى حد معين ، وتحددت شكل المواجهات البحرية « قتال صواريخ بحرية » اما باقى عناصر القتال البحرى التى تتميز بها القوات البحرية المصرية مثل المدمرات والفرقاطات والتى تمثل الحجم الأكبر والمكلف ، فلم يكن لها أى دور مؤثر فى عمليات اكتوبر البحرية سوى عملية باب المندب التى قامت بالعمل البحرى السلبى بعيدا عن مسرح العمليات .

واضافت اسرائيل عنصرين هامين كان لهما تأثير كبير على نتائج العمليات البحرية وهما اشتراك الطائرة الهليوكوبتر مع الزوارق فى جميع العمليات كعنصر انذار مبكر واستطلاع تكتيكى مباشر . والعنصر الثانى هو اضافة بعض اجهزة الكترونية فى زوارقها بغرض التداخل والشوشره والعمل على انحراف مسار الصاروخ ستيكس الذى تتميز به زوارقنا .

وهاتان الاضافتان مكنتا اسرائيل ان ترفع قدرة زوارقها القتالية ، بحيث تعوض النقص فى الحجم العام لأسطولها البحرى . وامكن للزورق الاسرائيلى بعد تمتعه بامكانية الاستطلاع والرؤية القريبة المباشرة وسيطرته على الصاروخ ستيكس وقدرته على انحرافه عن مساره امكنها التفوق عليه ومهاجمته عن قرب واصابته .

علما بأن الخصائص الأصلية تجزم بقدرة وكفاءة الصاروخ ستيكس على الصاروخ جبريل .

اما اذا اضيف بعض اجهزة الكترونية للتداخل والشوشرة والقدرة على انحراف الصاروخ ستيكس اثناء طيرانه بحث يصل الى غير الهدف المقصود ، عندئذ تختلف النتيجة التى توصلنا اليها .

وجاء التطبيق الاسرائيلى فى المواجهات التى تحسب بين زوارقها سعر والزوارق العربية كومر فى كل من طرطوس ودمياط وابى قير على الوجه التالى :

يتعرض التشكيل البحرى الاسرائيلى الى زوارقنا ـــ تبادر زوارقنا فى اطلاق صواريخها على الزوارق الاسرائيلية ـــ تبدأ الأجهزة الالكترونية فى التداخل وتعمل على انحراف الصواريخ ستيكس عن مسارها وتسقط فى

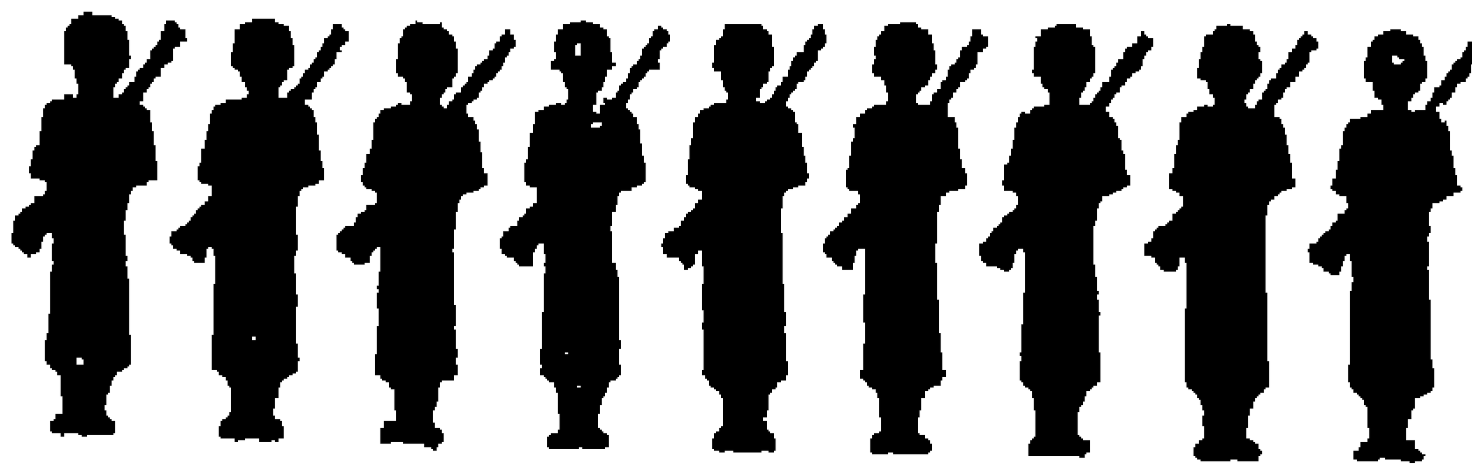
المياه . تقترب الزوارق الاسرائيلية الى حدود الـ ٢٠ كيلو مترا وهو مدى صواريخها جبريل وتطلق كمية كبيرة منها على اهدافها وهى مطمئنة على حصولها على اصابات اكيدة . وهكذا امكن بحفنة صغيرة من الأجهزة الألكترونية ان تغير ميزان القوى بين الصاروخين .

وفى تقديرى ان الباحثين الأمريكيين بالتعاون مع الاسرائيليين تمكنوا بعد دراسة علمية مركزة من الحصول على الفعل المضاد للصاروخ ستيكس ، بعد ان فوجئوا بتأثيره المدمر فى عملية غرق اكبر مدمرة اسرائيلية « ايلات » فى ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ وأوجدوا الأسلوب الذى يتدخل فى دقة الاصابة باضافة بعض الأجهزة الألكترونية المضادة للصاروخ ستيكس فى زوارقهم المسلحة بالصاروخ جبريل .

كما أثبتت معارك اكتوبر البحرية أن العناصر التى توفر الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى البحرى ضرورة حتمية للعمليات البحرية الناجحة ، وبدونها تقل قدرات قواتنا البحرية ، بل تجعلها مقيدة بأساليب الدفاع دائما ، وتحتاج الى بقاء التشكيلات فى درجة عالية من الاستعداد طوال الوقت ، خوفا من المفاجآت التى تحدث من العدو ، طالما ان وسائلنا الاستطلاعية التى تعطينا الانذار المبكر معدومة . وحرمان تشكيلاتنا البحرية من عنصر الاستطلاع عموما يجعلها تقاتل فى ظلام ومن ثم تتعرض لأخطار جسيمة .

الفصل
العاشر

القوات الجوية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣



طرأ على القوات الجوية منذ معركة يونيو ١٩٦٧ عديد من التطورات والتحديث فى كل مجالاتها بعد ان خسرت ٨٥٪ من طائراتها وهى جاثمة على الأرض . ولذا احتفظت القوات الجوية بمعظم طياريها سالمين . وكانوا هم الأساس الذى بنى عليه اعادة تنظيم وانشاء تشكيلات مقاتلة جوية جديدة . كما عين قيادة جديدة للقوات الجوية وانفصلت عنها قوات الدفاع الجوى مكونة القوة الرابعة الرئيسية للقوات المسلحة .

وكانت الدروس المستفادة من معركة يونيو ١٩٦٧ بالنسبة للقوات الجوية هى دروس موضوعات البرنامج العملى لخطة تطوير واعادة تنظيم القوات الجوية اعوام ٦٨ ٦٩ ، ١٩٧٠ وهى :

١ ــ توفر الطيار المقاتل الكفء بالعدد الكافى طبقا للقواعد المتعارف عليها بحيث يتوفر ٣ طيار لكل ٢ طائرة .
٢ ــ توفر الطائرات المتطورة والحديثة بمختلف انواعها للوفاء بمطالب خطة العمليات .
٣ ــ توفر القواعد الجوية والمطارات بمختلف مستوياتها واستعدادها الميدانى والادارى والفنى بما فى ذلك المطارات التبادلية والهيكلية .
٤ ــ رفع كفاءة وسائل الانذار والتوجيه ودرجة الاستعداد القتالى الجوى .
٥ ــ تأمين الطائرات الرابضة على الأرض ومعداتها بحمايتها داخل الدشم والملاجىء الخرسانية .
٦ ــ تطوير أساليب التدريب كى تحقق افضل نتائج فى اسرع وقت .
٧ ــ الالتزام بالانضباط الجوى وممارسته وتطبيقه بكل حزم .
٨ ــ توفر الاستطلاع الجوى الاستراتيجى والتعبوى وتنظيم وسائله ورفع مستواه .
٩ ــ ممارسة عملية لأسلوب التعاون الجوى مع التشكيلات البرية والبحرية والدفاع الجوى ورفع مستواه .
١٠ــ تنفيذ الصيانة اليومية والدورية والاصلاحات والعمرة فى القاعدة وحتى مستوى الورش الرئيسية ومتابعتها .

كما تم وضع خطط تفصيلية وبرنامج عمل يومى لكل هذه الموضوعات تحت اشراف ومتابعة قيادة القوات الجوية ، والتى عززت بمجموعة فنية من المستشارين والخبراء والسوفيت للمساعدة والمتابعة فى انجاز هذه الموضوعات .

كان نمو وتطور القوات الجوية هو محور العمل الرئيسى للقيادة السياسية والقيادة العامة للقوات المسلحة وكافة اجهزتها . اذ ان نمو وتطور القوات الجوية فى مصر خاصة بعد الخسارة التى لحقتها فى يونيو ١٩٦٧ ، أصبح هذا العامل المحدد لتوقيتات الحركة الايجابية للقيادة العسكرية لتحقيق هدفها النهائى وهو تحرير الأرض المغتصبة فى أقرب وقت .

ولما كان البند الأول من موضوعات البرنامج العملى وهو توفر الطيار الكفء بالعدد الكافى هو عنق الزجاجة بالنسبة لنمو القوات الجوية واستعدادها للقتال فسوف اوضحه بالتفصيل .

أولا ــ الطيارون

كانت العقبة الأولى فى صلاحية الطيار المقاتل هى مستوى اللياقة الطبية . فقد كانت نسبة الصلاحية فى طيارى المقاتلات تتراوح بين ١ ــ ٢٪ من المتقدمين للالتحاق بالكلية الجوية من خريجى الثانوية العامة ، بالرغم من ملاحظة المجلس الطبى الجوى من ارتفاع هذه النسبة كثيرا للمتقدمين للتخصصات الفنية الأخرى من خريجى الاعدادية بما يعنى انحدار هذا المستوى الطبى فيما بين الاعدادية والثانوية العامة . وعلى ذلك تقرر انشاء مدرسة ثانوية جوية تتولى تأهيل ورعاية خريجى الاعدادية علميا وصحيا وعسكريا بالاضافة الى اساسيات الطيران نفسه تحت اشراف وزارة التربية والتعليم والقوات الجوية .

وقد كانت الحصيلة مثمرة حيث احتفظ خريجو هذه المدرسة بمستوى لياقتهم الطبية بنسبة اكثر من ٩٥٪ من الملتحقين بها ، وبذا امكن للكلية الجوية ان تحصل على كفايتها من الطلبة اللائقين طبيا .

توسيع طاقة الكليات الجوية :

كانت العقبة الثانية هى ضعف طاقة الكلية الجوية لاعداد الطيارين بالوفرة المطلوبة فى اقل وقت ممكن خاصة بالنسبة لتخصص الطيارين فى مرحلة الاعداد الأخيرة . فقررت فتح افرع متعددة للكلية الجوية فى أماكن متفرقة فى الجمهورية لاتمام اعداد مرحلة التخصص فى مرسى مطروح والبرجات ــ دراو ــ امبابة ــ الدخيلة ، بالاضافة الى الكلية الأم فى بلبيس وبذا امكن تخريج تخصصات الطيران فى توقيت واحد .

لكن كان تدبير معلمى الطيران لهذه التخصصات المتعددة امرا صعبا . ولم يكن متيسرا سحب الطيارين الممتازين من الأسراب المقاتلة وحرمان الطيارين الجدد فى الأسراب فى خبرتهم . وكانت المواجهة مع العدو الجوى تسلتزم وجودهم داخل تشكيلاتهم الجوية التى كانت تواجه العدو الجوى . وقد امكن

بفضل الجهود السياسية للرئيس عبد الناصر مع الاتحاد السوفيتى ان يذلل هذه الصعوبة ، وألحق على الكلية الجوية وفروعها المعلمين السوفيت الاكفاء لاعداد التخصصات المتعددة فى الطيارين ، بالاضافة الى قبوله اعداداً وفيرة من الطيارين الأصاغر لاعدادهم فى طلعاته الجوية ومراكز تدريبه ، وبذا توفر لدينا مصدران متوازيان لتعليم تخصصات القتال الجوى .

المراقبون والموجهون الجويون

كانت العقبة الثالثة تتمثل فى تدبير الأفراد المراقبين والموجهين الجويين وهو تخصص جيوى لتوجيه طيارى القتال فى عملياتهم الجوية . ويحتاج هذا التخصص الى فترة لاكتساب الخبرة القتالية ، وقد امكن التغلب على ذلك بتكليف الطيارين القدامى غير اللائقين طبيا للطيران القيام بهذا الواجب ، اذ انهم اعلم بأسلوب توجيه زملائهم الطيارين فى الجو فى عملياتهم القتالية .

اعادة تصنيف الطيارين

اتخذت قيادة القوات الجوية اجراءات اخرى لتشجيع الطيارين ورفع معنوياتهم بعد اعادة تصنيفهم طبقا للمهارة . كما اعيد تقييم ساعات طيران الطيارين طبقا لنوعياتهم وذلك باضافة ساعات الطيران المسجلة تدرجا من طيارى المقاتلات ، ثم القاذفات ، ثم النقل والمواصلات . وكان ذلك الاجراء هو الأول من نوعه فى قواتنا الجوية يقابله حوافز مادية ومعنوية تقررت بتعليمات من وزير الحربية لتشجيع الطيارين كل فى تخصصه ، كما تقررت حوافز مادية مقابل طلعات عمليات داخل سيناء مثيلة لحوافز عمليات عبور القوات الأرضية .

الفنيون

لم يكن لهذا العنصر وجود قبل عام ١٩٦٧ حيث كان يشغل بعناصر المهنيين الذين ترقوا الى رتب الضباط ، وتم انشاء كلية فنية ــ المعهد الفنى لتأهيل الضباط الفنيين ــ والذين توازوا فى مكانتهم الادبية والمادية مع الضباط خريجى الكليات العسكرية وبذا تحقق العنصر الفنى القيادى على مستوى تشكيلات القتال فى جميع افرع القوات المسلحة .

ثانيا ــ توفير الطائرات المتطورة

هو المحور الرئيسى لجهود القيادة السياسية والعسكرية منذ عام ١٩٦٧ ، كما كان يحتل الصدارة فى جدول مباحثات الرئيس عبد الناصر مع القيادة السياسية السوفيتية فى موسكو والقاهرة ــ صدر قرار انشاء المجموعة الفنية للطيران برئاسة لواء مهندس طيار أحمد نوح سكرتير عام وزارة الحربية لدراسة تطوير الطائرات السوفيتية محليا ، ومتابعة الجهود السوفيتية فى هذا المجال بالاتحاد السوفيتى .

وفى هذا المجال فان الجانب السوفيتى لم يبخل بامدادنا بأحدث منتجاته العسكرية خاصة فى الطيران والدفاع الجوى قبل ان يوفروها لبعض دول حلف وارسو ، مثل محرك الطائرة الميج ٢١ المعدل ر

٥١١ . وقد تمكن الاتحاد السوفيتي من للمواءمة بين الحفاظ على سرية اسلحته المتطورة وحاجتنا المسلّحة فى استخدامها ، وعرض علينا تمركز عدد من طائراته المتطورة التى لم يحن اوان دفعها خارج الاتحاد السوفيتي وهى طائرات الميج ٢٥ المقاتلة الاعتراضية ، والمحققة للاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى فى احد المطارات المصرية بطواقمها من الطيارين والفنيين السوفيت ، على ان تحقق مطالبنا فى العمليات وخاصة فى مهام الاستطلاع ، واستكمل الاتحاد السوفيتي بهذا النوع من المساعدات الجوية حلقة المعلومات الاستراتيجية والتعبوية على مسرح عملياتنا فى سيناء والبحر الأبيض والبحر الأحمر بامدادنا بصور القمر الصناعى السوفيتي ، والتى تعمل فى مدارات الشرق الأوسط . بالاضافة الى قيام طائرات ت ى ١٥ الاستطلاعية بنفس هذا الواجب من قواعدها فى مرسى مطروح واسوان ، وامدادنا بنتائج طلعاتها المستمرة فوق منطقة العمليات . مع مشاركة الطيارين المصريين فى هذا الواجب مع الأطقم السوفيتية بهدف تدريبهم على هذا النوع من الطائرات الاستطلاعية ، والتى يتوفر بها نظام الانذار المبكر ، تمهيدا لانفراد المصريين باستخدامها بعد حين . وبهذه الحصيلة من وسائل الاستطلاع المختلفة توفرت لدى قواتنا المسلحة كل المعلومات الاستراتيجية والتعبوية عن مسرح عملياتنا .

وفى الطائرات المقاتلة

يلزم الايضاح اولا ان الطائرات السوفيتية مصممة اساسا لمسرح العمليات الأوربى وطبقا لأهداف عملياتها القتالية . وهو ينحصر فى الدفاع الجوى للمرمى القريب من الاتحاد السوفيتي وحلفائه المحيطين فى حلف وارسو . والقصف الجوى للمرمى المتوسط يعتمد اساسا على صواريخه النووية المتوسطة المدى وعلى ضوء ذلك تحددت خصائص طائراته المقاتلة والمقاتلة القاذفة فى هذه المجالات . فلم يكن فى حاجة الى طائرات تتلاءم مع ميادين العمليات خارج النطاق الأوربى ، سواء فى الشرق الأوسط أو جنوب شرق اسيا ، والدول الأفريقية ، والتى كان امدادها بالأسلحة حكرا على الدول الغربية الاستعمارية السابقة وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك .
ولم يبدأ الاتحاد السوفيتي تعديل سياسة تصنيع أسلحته الا متأخرا بعد ان تحصل على الخبرة الميدانية فى فيتنام ثم الشرق الأوسط .

وعلى ضوء ذلك فان الطائرات المقاتلة والمقاتلة القاذفة السوفيتية تعتبر قصيرة المدى قليلة التسليح وهو ما يتلاءم مع العمل فى المجال الأوربى فقط . كما لم تتضمن بالتعبية المساعدات الملاحية الضرورية للمدى الأطول . وذلك بخلاف طائرات الدول الغربية والأمريكية والتى تعمل خارج الميدان الأوربى ، فانها تتصف ببعد المدى وزيادة التسليح وتوفر المساعدات الملاحية اللازمة لذلك .

ورغبة فى تقديم المساعدات المطلوبة لمسرح عمليات الشرق الأوسط وتحت ضغط الرئيس عبد الناصر ، بدأ الاتحاد السوفيتي والمجموعة المصرية الفنية للطيران بعد عام ١٩٦٧ فى محاولات مضنية لتطوير الطائرات الميج ٢١ ، السوخوى ٧ كى تتلاءم مع ظروف عمليات مسرح سيناء . فى نفس الوقت الذى قرر فيه الاتحاد السوفيتي . تصنيع طائرة جديدة تتميز بالمواصفات المطلوبة لمسرح عملياتنا ، بعد ان

تحصّل على خبرة ميادين فيتنام والشرق الأوسط ولكن هذا التصنيع يأخذ وقتا ، وبذا كان تطوير الموجود من الطائرات هو البديل الأسرع لتغطية الموقف العاجل المطلوب لمصر ، علما بأن تطوير المعدات القائمة أصعب وأعقد بكثير من التصميم الجديد لطائرة جديدة .

وقد تكلفت جهود الأطراف السياسية والعسكرية والفنية فى كل من الاتحاد السوفيتى ومصر بعد توفير خبراتهم السابقة عن مطالب ميادين القتال . وفى حدود طاقة تصميم الطائرات الأصلية ، وافق الجانب السوفيتى على هذه التعديلات فى زيادة مدى الطيران ، وزيادة التسليح للطائرات السوفيتية المقاتلة والمقاتلة القاذفة الميج ٢١ والسوخوى ٧ .

وكانت نتيجة هذا التطوير ان تضاعف مدى وتسليح كل من الطائرتين . كما مكن الأولى الميج ٢١ المعدلة من الوصول الى عمق اسرائيل مع توفر الحماية الجوية الذاتية والهبوط بعد اداء مهمتها فى المطـارات السورية . او الوصول الى العمق التعبوى فى النقب الاسرائيلى والعودة بعد اداء مهمتها الى المطارات المصرية آمنة . وانتهت النقيصة التى ترسبت فى اذهاننا عن قدرة الميج ٢١ بعدم قدرتها على الوصول الى عمق اسرائيل ، وتساوت من ناحية المدى بقدرة الطائرات المقاتلة القاذفة الغربية التى تتمتع اصلا بمدى عمل كبير . وعندما انتهى الاتحاد السوفيتى من انتاج الميج ٢٣ ذات المدى الطويل ومساعدات ملاحية حديثة . كانت سوريا ثم مصر اول الدول خارج الاتحاد السوفيتى التى تستخدمها وكانت الموافقة على توريدها قد تمت قبل وفاة الرئيس عبد الناصر .

وفى مجال تطوير تصنيع الطائرات المقاتلة القاذفة التى تلائم قدراتها ظروف مسارح عمليات الشرق الأوسط فقد تجاوز الاتحاد السوفيتى مرحلة التأخير فى تصنيع الطائرات الملائمة ونجح فى انتاج طائرات الميج ٢٥ ، ٢٧ واخيرا الميج ٢٩ ، ٣١ كما تم تطوير التصنيع بالنسبة للطائرة السوخوى ايضا حتى وصل الى سوخو ٢٧ . وبذا اصبحت المساواة قائمة بين قدرات الطائرات المقاتلة القاذفة السوفيتية ومثيلتها الغربية والأمريكية من وجهة نظر الدول الصديقة التى تستخدم هذه الطائرات فى مسرح عمليات الشرق الأوسط .

وللأسف الشديد فان مصر لم تتمتع بتطوير هذه الطائرات السوفيتية بعد استلامها لآخر صفقة من طائرات الميج ٢٣ فى يناير ١٩٧٥ بسبب تغيير سياستها واعتمادها على معونات الولايات المتحدة الأمريكية التى توفر التسليح المحدود لقواتنا المسلحة .

وقد اثبت التاريخ مصداقية الاتحاد السوفيتى بالنسبة للطائرة الميج ٢٥م ٥٠٠ حيث تفوقت على اى طائرة غربية أو امريكية بعد انتاجها مباشرة حيث فشلت جميع المحاولات التى قامت بها الطائرات الاسرائيلية والطائرات الأمريكية التابعة للأسطول السادس الأمريكى ملاحقة الطائرة الميج ٢٥ اثناء قيامها بمهامها الاستطلاعية فوق سيناء واسرائيل وشرق البحر الأبيض المتوسط . ولم يتمكن خبراء امريكا من معرفة سر هذه الطائرة حتى بعد انتاجهم للطائرة اف ١٥ المقاتلة ، الا بعد ان قام احد الخونه بتهريب

طائرة ميج ٢٥ الى اليابان والتى تلكأت فى اعادة الطائرة الى السوفيت حتى تصل مجموعة العمل الفنية الأمريكية لفحصها .

وفى القاذفات الصاروخية

سبق ان امدنا الاتحاد السوفيتى بطائرات قاذفة تى يو ١٦ بصواريخ جو/أرض قبل عام ١٩٦٧ . وتحت ضغط الرئيس عبد الناصر للحصول على طائرة قاذفة تصل الى عمق اسرائيل وافق الاتحاد السوفيتى على امدادنا بطائرة مثيلة متطورة يمكنها قصف صواريخها وهى على بعد ١٥٠ ـــ ٢٠٠ كم من اهدافها . وتم تخصيص ١٠ طائرات من هذا النوع تبقى متمركزة فى الاتحاد السوفيتى لحين طلبها فى ظرف ٦ ساعات من انذارها . وحرص الاتحاد السوفيتى على بقائها فى قواعدها فى الاتحاد السوفيتى لحين استخدامها الفعلى فى العمليات المنتظرة تحرزا لرد فعل الجانب الأمريكى الاسرائيلى بالامداد الفورى للصاروخ « لانس » ارض/ارض طويل المدى . مقابل امدادنا بالقاذفات الصاروخية . وقد تم فعلا تجهيز متطلبات هذه الطائرات من معدات فنية أهمها الرأس المدمرة للصواريخ والذخيرة وقطع الغيار الخ فى مخازن وملاجىء خرسانية فى مطار اسوان ـــ القاعدة الجوية التى تخصصت لاستقبال القاذفات الصاروخية ـــ كما اعدت قاعدة جوية تبادلية بها فى وادى سيدنا بالسودان حتى يمكن ان تعمل القاذفات مباشرة بعد وصولها من الاتحاد السوفيتى .

وبذا يمكن للاتحاد السوفيتى توفير كل انواع الطائرات المختلفة والمتطورة لقواتنا الجوية .

ثالثا ـــ توفير الأمن الجوى والأرضى

١ ـــ التأمين الجوى ـــ تمثل فى انشاء المطارات والقواعد الجوية واراضى النزول وانتشارها على النطاق الجغرافى للجمهورية ، بالاضافة الى استخدام مطارات دول الدعم العربى . ان انشاء هذه الشبكة من المطارات وزيادة عددها من تسعة مطارات فى يونيو ١٩٦٧ الى ثلاثين مطارا وقاعدة جوية داخل الجمهورية حتى عام ١٩٧٠ ، بالاضافة الى مطار وادى سيدنا فى السودان ، مع استخدام المطارات السورية والسودانية والليبية ، وبذا توفر للقوات الجوية عنصر الانتشار فى اعماق تعبوية واستراتيجية فى عملياتها الجوية المختلفة ، ولجميع انواع الطائرات . وكان توفير استخدام المطارات السورية ضمانا لعمليات طائراتنا المقاتلة القاذفة للوصول الى عمق اسرائيل بعد تطويرها .

٢ ـــ التأمين الأرضى

بعد اضافة عنصر مهندسى التحصينات العسكرية بعد عام ١٩٦٧ داخل الهيكل التنظيمى للقوات الجوية امكن تصميم وانشاء الدشم الخرسانية لايواء الطائرات ومعداتها وقطع غيارها وتأمينها فى القصف الجوى المعادى كما حدث فى يونيو ١٩٦٧ . ان الانشاءات الهندسية لتحصينات القوات الجوية والممرات التبادلية فى جميع المطارات والقواعد الجوية تفوق فى حجمها انشاءات السد العالى. وكان لهذه التحصينات الفضل فى عدم اصابة أى طائرة داخل الدشم فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وان العدو الجوى

فوجىء بعدد الممرات التى انشئت فى اغلب المطارات .

وكان بعد النظر فى تخطيط واعداد المطارات الكثيرة وتحصيناتها اثره فى استقبال الدعم السوفيتى للقوات الجوية ، كذا لاستقبال الدعم العربى الذى وصل الى مصر فى حدود ٥ ــ ٦ اسراب مقاتلة قاذفة قبل حرب اكتوبر وخلالها .

رفع كفاءة وسائل الانذار والاستعداد القتالى

كانت الثغرة فى وسائلنا الانذارية تتمثل فى امكانية الطيران المعادى المنخفض جدا من اختراق دفاعاتنا دون الانذار ولم تكن هناك وسيلة انذار تكنولوجية متاحة فى العالم سوى اسلوب المراقبة بالنظر وقد استخدمته بريطانيا بكفاءة فى الحرب العالمية الثانية واهتمت القيادة العسكرية بعد عام ١٩٦٧ وتمكنت فى نشر نقط المراقبة بالنظر على طول السواحل المصرية الشرقية والشمالية لتوفير الانذار الميكر للطائرات المعادية التى تقترب على ارتفاع منخفض جدا .

وكانت وقائع معركة يونيو ١٩٦٧ حافزا للباحثين فى الدول الشرقية والغربية لابتكار الوسيلة المثلى العلمية والفنية اللازمة وقد امكنها ذلك بواسطة الرادارات المحمولة جوا بطائرات ى ٣ ، ى ٢ س الأمريكية والطائرات الـ ٧٦ السوفيتية .

اما الاستعداد القتالى فقد تمت ممارسته العملية من خلال المواجهات الجوية والاشتبكات مع العدو خلال حرب الاستنزاف فكانت مدرسة نستكمل من خلالها خبرات الاستعداد القتالى والعمل على رفع مستواه ، إلا ان الظروف السابقة لعمليات قواتنا الجوية كانت تتم امام انعدام جوى مضاد مثل العمليات الجوية التى تمت فى مسرح اليمن .

كان تشجيع طيارينا على مستوى فردى ثم تشكيلات اسرابنا المقاتلة القاذفة على الاختراق ومواجهة العدو الجوى فى سيناء والاشتباك الفعلى معه فى عمليات تحدٍّ عنيفة اكسبت طيارينا وموجهينا وقيادتنا الجوية خبرة هذه الاشتباكات مع تحمل خسائرها . وان تكرار هذه الاشتباكات بواسطة اسرابنا المقاتلة ضد استعداد عال جدا من القوات الجوية المعادية ، كان له الفضل الأكبر فى رفع مستوى الاستعداد القتالى لدى جميع الطيارين . كما كانت فرصة عملية لقادة الاسراب لاعطاء الفرصة للطيارين الأصاغر للاستراك مع زملائهم الأقدم داخل تشكيل جوى مقاتل . وتحولت الاشتباكات الجوية المعادية الى مدرسة عملية لاكتساب خبرة القتال الجوى والاستعداد القتالى لجميع الطيارين ، والتى وصلت فى معظم الغارات الى عمق اكثر من ١٠٠ كم داخل سيناء وبحجم من الطائرات كبير .

كما برزت خلال هذه الاشتباكات الجوية فائدة اخرى هى معرفة التكتيكات الجوية المناسبة لكل نوع من انواع الطائرات لتحديد الأسلوب الأمثل لهذه العمليات . وقد تحمل الاتحاد السوفيتى بعض الخسائر فى ارواح طياريه السوفيت فى هذا المضمار ، وهذا يدل على ان الخبرة الحقيقية لاتكسب بالدراسة النظرية بل بالتطبيق العملى وتحمل الخسائر .

استفاد الاتحاد السوفيتي من استخدام اسلحته ومعداته فى مسرح عمليات الشرق الأوسط لأغراض التطوير فى السلاح أو التطوير فى اسلوب استخدامه فى الوقت الذى اعطانا خبرة مسرح عمليات فيتنام وتم تركيب مدفع رشاش زيادة فى تسليح الميج ٢١ التى كان تسليحها قاصرا على الصواريخ جو / جو فقط .

والخبرة التى عادت على قيادة القوات الجوية بصفة خاصة توضحت خلال الطلعات الجوية اليومية من مطاراتنا الأمامية ودرجة استعداد طيران العدو العالية عندما يقلع التشكيل الجوى من مطاراته الأمامية فى المليز وتمادا عقب صدور امر الاقلاع لطائراتنا من قواعدها مباشرة ، ويتمكن العدو من إعداد كمين جوى لطائراتنا فى المكان الذى تقصد قصفه فى العمق التعبوى فى سيناء . واعتاد العدو ان يخصص أحسن طياريه المقاتلين فى الكمائن الجوية . وكانت دقة التوقيتات فى اعداد هذه الكمائن وماترتب عليها من اصابات فى طائراتنا جعلت قياداتنا الجوية تشكك فى قدرتها على سرية اقلاع طائراتنا ، او ان العدو تمكن من التدخل على مواصلاتنا الخطية واللاسكلية ولم نتمكن من معرفة الحقيقة الا متأخرا عندما إكتشفنا موقع العدو فى رأس الجندى وام خشبب (٢٠٠٠ قدم) وام مرجم على مرتفعات المضايق الجبلية ، وهى مواقع تبادلية للسيطرة الجوية وبها من اجهزة الانذار الرادارية القادرة على التقاط اهدافها على مسافات كبيرة ، وان كل مطاراتنا الأمامية سواء من ناحية بعدها أو ارتفاعها عن سطح البحر نتيجة لهذه الأجهزة من إكتشاف كل تحركاتها الجوية فى المنطقة .

وتوصلت قيادة قواتنا الجوية الى أسلوب المناورة والخداع باقلاع تشكيل جوى ليكون هدفا خداعيا لهذه الأجهزة بينما يقلع التشكيل الحقيقى القاذف للأهداف بعد ان يكون الكمين الجوى للعدو قد استغرق فى طيرانه وقتا لايسمح له بالاستمرار فى الطيران فينقض التشكيل الجوى الحقيقى على اهدافه ويعود سالما .

خامسا ـــ الانضباط الجوى

ان تمسك القيادة العامة للقوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ بوحدة القيادة والتعاون الوثيق مع باقى افرع القوات المسلحة تحت قيادتها من اجل تحرير الأرض المغتصبة فى اقرب وقت فى ظل انضباط عسكرى يضم جميع افراد القوات المسلحة كوحدة مقاتلة واحدة .

وعلى ضوء ذلك برز الانضباط الجوى كأحد المقومات الأساسية فى قياس الكفاءة القتالية لتشكيلاتنا الجوية .

وكان التزام قيادات القوات المسلحة بأهم الصفات القيادية والخلقية وهى القدوة الحسنة ، مع تطبيق الحقائق التاريخية التى لايختلف عليها أحد مثل : « النصر فى المعركة لايتحقق بجهد سلاح واحد» وأن الخبرة الفردية وحدها لاتكسب معركة وان التضحية بالنفس من اجل تحقيق الهدف هو شرف للمقاتل ـــ والثقة بالنفس ـــ الثقة فى السلاح ـــ الثقة فى القائد وكلها اتجاهات حددت طريق العمل اليومى لأفراد القوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ . كما حددت الأسلوب الوحيد لكسب معركة تحرير

الأرض وهو ان تعمل القوات المسلحة وافرعها وتشكيلاتها فى عمليات مشتركة متعاونة تعاونا وثيقا تضم جميع اسلحة القوات المسلحة .

وعندما توضحت هذه الأهداف لجميع افراد القوات زالت الفردية والأنانية على مستوى الأفراد ، كما زالت الانفصالية على مستوى الأفرع والتشكيلات ، وحل الانضباط العسكرى فى ظل تعاون وثيق بين جميع أسلحة وتشكيلات القوات المسلحة ، كما برز الانضباط الجوى كصفة متميزة لجيل الطيارين والموجهين والفنيين والعاملين فى قواتنا الجوية .

وكان الافصاح عن الأسباب الحقيقية لحوادث الطيران سمة من سمات عصر ما بعد الهزيمة لأهمية الاستفادة من الأخطاء التى سببت الحادث لعدم تكرارها بين الطيارين ، وفى نفس الوقت لم تبخل القيادة العامة أو قيادة القوات الجوية من أجل الحفاظ على المستوى المادى لعائلات المتوفين من حوادث الطيران مهما كان السبب ورفعا للروح المعنوية للطيارين وذلك باقرار معاشات استثنائية متلازمة مع نتائج هذه التحقيقات . وقد اثمر هذا الأسلوب التزام الجميع بايضاح اسباب الحوادث الفعلية لامكان تلافيها بما يحفظ ارواح طيارينا .

سادسا ــ القدرة القتالية

حتى اواخر عام ١٩٦٩ لم تتمكن القوات الجوية من اعداد طياريها المقاتلين طبقا لمطالب خطة عمليات تحرير الأرض الشاملة التى كان من المزمع خوضها فى أواخر ١٩٧٠ أو اوائل ١٩٧١ بدرجة من التفوق الجوى تسمح بحصولنا على تفوق جوى ولو محلى فى مسرح عمليات قناة السويس / سيناء . ولما كان عدد وكفاءة الطيارين المقاتلين هو عصب معركة تحرير الأرض فقد قام الاتحاد السوفيتى استجابة لطلب الرئيس عبد الناصر فى ٢٢ يناير ١٩٧٠ باستكمال الاعداد المطلوبة بطيارين مقاتلين سوفيت يتولون مشاركة طيارينا فى الدفاع الجوى عن العمق بعيداً عن جبهة القتال . الأمر الذى اخلى طيارينا المقاتلين للتفرغ الى العمليات الهجومية المتوقعة . وفعلا تم امدادنا بحوالى ١٢٠ طيارا مقاتلا سوفيتيا لسد العجز فى اعداد طيارينا ، وهو نفس الأسلوب الذى اتبعته القيادة العسكرية فى محاولة تدبير عدد ٣٠ طيارا مقاتلا من كوريا الشمالية قبل معارك اكتوبر ١٩٧٣ .

وكان الرئيس عبد الناصر قد تمكن فى اغسطس ١٩٦٩ من توقيع اتفاقية ثنائية بين مصر وسوريا بهدف توحيد جهود عمليات القوات الجوية لكلتا الدولتين بحيث تغطى عملياتها المسرح الجوى مصر وسوريا واسرائيل بينهما وذلك بتوحيد القيادة الجوية للعمل المشترك الجوى ضد اسرائيل تحت قيادة وسيطرة القائد العام للقوات المسلحة المصرية .

وبعد الانتهاء من اضافة التعديلات الجوهرية على طائرات الميج ٢١ المعدلة . امكن من الناحية العملية تخطيط عملياتها ضد اهداف فى العمق الاسرائيلى والهبوط بعد ذلك فى المطارات السورية وذلك للاستفادة بالحمولة القصوى من القنابل التى امكن تحميلها فى الطائرة الميج ٢١ بعد تعديلها . وكانت

التجربة العملية بين مطار غرب القاهرة واسوان هى المقياس لاختبار قدرة الطائرة الميج ٢١ بعد تعديلها .

على ضوء هذه الجهود السابقة تم اعداد قواتنا الجوية لبدء عملياتها الحربية متعاونة مع باقى افرع القوات المسلحة ، مع امكان احراز التفوق الجوى المحلى فوق مسرح عمليات جبهة قناة السويس ــ سيناء فضلا عن امكانية التغطية الجوية لقواتنا البرية بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى اثناء تقدم العمليات الهجومية لقوات الجيشين الثانى والثالث حتى العمق التعبوى فى سيناء .

ولقد قام الرئيس عبد الناصر شخصيا بالتأكد من صحة هذه الحقيقة باعتراف قادة اللواءات الجوية بحضورى وقائد القوات الجوية وقائد الدفاع الجوى ورؤساء هيئات القوات المسلحة عن تمام استعداد التشكيلات الجوية التى ستكلف بالأعمال القتالية فى معركة تحرير الأرض . وقرر جميع القادة بامكانية حصول القوات الجوية بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى على التفوق الجوى المحلى فى مسرح العمليات بعد إتمام التعديلات الفنية على قدرة طائراتنا المقاتلة القاذفة تم ذلك فى اخر لقاء مع قادة الطيران فى شهر اغسطس ١٩٧٠ فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة فى مدينة نصر .

بعد هذا اللقاء مباشرة اصدر الرئيس عبد الناصر قراره المصيرى بضرورة استعداد القوات المسلحة لخوض معركة حرب التحرير الشاملة طالما ان قواتنا الجوية بعد تطويرها وتحديثها قد تمكنت من الحصول على التفوق الجوى المحلى فوق مسرح العمليات المنتظر .

وكان الشق الثانى لقدرات قواتنا الجوية هو عدد ونوعية الطائرات .
حتى اوائل ١٩٧١ كانت قدرة قواتنا الجوية قد وصلت الى نسبة تفوق على اسرائيل باضافة الدعم السوفيتى الجديد بالطيارين والطائرات السوفيتية التى قامت بمهامها القتالية فى ابريل ١٩٧٠ .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد اعتمدت على التفوق الاسرائيلى منذ يونيو ١٩٦٧ ولكنها اكتشفت بعد دعم السوفيت لنا فى صفقة عام ١٩٧٠ ان التوازن بدأ يختل خاصة بعد استثمار الجهود المصرية والسوفيتية ضد الطيران الاسرائيلى فى معارك الصواريخ سام فى يونيو ويوليو عام ١٩٧٠ . فعملت الولايات المتحدة اعتبارا من اغسطس ١٩٧٠ على اعادة التفوق مرة اخرى الى اسرائيل . وكانت هذه المعلومة بداية لاهتمام ودراسة الرئيس عبد الناصر ، وقدر ان اسرائيل يمكنها الوصول الى معدل تفوق يزيد عن قدراتنا فى أواخر عام ١٩٧٢ ومن هنا كانت هذه الدراسة التقديرية إساسية لاقراره ضرورة الاستعداد لبدء معركة تحرير الأرض ليس متأخرا عن ربيع عام ١٩٧١ .

ومما أكد تفوق قدراتنا الجوية بمعاونة قوات الدفاع الجوى هو امداد الاتحاد السوفيتى بوحدات وأجهزة الكترونية تضاف الى امكانيات وحدات الاستطلاع وعناصر التوجيه فى كل من القوات الجوية وقوات الدفاع الجوى . وبذا اكتسب هذا التفوق عنصرا جديدا يزيد من كفاءة وقدرة أجهزة ومعدات وحدات الاستطلاع ونظم الدفاع الجوى ونظام توجيه تشكيلات الجوية وهى فى الجو . كما يمكن لهذه الامكانات الألكترونية منع الشوشرة والاعاقة التى يمكن للعدو ان يقوم بها ضد أجهزتنا، وبهذه الصفقة التى تمت فى

يوليو ١٩٧٠ تمكن الاتحاد السوفيتي من سد الثغرة التكنولوجية التى كان يتميز بها العدو على قواتنا .

وبوصول المعدات والأجهزة الألكترونية الى قواتنا فى يوليو ١٩٧٠ استكملت قواتنا الجوية وقوات الدفاع الجوى ووحدات الاستطلاع قدراتها الفنية لمواجهة التقدم الفنى الذى تتمتع به القوات الجوية الاسرائيلية بالاضافة الى الميزات الأخرى التى اضيفت الى قدرات قواتنا الجوية وقوات الدفاع الجوى التى مكنتها من اجهاض نظم الاعاقة والشوشرة التى قد تقوم بها قوات العدو .

سابعا ـــ حصيلة اعداد قواتنا الجوية

بانتهاء حرب الاستنزاف فى أغسطس ١٩٧٠ كانت قواتنا الجوية قد استكملت مقوماتها القتالية من اعداد طياريها واستكمال طائراتها وتحديثها وتطويرها بالاضافة الى اعداد مسرح العمليات ، وبالتعاون مع قوات الدفاع الجوى امكنها الحصول على التفوق الجوى المحلى فى مسرح عمليات قناة السويس / سيناء وكانت هذه الحصيلة هي التى مكنت الرئيس عبد الناصر من اصدار قراره باستعداد القوات المسلحة لخوض معركة تحرير الأرض الشاملة .

القوات الجوية بعد عام ١٩٧١

استمرت القوات الجوية فى اعدادها لمعركة تحرير الأرض واستكمال بعض نواحى النقص فى معداتها واجهزتها خاصة فى نواحى التوجيه والاستطلاع بعد ان أضيفت الأجهزة الألكترونية اليها اما رفع الكفاءة القتالية للتشكيلات الجوية القاذفة فقد تركز تدريبها على إصابة الأهداف الأرضية باستخدام الصواريخ جو / ارض او القذف بالقنابل .

وكان وقف اطلاق النار فى ١٩٧٠/٨/٨ قد اعطى فرصة اكبر لقيادات القوات الجوية بعد زوال درجة الاستعداد العالى التى كانت ملازمة لقواتنا فى مواجهة العدو ، وتم رفع الكفاءة القتالية للطيارين فى شتى أنواع القتال الجوى خاصة بالنسبة للطيارين الجدد حتى يصلوا على مستوى كفاءة زملائهم القدامى داخل التشكيل الجوى . كما زادت تدريبات التعاون الجوى مع التشكيلات البرية خاصة بالنسبة لاسراب الهليكوبتر واسلوب تعاملها مع الوحدات الخاصة فى الميدان .

تطوير قواتنا الجوية :

استمر الاتحاد السوفيتي فى دعمه لقواتنا الجوية لاستكمال نواحى النقص خاصة بعد وصول معدات صفقة يوليو ١٩٧٠ . وقبل ان اسجل التصورات التى حدثت فى تسليح قواتنا الجوية اعتبارا من منتصف عام ١٩٧١ يجب ان اشير الى البيان الذى القاه المرشال جريشكو وزير الدفاع السوفيتي امام الرئيس السادات والوفد المرافق له فى موسكو فى اكتوبر ١٩٧١ . والذى اكد ان قدرة قواتنا الجوية وسوريا معا تفوق بمقدار ٢ ـــ ١ قدرة اسرائيل على اساس ان المرشال جريشكو كان يعلم بإستعداد قواتنا بالتعاون المشترك فى العمليات الجوية مع سوريا فى عملية تحرير الأرض الشاملة . ثم اضيف بعد هذا البيان التطورات الايجابية و السلبية التى حدثت لقواتنا الجوية خلال الصفقات التالية :

١ — فى اكتوبر ١٩٧١ — صفقة من ١٠ طائرات تى يو ١٦ صاروخية موجهة بعيدة المدى ١٥٠ كم
— ١٠٠ طائرة ميج ٢١ (يسلم نصفها خلال ١٩٧١ والباقى خلال ١٩٧٢)
— ٢٠ طائرة ميج ٢٣ (ومعها طياريها السوفيت لحين تأهيل الطيارين المصريين)
— الموافقة على تمركز اللواءين الجويين السوفيتيين الموجودين فى مصر منذ ابريل ١٩٧٠ على بعد ٢٠ كم غرب قناة السويس وتحديد خط عملياتها الدفاعية ليكون خط طول ٣٢° شرقا
— استمرار الامداد بصور استطلاع القمر الصناعى السوفيتى .
— تصنيع قطع غيار الطائرات الميج ١٧ ، ٢١ سوخوى ٧ وخزانات الوقود الاحتياطية فى مصر .
٢ — فبراير ١٩٧٢ صفقة من ٢٠ طائرة قاذفة تى يو ٢٢ (يصل ١٠ طائرات فى مارس ١٩٧٢ لغرض التدريب والباقى خلال عام ١٩٧٢)
— ٢٥ طائرة ميج ١٧ (هدية دون مقابل) وتسلم فورا
تعديل توقيتات توريد طائرات ميج ٢١ اتفاقية اكتوبر لتكون (٧٠ فى النصف الأول من عام ١٩٧٢ والباقى وعدده ٣٠ طائرة فى النصف الثانى)
٣ — ١٥ مايو ١٩٧٢ صفقة من ١٦ طائرة سوخوى ١٧ (٤ فى يونيو والباقى قبل نهاية عام ١٩٧٢ وهى طائرة تصل مصر لأول مرة) .
٤ — ٧ يوليو ١٩٧٢ — (سلبى) وهو تاريخ الاستغناء عن الجهود والتواجد السوفيتى فى مصر وشمل
— سحب طائرات الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى الميج ٢٥ × ٥٠٠
— سحب طائرات الاستطلاع الاستراتيجى عدد لواءين جويين تى يو ١٦ استطلاعية كانوا متمركزين فى سرسى مطروح واسوان .
— سحب وحدات الاعاقة والشوشره الألكترونية (وحدة التاكان)
— سحب حوالى ١٢٠ طيارا كانوا يقومون بمشاركة قواتنا الجوية فى الدفاع عن العمق فى مصر .
٥ — ١٣ يولية ١٩٧٢ زيارة دكتور عزيز صدقى موسكو عقب قرار السادات الاستغناء عن الوحدات والمستشارين السوفيت صفقة من :
— ١ سرب ميج ٢٣ (يتم توريده فى الربع الثالث من عام ١٩٧٣)
— ١ سرب سوخوى ٢٠) يتم توريده فى الربع الثالث من عام ١٩٧٣)
وهو الدعم الذى وصل مع جروميكو فى يناير ١٩٧٥ لشد ازر السادات فى تعاملة مع الأمريكيين
— ١ لواء صواريخ سطح / سطح س س م مدى ٣٠٠ كم (سكود)
٦ — مهام اضافية للطيارين (سلبى) خلال عام ١٩٧٢ وبالرغم من قلة عدد الطيارين للطائرات المقاتلة القاذفة فان القيادة العامة كانت قد دفعت ببعض الطيارين الأكفاء الى السعودية والكويت وليبيا بهدف التدريب على استخدام طائرات لينتج وميراج تمهيدا لانضمامها الى قواتنا الجوية ولكنها عادت بطائرات الميراج من ليبيا فقط .
٧ — رحلة الفريق أول احمد اسماعيل مارس ١٩٧٣ — استبدال سرب السوخوى ٢٠ بفوج صواريخ

متحركة سام ٦ ــ وصل بحرا الى الاسكندرية ــ استبدال عدد ٥٠ طائرة ميج ٢٣ صواريخ مالوتكا مضادة للدبابات .

ــ وعد بعودة طائرات الاستطلاع التعبوى والاستراتيجى ميج ٢٥ ف ٥٠٠

وصلت ٤ طائرات ميج ٢٥ عبر الجسر الجوى السوفيتى يوم ١٩٧٣/١٠/٩ ومعداتها ومعها ٤٠٠ وموجه وفنى .

ــ وعد بعودة لواء الاستطلاع والاعاقة الألكترونى

٨ ــ فى اوائل اكتوبر ٧٣ وصل لواء قاذفات ثقيلة صاروخية باطقمها السوفيتية الى مصر يوم ٩ أكتوبر ٦ اكتوبر ١٩٧٣ (سلبى) .

٩ ــ بدأ القتال وكان الطيارون المصريون المخصصون للتدريب على طائرات الميج ٢٣ جارى تأهيلهم على هذه الطائرات فى موسكو وعددهم ٢٠ طيارا .

بعد حصر صفقات الطائرات التى تمت فى الفترة من ١٩٧١ حتى ١٩٧٣ مع تقدير السلبيات التى تمت خلالها ومقارنة مادعمت به اسرائيل خلال نفس الفترة نجد ان القوات الجوية لم تتمكن من الحفاظ على معدل التفوق العام على اسرائيل الذى كانت تتمتع به فى عام ١٩٧١ ولكنها احتفظت فى نفس الوقت بالتعاون مع شبكة الدفاع الجوى غرب القناة على تفوق جوى محلى فى منطقة عمليات قناة السويس .

وكان النقص فى عدد الطيارين بسبب بعض السلبيات قد هبط بعدد الطيارين بحيث أصبح ٤ طيار لكل ٥ طائرة مقاتلة قاذفة بينما كان المعدل النسبى فى اسرائيل هو ٣ طيار لكل ٢ طائرة ، الأمر الذى اجبر قيادتنا فى مصر على دعم طيارينا للمقاتلات القاذفة بعدد ٣٠ طيارا مقاتلا من كوريا الشمالية قبل بدء العمليات فى اكتوبر ١٩٧٣ .

تطور قوات اسرائيل

فى نفس هذه التوقيتات تقريبا ــ تمت الصفقات التالية من الولايات المتحدة الأمريكية لاسرائيل وهى :

١ ــ الصفقة الأولى فى اكتوبر ١٩٧١
٢ ــ الصفقة الثانية فى مايو ١٩٧٢
٣ ــ الصفقة الثالثة فى مارس ١٩٧٣

وبيان تفصيلات هذه الصفقات جاء اجمالا فى تقرير لجنة الشئون الداخلية ــ القسم العسكرى بالكونجرس الأمريكى والتى زارت مصر واسرائيل عقب معارك اكتوبر ونشرت تقريرها فى فبراير ١٩٧٤ ذكرت فيه ان الولايات المتحدة الأمريكية دعمت اسرائيل عام ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ بما يوازى ثلث حجم معداتها العسكرية الموجودة لديها عام ١٩٧١ ، وان المعونة العسكرية التى تلقتها اسرائيل عام ١٩٧٢ اكبر مما قدمه الرئيس جونسون لاسرائيل خلال مدة رئاسته كلها ، وكانت معظمها من الطائرات الفانتوم

والاسكاى هوك وصواريخ شريك وتوى وطائرات هليكوبتر ضد الدبابات وأجهزة الكترونية ، وبذا امكن لاسرائيل ان تعيد تفوقها العسكرى على العرب اعتبارا من بداية عام ١٩٧٣ .

اى ان فترة التفوق فى ميزان القوى العسكرية لصالح العرب كانت مقصوره على الفترة من أواخر ١٩٧٠ حتى أواخر ١٩٧٢ فقط وهى الفترة التى قرر الرئيس عبد الناصر انها مناسبة لاتمام معركة تحرير الأرض الشاملة ، واكد ان استعداد القوات المصرية لخوض المعركة لايتجاوز ربيع عام ١٩٧١ .

وبالرغم من التفوق فى ميزان القوى الذى تحصلت عليه اسرائيل بسبب الدعم العسكرى الذى قدمته الولايات المتحدة الأمريكية من خلال صفقات الأسلحة والمعدات الكبيرة المشار اليها عالية فان التفوق الجوى المحلى فى مسرح عمليات قناة السويس ظل فى جانب مصر بفضل شبكة الدفاع الجوى الكثيفة والمتطورة غرب القناة حتى بداية حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

فى حرب اكتوبر ١٩٧٣

لم يستغل القائد العام للقوات المسلحة المصرية القدرات الواقعية للقوات الجوية فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ بسبب حرصه على عدم الزج بها فى معارك جوية غير متكافئة مع العدو منذ بداية العمليات وقد عبر عن هذا الحرص الفريق سعد الدين الشاذلى عندما وضح العقائد الخاطئة على اسلوبنا فى القتال مع العدو الجوى فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ بقوله « وكنا حريصين على عدم الزج بقواتنا الجوية فى معارك جوية غير متكافئة مع العدو وارتكزت عقيدتنا على مبدأين : أولهما تحاشى المجابهة مع العدو فى الوقت والمكان اللذين يختارهما . وثانيا ان تستخدم قواتنا الجوية عندما تشتعل الحرب بتوجيه ضربات مفاجئة فى الأوقات والأماكن التى نستبعد فيها أى تدخل من جانب قوات العدو الجوية » . واعتمد القائد العام لترسيخ هذه العقيدة الخاطئة على اساس ان قواتنا الجوية ضعيفة وان التدمير مؤكد لها فى اى معركة جوية تخوضها مع العدو الجوى وانها لاتستطيع تقديم اى غطاء جوى لقواتنا البرية عند القيام بعملياتها الهجومية عبر اراضى سيناء المكشوفة وخارج نطاق شبكة الدفاع الجوى الكثيفة غرب القناة . كما انها لاتستطيع ان توجه ضربة جوية مركزة ذات تأثير على الأهداف الهامة فى عمق العدو .

ولم تكن هذه العقائد الخاطئة وليدة فكر القائد العام أو رئيس اركانه ، إنما هى استجابة لتحقيق اهداف الرئيس السادات الذى حرص فى توجيهاته السياسية والعسكرية على تحجيم معركتنا مع العدو لتكون محدودة غير شاملة ــ قاصرة فى مواجهتها وفى عمقها ومقيدة بكثير من الاعتبارات السياسية والعسكرية لتحقيق اهداف رمزية بعيدة كل البعد عن أهداف معركة التحرير الشاملة .

ولما كانت القوات الجوية هى عصب عمليات القوات المسلحة فهى التى تقدم المعاونة الرئيسية لجميع الأسلحة فى جميع مراحل العمليات وان تحجيمها فى نظر أجهزة التخطيط هو احباط لقدراتها القتالية فى نظر القيادة سوف يؤدى الى تحجيم عمليات القوات المسلحة بصفة عامة ، وهو المطلوب من

وجهة نظر الرئيس السادات الذى بارك هذه العقائد والادعاءات الباطلة عن قدرات قواتنا الجوية بقولة « اننا يجب ان نقبل المخاطرة المحسوبة » علما بان الرئيس السادات يعلم اكثر من القائدين المذكورين القدرة القتالية لقواتنا الجوية وتطورها وتحديثها والتعديلات الفنية الجديدة التى اضيفت الى معداتها وكفاءة طياريها وأسلوب عملها والتضحيات التى قدمتها عندما كان يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية ويحضر لقاءات الرئيس عبد الناصر فى شأن رفع القدرة القتالية لقواتنا الجوية خلال التجربة الفريدة التى مرت على قواتنا المسلحة فى حرب الاستنزاف مع العدو .

ولم يكتف القائد العام بتحجيم القدرات الهجومية لقواتنا الجوية بل تعداها لتحجيم قدراتها الدفاعية ايضا حرصا منه على تأمنها والمحافظة على سلامتها حتى اخر مرحلة من مراحل العمليات . وذلك انه استحدث اسلوبا مخالفا لأسلوب الدفاع الجوى المتبع فى دول العالم بأن ركز مهام الدفاع الجوى من اجل تحقيق الحماية الكاملة لعمليات القوات المسلحة . ومنشئاتها الحيوية ومنها القواعد والمطارات الجوية على وسائل الدفاع الجوى الأرضية فقط علما بان الدفاع الجوى الايجابى عن الدولة وعن القوات المسلحة والتى تحققه اسراب المقاتلات الاعتراضية هو من الواجبات الأساسية لقواتنا الجوية . وان هذا المنطق جعل قوات الدفاع الجوى ووسائلها الأرضية تابعة لعمليات القوات الجوية ولم تنفصل عنها الا بعد عام ١٩٦٧ عندما أصبح مهام القوتين تحتاج الى قيادتين منفصلتين متعاونتين . اى ان الأصل فى الدفاع الجوى يعتمد على المقاتلات وان الصواريخ هى العامل الاضافى فى الدفاع الجوى عامة وان كل دول العالم تعتبر ان المقاتلات الاعتراضية التى تكون فى حجمها وتنظيمها ثلث القوات الجوية هى الجناح الايجابى فى نظام الدفاع الجوى عن الدولة وعن منشئاتها الحيوية . وان الدفاع الجوى الايجابى الذى تقوم به المقاتلات الاعتراضية عن قواعدها ومطاراتها يعتبر دفاعا ذاتيا تكون الأولوية فيه لأسرابنا الاعتراضية .

وكان تحجيم قدرات قواتنا الجوية الذى ادعاه القائد العام ورئيس الأركان وباركه الرئيس السادات قد اثر تأثيراً سلبيا عند استخدام قواتنا الجوية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ سواء فى مرحلة التخطيط أو فى ادارة العمليات الحربية . كما اعتقد أغلب القادة أن تخفيف حجم المهام الدفاعية للقوات الجوية قد يتيح لها الفرصة لزيادة فاعليتها الهجومية الا ان حرب اكتوبر انتهت بعد ثلاثة اسابيع ولم تقم القوات الجوية الا بضربة واحدة فقط معلنة بداية الحرب يوم ٦ أكتوبر ٧٣ .

عمليات القوات الجوية

قامت القوات الجوية فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ بغارة كثيفة بحوالى ٢٠٠ طائرة مقاتلة قاذفة لتوجيه ضربة جوية مركزة ضد مطارات العدو فى النطاق التعبوى فى سيناء ومراكز قيادته ومحطات الرادار ومحطات الاعاقة الالكترونية ومواقع الهوك المضادة للطائرات وبعض مواقع المدفعية .

وكانت خسائرنا طائرة واحدة فقط حسب نص البيان الأول الذى صدر عن القيادة العامة للقوات المسلحة .

ان هاتين العمليتين التى قامت بهما القوات الجوية فى أول يوم عمليات تعتبر مخالفة للعقيدة الراسخة فى ذهن القيادة العسكرية عن قدرات قواتنا الجوية السابق الاشارة اليها .

ان الضربة الجوية شملت عمق مائة كيلو متر فى عمق العدو وفى عز الظهر والعدو الجوى على درجة استعداد قتالى عال منذ ان استشعر باستعدادنا للهجوم صباح نفس اليوم وطالب رئيس أركان العدو بضربة اجهاض جوية تطبيقا لأسلوب العدو القتالى فى اجهاض تحضيرات الهجوم مما يستتبع استعداده للدفاع منذ صباح يوم ٦ أكتوبر متمثلا فى الاعتراض الجوى لطائراتنا المغيرة . وكانت الأهداف المعادية المستهدفة للغارة المصرية كلها خارج نطاق صواريخنا غرب القنال ، وهى تعنى فى نفس الوقت حرية عمل طائراتنا الاعتراضية المصاحبة للغارة الجوية . فهل يمكن الادعاء بعد ذلك انها كانت تندرج تحت مفهوم المخاطر المحسوبة كما قرر الرئيس السادات .

ان تقديرى لعمق ومواجهة هذه العملية الجوية بصرف النظر عن النتائج المادية التى احدثتها لعدم وجود تأكيد بالصور الجوية . الا انها تفوق اى عطاء جوى يمكن تصوره لأى عمليات بريه فى العمق التعبوى لسيناء ، واعتراض اى طائرات للعدو لهذه العمليات مع توقع خسائر نصف المائة كما حدث فى الضربة الجوية الأولى ، وهى على عمق مائة كيلومتر فى سيناء . ومع استعداد قواتنا الجوية لتكرار الضربة الجوية المركزة حتى يكون تأثيرها على اهدافها مؤكدا وعلى ذلك تكون القدرة القتالية لقواتنا الجوية من الناحية العملية ليست طبقا للعقيدة الخاطئة التى بثها القائد العام ورئيس الأركان منذ بداية العمليات .

وبالنسبة لمهمة الدفاع الجوى عن القوات الجوية فى عملياتها المختلفة فان المهمة تقع اساسا على المقاتلات الاعتراضية والتى تميزت فيها طائرات الميج ٢١ خاصة بعد تعديلها كى تكون الطائرة الأولى فى العالم التى تنفرد بهذا الواجب ــ اعتراض العدو الجوى قبل وصوله الى اهدافه ، كذا حراسه تشكيلات القوات البحرية ، وتشكيلات القوات الجوية فى عملياتها المختلفة من قاذفات طويلة أو متوسطة المدى وقاذفات مقاتلة وطائرات نقل ومواصلات هليكوبتر للقوات الخاصة المحمولة والمنقولة جوا ، وليس كما ادعى القائد العام ورئيس اركانه فى استبعاد القوات الجوية عن واجب الدفاع الجوى فى جميع اشكاله .

وفى هذا المجال يدور التساؤل على عملية ابرار كتائب بطائرات هليكوبتر فى عمق سيناء بمساء اليوم الأول للقتال دون حراسة جوية من طائرات القتال الاعتراضية فقد كانت الكارثة مزدوجة لكل من قوة الابرار والقوات الجوية .

تمت عمليات الابرار الجوى لأربع كتائب صاعقة لايقل عددها عن ١٥٠٠ ضابط وجندى مستخدمة الطائرات الهليكوبتر أضعف طائرات القوات الجوية قدرة على القتال . وتم الابرار فى أربعة أماكن متفرقة فى عمق سيناء وخارج نطاق الصواريخ ولم يخصص لها حراسة جوية تطبيقا للزعم الخاطىء الذى تبناه كل من القائد العام ورئيس الأركان « تجنب قواتنا الجوية مواجهة قوات العدو الجوية » وكانت نتيجة عمليات الأبرار المتوقعة منذ البداية هى الفشل ومايتبعه من تدمير للطائرات واسر معظم افراد القوة .

القائد العام تناسى ان طائرات الهليكوبتر هى أحد عناصر القوات بل اضعفها والتى يحرص عليها فى الوقت الذى نضن على أقواها وهى المقاتلات الاعتراضية على حراستها وهل التضحية بقوات الابرار والطائرات الحاملة لها تندرج ضمن المخاطر المحسوبة ، وهل كان لها هدف محدد يرجى تحقيقه ، وهل تشبه هذه العملية مثيلتها الأولى وفى نفس اليوم حيث يتماثل الاثنان فى كثافة حجم العملية الجوية ، وكلاهما يعملان خارج نطاق صواريخ الدفاع الجوى دون هدف محدد يرجى تحقيقه . وقد تقدمت القوات التعبوية للعدو من عمق سيناء عبر المضايق الجبلية الى ميدان المعركة دون اعاقة أو تدخل من قواتنا الأرضية أو الجوية .

الاستطلاع الجوى

ان القيادة العامة للقوات المسلحة فقدت القدرة على اجراء الاستطلاع الاستراتيجى التعبوى منذ يوليو ١٩٧٢ عندما استغنى الرئيس السادات عن المساعدات الاستطلاعية التى كانت متوفرة لدى السوفيت عند تواجدهم معنا ولم تحاول القيادة العامة ايجاد البديل لهذه المساعدات الفنية . ولما كان الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى هو عماد التخطيط وادارة العمليات فى أى معركة فقد اضطرت القيادة العامة الى الاعتماد على المعلومات القديمة عن العدو والتى كانت مسجلة لديها اعوام ١٩٧٠ ، ١٩٧١ . وكانت شعبة استطلاع للقوات الجوية قد تمكنت من اضافة عدسات تصوير فوتغرافى فى طائراتها المخصصة للاستطلاع الا ان القيادة العامة لم تكلف القوات الجوية بأى مهام استطلاعية على أى مستوى واكتفت بوسائل الاستطلاع التكتيكى على مستوى الجيوش الميدانية لتوفير مايمكن من معلومات تكتيكية عن جبهة القتال فى مواجهة الجيشين . علما بان قدرات الطائرة الميج ٢١ بعد اضافة التعديلات الفنية الحديثة عام ١٩٧٠ يمكنها من الطيران لأغراض الاستطلاع التكتيكى والتعبوى بكل كفاءة .

ولما كان الفاصل بين الجيشين على المواجهة كبيرا — ٤٧كم — الأمر الذى يستدعى ولو تغطية استطلاعية بالنظر من اجل تأمين هذا الفاصل الجغرافى وانه خارج نطاق شبكة الدفاع الجوى . وان استخدام وسائل الاستطلاع الجوى المتاحة وبصفة مستمرة مع دوريات الاستطلاع الأرضية تعطى الانطباع باهتمام القيادة العامة على هذا الفراغ لحين العمل على تقليله وتغطية وسائل دفاعية اخرى وبالرغم من تواجد القصور فى الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى ، فان القيادة العامة لم تحاول طلب المعونة من الاتحاد السوفيتى الذى كانت علاقته بنا مازالت طيبة ، خاصة وقد اعادوا طائرات الميج ٢٥ المخصصة للاستطلاع التعبوى والاستراتيجى من الاتحاد السوفيتى يوم ١٩٧٣/١٠/٩ او طلب صور من القمر الصناعى السوفيتى تغطى المعلومات الاستراتيجية والتعبوية التى تفتقر اليها قواتنا . وقد اعتمد كوسيجن على صور القمر الصناعى كوزموس الذى اطلقه الاتحاد السوفيتى فى أول يوم للقتال وهبط يوم ١٠/١٦ وعرضه صوره على الرئيس السادات مبينا مواقع قوات العدو وقواتنا حول منطقة الدفرسوار شرق وغرب القناة ، الأمر الذى صعب على قيادتنا تقديره فى ذلك اليوم .

وان تبادل المعلومات الاستراتيجية بين الدول الحليفة أمر عادى فقد اعتمدت اسرائيل على

الوسائل الجوية الأمريكية عندما استخدمت طائرات R71 الاستطلاعية فى تصوير مسرح عمليات قناة السويس يومى ١٣ ، ١٥ اكتوبر ، الأمر الذى اتاح للقيادة الاسرائيلية التصديق على تنفيذ خطة الغزالة التى تهدف الى اختراق دفاعاتنا ، ونقل المعركة الى خلف قواتنا وتدمير حائط الصواريخ سام ، وذلك بعد ان تأكدت من خلال التصوير الجوى الأمريكى خلو منطقة غرب القناة من الدروع المصرية .

وكان فشل العمليات الاضافية يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ بسبب عدم توفر المعلومات التكتيكية عن العدو فى مواجهة قوات الهجوم ، الأمر الذى لم تتمكن قوات استطلاع الجيوش من توفيرها . لو ان طلعة استطلاع بالصور قد تمت قبل ٢٤ ساعة من بدء الهجوم على مستوى لواء لتوفرت هذه المعلومات بدقة متناهية لكل لواء مهاجم ، وهى عادة روتينية تتم دائما قبل العمليات الهجومية على أى مستوى .

عمليات الدفاع الجوى الايجابية

امتد التطبيق الخاطىء فى الاعتماد الوحيد على قوات الدفاع الجوى الأرضية لحماية اهدافنا الحيوية بما فيها قواعدنا الجوية ومطاراتنا . فعندما هاجم العدو مطاراتنا الأمامية فى ابو حماد ــ المنصورة ــ قويسنا ــ بنها ــ النظاميه مستخدما طرق الاقتراب الشمالية عبر البحر الأبيض والجنوبية عبر البحر الأحمر أيام ٧ ، ٨ ، ١٤ اكتوبر وبرغم انعدام الخسائر لوجود الدشم والملاجىء الخرسانية السابق اعدادها لكل معدة وكل طائرة فى قواتنا الجوية ، فان طائراتنا الاعتراضية الميج ٢١ لم تحاول اعتراض العدو الجوى فى معظم هجماته على مطاراتنا تطبيقا للقاعدة الخاطئة التى اصدرها القائد العام بعدم تعرض طائراتنا لعمليات العدو الجوى والاعتماد على شبكة الدفاع الجوى الأرضية وحدها للدفاع عن جميع الأهداف .

وكانت هذه الخطيئة التى امليت على قواتنا الجوية قد اتاحت لقوات العدو الجوية أن تأخذ حيويتها فى الحركة للوصول الى اهدافها بالالتفاف حول نطاق شبكة الدفاع الجوى الكثيفة غرب القناة دون اعتراض من مقاتلاتنا .

عمليات بورسعيد

اثبت عمليات بورسعيد خطأ الاعتماد الكلى والوحيد على قدرة الوسائل الأرضية للدفاع الجوى فقط فى حماية الأهداف الحيوية . حيث ان ذلك يستلزم حشدا كثيفا من هذه الوسائل وخاصة الصواريخ لامكان صد الطائرات المعادية من إصابة اهدافها ، وكان ذلك ميسرا طوال فترة المواجهة مع العدو الجوى فى ضرب الاستنزاف بسبب تمركز ثلاثة فرقاطات بحرية سوفيتية فى ميناء بورسعيد مسلحة بصواريخ سام ٦ والتى خصصها الاتحاد السوفيتى لواجبات الدفاع الجوى عن هذا القطاع بالاضافة الى ان المساحة الأرضية لقطاع بورسعيد ضيقة لاتسمح بتمركز اكثر من أربع كتائب صواريخ سام بها .
وكان الدعم السوفيتى لهذا القطاع يعتبر عام ردع سياسى للعدو الاسرائيلى فى حالة محاولة قصف هذا القطاع الحيوى ولصعوبة الدفاع الجوى عنه بوسائل الدفاع الجوى الأرضية التى فى حوزتنا .

وعندما افتقدنا قوة الدفاع الجوى من قطاع بورسعيد بسبب استبعاد الرئيس السادات للقوات والمساعدات السوفيتية المشتركة معنا فى الدفاع الجوى عن مصر فى يوليو ١٩٧٢ قلت قدرة القطاع الدفاعية وسهل على العدو الجوى مهاجمته بغارات متتالية بقوة حوالى ٥٠ طائرة فى غارة لم تستطع أربع كتائب صواريخ سام التصدى لها . وتمكن العدو الجوى من اصابة كتائب الصواريخ واصابة منشئات القطاع بعد خسارة أكثر من عشر طائرات من طائراته المغيرة فى الغارة الأولى ، ثم خلى له الجو من الدفاعات المضادة فى غارات الأيام التالية بسبب افتقاد قطاع بورسعيد عنصر الدفاع الجوى بالمقاتلات الاعتراضية التى قامت بواجبات المظلات خارج نطاق منطقة بورسعيد الدفاعية ولم تحاول مواجهة العدو الجوى ، تمشيا مع الخطيئة التى برزت فى حرب أكتوبر « الاعتماد على وسائل الدفاع الجوى الأرضية فقط للدفاع عن الأهداف الحيوية » وعدم الزج بقواتنا الجوية غير المكافئة مع العدو الجوى .

السيطرة الجوية

ان بدء اى عملية هجومية يعتمد اساسا على توفير التفوق الجوى ولو محليا على مسرح العمليات المتوقع . وعلى ذلك اصبحت السيطرة الجوية عاملا اساسيا يجب الحفاظ عليه فى كل وقت وفى كل مكان فى جبهة القتال .

ومن مظاهر الحفاظ على السيطرة الجوية فى معارك اكتوبر على جبهة قناة السويس :

١ ـــ تكرار الضربة الجوية الأولى على أهداف العدو التعبوية فى سيناء بهدف :

أ ـــ حصار أرض المعركة ومنع احتياطية التعبوى من الاقتراب الى أراضى العمليات .

ب ـــ استمرار الضربات الجوية الى ان تحدث خسائر مميتة فى اهداف العدو تمنعه من الحركة فى ظل سيطرة جوية .

٢ ـــ استمرار طلعات الاستطلاع الجوى نهارا على المناطق التعبوية الأرضية والمائية بهدف الحصول على معلومات مبكرة ودقيقة عن :

أ ـــ نتائج قذفنا الجوى لأهدافه الحيوية .

ب ـــ تحركات قواته التعبوية الى أرض المعركة .

جـ ـــ احساسه بسيطرة قواتنا الجوية وان كل تحركاته الخفية مكشوفة لقواتنا .

٣ ـــ دوام استخدام المظلات الجوية فوق مسرح العمليات حماية لتحركات قواتنا وغطاء جويا لعملياتنا الجوية ضد تدخل العدو الجوى(٠) .

ولو ان هذه المهام تضع أعباء كثيرة على قواتنا الجوية ، الا انها تكسب قواتنا الثقة والحماية ضد مفاجآت العدو فى مرحلة ادارة العمليات . هذا مع العلم ان قواتنا الجوية بالتعاون مع شبكة الدفاع الجوى غرب القناة كانت تحقق تفوقا جويا محلى فى منطقة العمليات .

---

(٠) الميج ٢١ بعد تعديلها عام ١٩٧٠ يمنها الاستمرار فى واجب المظلات الجوية لمدة اكثر من ساعة زمنية بدلا من ٢٠ دقيقة فقط قبل التعديل .

العمليات الهجومية الاضافية

منذ بداية عمليات الهجوم شرقا يوم ١٤ أكتوبر أفصح رئيس الأركان بان قوات العدو الجوية مازالت قوية، وتشكل تهديداً خطيرا لأى قوات تتحرك فى العراء دون غطاء جوى مما يجعل قواتنا فريسة لها ، علما بأن رئيس الأركان على علم مسبق بتخطيط الدفاع الجوى لحماية عمليات الهجوم شرقا ، بانتقال أنساق من شبكة الدفاع الجوى غرب القنال الى شرقها ، بحيث تكون مستعدة صباح يوم الهجوم . أى ان حماية عمليات الهجوم مؤكدة ضد عمليات العدو الجوية مثل عمليات العبور تماما ولكن رئيس الأركان لم يكن مقتنعا بقدرة أنساق الصواريخ سام شرق القناة وقال عنها : انها صواريخ ثابتة ، بقدر قناعته بقدرة شبكة الدفاع الجوى الكثيفة وهى متكتلة غرب القناة . كما لو كان متمسكا بعدم الخروج عن مظلتها بالنسبة لعملياته البرية اذا انها فى تقديره القوة الوحيدة التى يجب ان نعتمد عليها فى دفاعنا الجوى . كما تناسى قدرات وسائل الدفاع الجوى الأرضية داخل تشكيلاتنا البرية ، واهمها صواريخ سام ٦ والمدفعية الموجهة راداريا ٢٣ مم لصد وتدمير هجمات العدو الجوية لهذه التشكيلات البرية ، وهى بعيدة عن شبكة الدفاع الجوى غرب القناة . كما تناسى رئيس الأركان ان اجراء العمليات الهجومية خارج نطاق شبكة الدفاع الجوى لايعوق اشراك القوات الجوية فى معاونتها وفى تغطية هجومها ، وقد سبق ان قامت القوات الجوية بالضربة الأولى فى بداية العمليات وفى عمق ١٠٠كم فى سيناء ولم تتكبد أى خسائر سوى نصف فى المائة . وكان رئيس الأركان لايريد ان يتزحزح او يخرج عن التزامه بتنفيذ اهداف واتجاهات الرئيس السادات بجعل المعركة محدودة قاصرة على شاطىء قناة السويس فقط . وعلى ذلك نجده يحاول تدمير أى فكرة تسعى الى استغلال قدرات اسلحته فى المعركة الهجومية مع استعداده فى نفس الوقت لتحجيم قدرات قواتنا الجوية وقوات الدفاع الجوى .

ثغرة الدفرسوار

نجح العدو فى اختراق دفاعاتنا فى الدفرسوار ليلة ١٦/١٥ اكتوبر وتمكنت مدرعاته من اصابة ٣ الى ٤ كتائب صواريخ سام غرب القناة فى اليوم التالى للعبور . وبذا افسح الطريق لقواته الجوية بحرية الهجوم عبر هذه الثغرة ومساندة قواته المدرعة التى قامت بعمليات ناجحة غرب القناة ولم يكن هناك وسيلة سريعة لصد عبور العدو فى بدايته سوى قواتنا الجوية اما بتدمير قواته البرية القليلة التى عبرت كذا باعتراض طائراته المساندة له ونظرا لتسلط فكرة عدم الزج بقواتنا الجوية ولعدم دقة المعلومات عن مدى الاختراق وقوته ادى الى اتساع عمق ومواجهة وانتشار قوات العدو فى الضفة الغربية للقناة . كان بقاء القوة الضعيفة التى عبرت القناة من العدو لمدة ٣٦ ساعة منعزلة وحدها غرب القناة فى منطقة الدفرسوار فرصة سانحه لرد اعتبار قواتنا الجوية ، بأن تقوم وحدها بتدمير قوات العدو الضعيفة التى عبرت القناة . وكان التعاون المستمر لمقاتلاتنا الجوية الميج ٢١ المعدلة مع قاذفاتنا من السوخوى ٧ للعمل سويا — الأولى ضد طائرات العدو القاذفة الفاقدة لمرونتها بسبب حمولتها الثقيلة من القنابل والصواريخ . والثانية ضد قوات العدو الأرضية التى تمكنت من العبور . وكان من الممكن جدا الحصول على التفوق

الجوى المحلى فوق منطقة الدفرسوار والقضاء على قوة العدو قبل ان تتمسك بالأرض أو تعزز بقوات اخرى ويزداد انتشارها .

وكانت القيادة العامة تعتمد على صد قوات العدو والقضاء على القوات الاسرائيلية التى تمكنت من العبور فى ثغرة الدفرسوار على القوات البرّيه التى لم يتوفر لديها أى قوة ردع وتطبيقا للعقيدة الراسخة فى الذهن ، لم تكلف القوات الجوية للعمل بتركيز وبكثافة للقضاء على هذه الثغرة . بينما على الجانب الآخر نرى ان قوات العدو الجوية قد أخذت المبادأة وتدخلت بمفردها ولكن بكثافة فى معركتين : الأولى عند محاولة تقدم اللواء الأول المشاه الميكانيكى جنوبا من رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاه بهدف السيطرة على خليج السويس يومى ٩ ، ١٠ اكتوبر ١٩٧٣ . والثانية فى محاولة هجوم اللواء ١٣٥ مشاه مستقل فى قطاع بورسعيد للمرة الثانية يوم ١٥/١٠/١٩٧٣ على النقطة القوية من خط بارليف شرق بورفؤاد . وكان الفضل فى انهاء كلتا العملتين لصالح اسرائيل يرجع الى قواته الجوية وحدها .

علما بأن موقع كلتا العمليتين خارج نطاق شبكة الدفاع الجوى ، وكان على القوات الجوية العمل على تغطيتها بغطاء جوى مع تخصيص جهد جوى لمعاونتها فى مهامها المباشرة .

فى المعاونة الجوية المباشرة

شملت خطة عمليات جرانيت (٢) المعدلة تخصيص مجهود جوى للمعاونة المباشرة بواقع ٦ طلعات سرية لعمليات الجيش الثانى وعدد ٤ طلعات سرب لعمليات الجيش الثالث ، والحقت القوات مجموعة معاونة حوية لكل قيادة جيش . ولكن فى مرحلة ادارة العمليات فضل القائد العام تركيز كل جهود المعاونة المباشرة للجيوش فى يده ، على ان يصدق على كل طلب معاونة جوية مباشرة فى حينه . وعندما اشتدت الحاجة الى معاونة جوية فى مرحلة الهجوم شرقا امر القائد العام بتقديم معاونة جوية لعملية الفرقة ٢١ مدرعة فقط ، علما بأن عمليات تطوير الهجوم شرقا تمت بواسطة ثلاث عمليات اخرى على مستوى لواءات مدرعة وميكانيكية بالاضافة الى عملية الفرقة ٢١ مدرعة .

بدأت الفرقة ٢١ هجومها صباح يوم ١٤/١٠/١٩٧٣ ولم يكن لديها طاقم معاونة جوية وبذا لم يتوفر لدى الطيارين المتعاونين مباشرة مع الفرقة المعلومات الدقيقة عن طلبات الفرقة ، عن قوة العدو وأماكن تمركزه ، وعلى ذلك لم تثمر طلعتا سرب المعاونة الجوية المباشرة مع عملية هجوم الفرقة ٢١ مدرعة .

واذا علمنا ان الفرقة ٢١ مدرعة قامت بهجومها دون ان تحصل على صورة جوية حديثة عن مواقع العدو وقوته ، وان القوات الجوية لم تقدم لها الغطاء الجوى المناسب كى تحميها من هجمات العدو الجوية لقدرنا الصعوبة التى واجهتها الفرقة المدرعة دون معاونة جوية من أى نوع .

وبعد نجاح العدو فى ثغرة الدفرسوار وتمكنه من اصابة كتائب صواريخ منطقة الاختراق ، تمكن طيران العدو من اختراق حائط الصواريخ ، والعمل بحرية وبكثافة لمعاونة قواته المدرعة التى تقاتل فى الضفة الغربية للقناة من الوصول الى اهدافها .

فى ذلك الوقت فقط قرر القائد العام اقتحام قواته الجوية التى رفض استغلال قدراتها منذ بداية العمليات بهدف مواجهة قوات العدو الجوية وهو أسوأ موقف قابلته القوات الجوية المصرية حيث افتقدت العوامل المؤثرة التالية :

١ ــ تقلص تأثير حائط الصواريخ وابتعادها الى خارج المنطقة جهة الغرب بعد اصابة عدد من كتائبها الصاروخية يوم ١٦ ، ١٧/١٠/١٩٧٣

٢ ــ استخدام كافة أنواع الطائرات فى منطقة ضيقة دون النظر إلى خصائص كل منها. فقد اشتركت القاذفات الثقيلة والمتوسطة والقاذفات المقاتلة ، وحتى المقاتلات الاعتراضية وطائرات تدريب الكلية الجوية فى أعمال القصف الجوى على هدف مركز مساحته محددة ، وهو رأس كوبرى العدو غرب القناة منطقة الدفرسوار . فى الوقت الذى تحولت السيطرة الجوية فى المنطقة لصالح العدو الذى خصص ٨٠٠ طلعة يوميا لصالح قواته التى عبرت القناة .

٣ ــ صعوبة توجيه المقاتلات الاعتراضية فى هذا الخضم المتشابك .

٤ ــ تضارب عمليات القصف إذ أن القاذفات تقصف من ارتفاعات عالية مع استخدام التنشين المستوى بينما القاذفات المقاتلة والمقاتلات وطائرات التدريب المحملة بالقنابل والصواريخ تقصف من ارتفاعات منخفضة مع استخدام تنشين الغوص .

٥ ــ اشتراك تشكيل جوى من طائرات الهليكوبتر المحملة بالنابلم ضد كبارى ومعديات العدو بهدف تدميرها ، وهى اضافة نوع من الطائرات لايساوى فى سرعته أو مناوراته مع باقى التشكيلات الجوية المذكورة .

٦ ــ صعوبة التمييز بين الطائرات المعادية والطائرات الصديقة واحتمال اصابة الأخيرة بوسائل دفاعنا الجوية الأرضية .

٧ ــ صعوبة التمييز بين قواتنا الأرضية وبين قوات العدو فى هذه المنطقة الضيقة بالنسبة للطيارين الذين لم يتحققوا من أوضاع قواتنا لضعف التلقين . وقلة المعلومات الصحيحة . ولم تكن النتائج من وجهة نظر قواتنا الجوية مشجعة فى هذه الظروف السيئة التى واجهتها فى المدة من ١٠/١٧ وحتى يوم ١٠/٢٨ ، وارتفعت نسبة الخسائر اليومية بين الطيارين حيث وصلت الى عشر طائرات ميج ٢١ يوم ١٠/١٨ ويوم ١٠/٢١ ، كما فشلت محاولات استخدام الهليكوبتر فى القاء عبوات نابالم وطائرات الياك تدريب وسط هذه المحنة الجوية التى لم تواجه القوات الجوية مثلها من قبل .

وكان تطور الموقف العسكرى غرب القناة وسيطرة قوات العدو الجوية واحتمالات قطع خطوط مواصلات الجيشين الثانى والثالث ، والخسائر التى منيت بها قواتنا البرية والجوية فى الأيام الأخيرة للمعركة ، مع عدم وجود احتياطى قوى فى يد القيادة العامة ، قد شلت تفكير القائد العام للقوات المسلحة الذى لم يجد وسيلة لديه سوى طلب وقف اطلاق النيران .

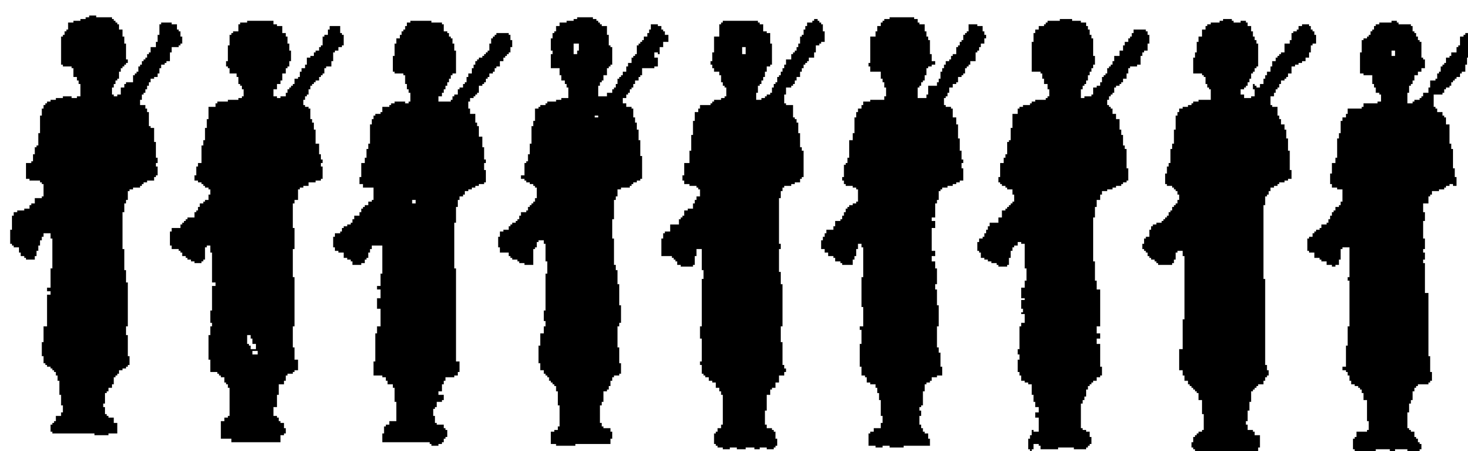
حصيلة التعاون الجوى

ان تطور العمليات فى جبهة قناة السويس جعلت تطبيق القواعد التى ابتكرها القائد العام ورئيس الأركان فى اسلوب استخدام القوات الجوية للحفاظ على التفوق الجوى المحلى ، كذا لمعاونة الجيشين الثانى والثالث تتم فى غير صالحها ففى الوقت الذى كانت فيه قوات العدو بعيدة عن قواتنا ولكنها فى متناول قواتنا الجوية ، احجم القائد العام عن استخدامها بتأثير (ضربة جوية واحدة فقط — لا استطلاع — معاونة ارضية مباشرة ضعيف جدا) .

وعندما اقتربت قوات العدو والتحمت بقواتنا واصبح التمييز بين العدو والصديق غير واضح من وجهة نظر طيارى المعاونة المباشرة ، مع زوال تأثير حائط الصواريخ بسبب إصابة بعض كتائبه . دفع القائد العام معظم طائراته بمختلف انواعها فى هذا الموقف غير المناسب للقتال الجوى أو التوجيه مع حصول العدو الجوى على السيطرة الجوية فى نفس الوقت . فكان التعاون الجوى غير مثمر . ولم ينجح القائد العام فى تأمين وسلامة قواته الجوية التى كان ينشدها عندما طبق اساليبه الخاطئة فى بداية العمليات . كما وصلت الخسائر فى قواتنا الجوية حوالى نصف قوتها فى الأيام الأخيرة من المعركة فقط ، بسبب العقائد والأساليب الخاطئة التى طبقها القائد العام استجابة لأهداف الرئيس السادات فى تحجيم حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

الفصـــــل
الحـــــادى
عشــــــر

القيـــــادة والسيطـــــــرة



ــ القيادة هى اعداد وتوجيه وادارة القوات المحاربة لتحقيق الهدف بنجاح وبأقل خسائر ممكنة . والقيادة علم وخبرة تكتسب بالتدريج بعد ممارسة طويلة فى الأعمال الميدانية . والقيادة قدوة حسنة واخلاق وحزم . والقيادة معرفة بالشئون الدنيوية والمعنوية للمقاتلين قبل أن تكون معرفة بالخصم الذى نقاتله . والقيادة التزام بتطبيق قوانين الحرب وأساليب القتال المعروفة .

ــ أما السيطرة فهى امكانية استخدام وسائل الاستطلاع المتنوعة ، ووسائل ومعدات الاتصال بأشكالها المختلفة ، ووسائل التعارف من أجل توفير المعلومات فى الوقت المناسب للقادة على جميع المستويات مع ضمان تدفق هذه المعلومات من الخلف الى الأمام وبالعكس بأسرع وأيسر الطرق مع مراعاة تأمينها من التسرب الى العدو .

ــ والقيادة توكل الى القائد العام لمسرح العمليات أو لجبهة القتال أو لمحور منفصل من محاور العمليات . ومنه تخول سلطات قيادية الى القادة الميدانيين على كل المستويات من قيادة الجيش الى قيادة الفرق وهى الوحدة القتالية التى يمكن ان تعتمد على ذاتها فى مختلف العمليات الحربية .

ــ اما السيطرة فتوكل الى رئيس الأركان العامة وعليه توزيع مسئوليات السيطرة على أجهزة الاستطلاع والمخابرات والمتابعة على جميع المستويات القيادية حتى مستوى الفرقة أو مايعادلها فى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة .

ــ وتحدد قوانين خدمة الميدان واجبات وسلطات القمة العسكرية المتمثلة فى القائد الأعلى للقوات المسلحة (رئيس الجمهورية) ومجلسه الاستشارى (مجلس الدفاع الوطنى) القائد العام للقوات المسلحة (وزير الدفاع) ومجلسه الاستشارى (المجلس الأعلى للقوات المسلحة) رئيس هيئة اركان الحرب واجهزته الخاصة بالسيطرة .

وبهذه الطريقة الدستورية تتحدد المسئوليات كما تتحدد السلطات لكل قائد فى القمة العسكرية فى الدولة . ولما كانت هذه القوانين غير متوفرة لدينا حتى ذلك الوقت فقد تعرضت الدولة وكيانها لهزات واخطاء بسبب طغيان قائد من الثلاثة المسئولين عن الحرب والسلام فى الدولة يحاول ان يجمع بين يديه

جميع السلطات كلها فى الوقت الذى لايمكنه اداء الواجبات كلها وفى حالة الهزيمة أو الفشل لايجد القانون الذى يحاسبه على اخطائه .

ففى معركة يونيو ١٩٦٧ مثلا كانت جميع السلطات المخولة لقادة القمة العسكرية مركزة فى يد المشير عبد الحكيم عامر وبسبب قلة الخبرة وعدم تفرغه للمهمة الضخمة أصدر قرار تعيين قائد لجبهة سيناء ، دون ان يحدد واجبات أو يمنح سلطات له . والقوات فى جبهة سيناء هى قوات جيش ميدانى يتولى قيادته قائد جيش يعلم واجباته الميدانية وله سلطاته على قوات جيشه . فأصبح فى مسرح عمليات سيناء قيادتان ميدانيتان على جيش واحد فحدث صدام على السلطة بين القائدين ظل قائما حتى نهاية المعركة . وعندما انتهت المعركة بالفشل بدأ السؤال التقليدى عن المتسبب — هل هو قائد الجيش الميدانى ام هل هو قائد الجبهة بجانب مسئولية القائد العام كما ظهر صدام آخر فى التسلسل القيادى فى الميدان لأغراض العمليات . اذ أن القرار يصدر من المشير الى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وعلى الأخير حسب التنظيم الميدانى الذى تتبعه القوات المسلحة منذ عام ١٩٥٨ . ان يرسل القرار بعد توضيحه فورا الى قائد الجيش الميدانى . كيف يتم ذلك وقائد الجبهة موجود بقيادته التى شكلت على عجل ولم يتحدد لها سلطات أو يتعين لها واجبات .

وتحول هذا الحدث الى درس يجب معالجته فى نفس الوقت الذى لايوجد فيه قوانين خدمة الميدان . وبعد دراسة متأنية صدر القانون رقم ٤ لعام ١٩٦٨ يحدد ويضع المسئوليات والواجبات والسلطات للقادة الذين يمثلون القمة العسكرية فى الدولة وهم القائد الأعلى والقائد العام ورئيس الأركان لحين استصدار قوانين خدمة الميدان التى تستغرق وقتا طويلا .

نشر هذا القانون فى مارس ١٩٦٨ ومنه صدرت تعليمات تنظيمية تكملة بالنسبة لباقى القيادات الميدانية الأدنى مثل قادة الجيوش،. قادة الفرق الميدانية تحت اسم « قانون تنظيم اسلوب القيادة والسيطرة على القوات المسلحة » ودخلت القوات المسلحة بعد تطبيق هذا القانون وتعديل قوانين أخرى داخل الاطار التنظيمى الطبيعى للدولة وأصبحت جهازا تنفيذيا من أجهزتها ولفظت عنها صفة « المؤسسة العسكرية » التى اكتسبتها بحكم كونها الادارة المنفذة لاجراءات الثورة واهدافها بالاضافة الى ان « المؤسسة العسكرية » صبغت القوات المسلحة صفة كريهة هى « البيروقراطية » وكان تأثيرها الضار على سلوكيات القادة ومرونة القوات جعل الجمود فى الفكر وفى الأداء له آثاره السلبية على الكفاءة والقدرة القتالية بصفة عامة ، كما ساعدت على عدم ابراز قدرات القادة الناشئين من الوصول الى مستوى قيادات ميدانية أكبر .

بدأت عجلة اعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة الجديدة بعد هزيمة ١٩٦٧ مباشرة وكانت البداية فى تصحيح الأخطاء الكبيرة فى المعارك السابقة واهمها معركة ١٩٦٧ وكان أولها اقامة منشآت خرسانية لمراكز القيادة والسيطرة على مستوى القيادة العامة للقوات كذا على مستوى قادة الجيوش والأفرع الرئيسية للقوات وذلك مع التخطيط الميدانى لتحقيق هدف تحرير سيناء الشاملة فى الخطة ٢٠٠ عام ١٩٦٨

تم التصديق على انشاء مركز القيادة الرئيسى للقوات فى القاهرة ـ تحدد له مكان المركز (١٠) الحالى ومركز القيادة العامة المتقدم فى « وادى القمر » مكان فى منتصف قوات الجيشين الثانى والثالث ويبعد عن الحد الخلفى للجيشين بقليل . وكان تصميم مراكز القيادة والسيطرة كما هى فى كتب التعليم بحيث تسع ٢٠٠ ضابط على الأقل وهو المرتب العادى للقيادة العامة الميدانية . وان يكون الأول (الرئيسى) خرسانيا وغير ظاهر على سطح الأرض بينما يكون الثانى (المتقدم) انشاء ميدانى فقط أى قابل للحركة والتقدم شرقا كلما تقدمت قواتنا .

ولما كان تخطيط عمليات تحرير سيناء الشامل يدعو الى العمليات الهجومية على مراحل فان تمركز القائد العام فى مقر القيادة المتقدم فى وادى القمر « يصبح أمرا ضروريا فى توزيع الواجبات بينه وبين رئيس أركانه ويصبح رئيس الأركان فى المركز الخلفى حيث يقوم بمهمة السيطرة على مسرح العمليات .

وبالرغم من هذا الوعى الميدانى الذى اكتسبته القوات المصرية سواء من أخطائها عام ١٩٦٧ او من ممارستها عندما صححت اخطائها الميدانية خلال حرب الاستنزاف فان الضرر الناشىء من سوء تطبيق عناصر القيادة والسيطرة فى عمليات اكتوبر ١٩٧٣ نسبت الى القمة العسكرية بسبب عدم التزامها بأصول وقواعد القيادة والسيطرة فى الميدان . وقبل ان أوضح التفصيلات التى أدت الى هذه النتائج وجب على ان اذكر المقومات الرئيسية التى تؤثر على الممارسة السليمة للقيادة والسيطرة فى الميدان وهى :

أولا ـ القائد دائما فى الأمام

قاد الفريق اول احمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة القوات المصرية فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ من مركز قيادته للعمليات العسكرية (المركز ١٠) ولم يتركه طوال فترة القتال من ٦ أكتوبر الى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ عدا المشوار الذى قطعه مع الرئيس السادات فى عربة مكشوفة الى مجلس الشعب يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ وهو المشوار الذى سماه السادات « موكب النصر » كما لم يترك رؤساء الأجهزة الرئيسية فى مركز القيادة (المركز ١٠) وظلوا مرافقين للقائد العام طوال هذه الفترة فيما عدا الفريق الشاذلى رئيس الأركان الذى زار جبهة القتال زيارات قصيرة أيام ٨ و١٤ و١٨ اكتوبر .

أى أن الفريق أول احمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة قاد قواته فى العمليات الهجومية يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وهو فى مركز قيادته على بعد ٢٠٠ كيلو تقريبا .

اما القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس انور السادات فقد افتتح المعارك يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فى مركز القيادة الرئيسى المركز (١٠) ثم توجه الى مقر قيادته للعمليات فى بدروم قصر الطاهرة طوال الأسبوع الأول من العمليات . ولم يحاول زيارة جبهة القتال أو القواعد الخلفية لها طوال فترة الحرب وكلا المركزين الميدانين (١٠) للقيادة العامة للقوات المسلحة ومركز القائد الأعلى قد تم انشاؤها عام ١٩٦٩ ضمن انشاءات وتحضيرات معركة تحرير الأرض الشاملة وقد تم تشغيل مركز القيادة الميدانى (١٠) واختباره عمليا

فى المشروع الاستراتيجى التدريبى الكبير للقوات المسلحة فى شهر مارس ١٩٧١ ، وكلا المركزين الميدانيين بالاضافة الى مركز القيادة المتقدم فى وادى القمر خلف النطاق التعبوى للجيشين الثانى والثالث مباشرة ومقر عمليات ميدانى جديد لقيادة القوات البحرية فى الاسكندرية ومقر عمليات ميدانى لقيادة القوات الجوية فى الماظة وتجديد وتحديث مقر عمليات ميدانى لقيادة قوات الدفاع الجوى فى جبل الجيوش ضمن خطة انشاءات ميدانية جديدة تصدق عليها فى أوائل عام ١٩٦٨ ، وانتهت معظمها فى أواخر عام ١٩٦٩ وكان تجهيز مركز عمليات ميدانى متقدم للقائد العام للقوات المسلحة فى وادى القمر بكل مطالب المواصلات السلكية واللاسلكية ومتعدد القنوات كما خصصت له سرية اشارة القيادة العامة لتشغيله واختباره كما تم تجهيز هندسى ملاجىء وقائية ميدانية للقائد العام وأجهزته ، كذا أماكن وحفر وملاجىء افراد وعربات وأجهزة القائد العام . وان المسافة العرضية بين مركز القيادة المتقدم فى وادى القمر وبين اى جزء من اجزاء الجبهة لايزيد على ٤٠ كيلومترا .

وكان معروفا سلفا ضمن تعليمات ادارة العمليات الهجومية للتحرير أن القائد العام للقوات المسلحة يقود قواته من المركز المتقدم فى وادى القمر مع أجهزته بينما يظل رئيس أركان هيئة اركان القيادة العامة فى المركز الرئيسى (١٠) مع باقى أجهزة القيادة .

وبهذا الأسلوب بتحقق ماهو منصوص عليه فى كتب القيادة والسيطرة والتى يدرسها جميع ضباط الأركان. خصائص المركزين الميدانيين المركز المتقدم من اجل قيادة القوات فى الميدان والمركز الرئيسى من اجل السيطرة على القوات فى مسرح العمليات .

وتظهر خصائص كلا المركزين اذا كان :

أ ـــ التفاهم والانسجام والتعاون بين القائد العام ورئيس أركانه كاملا .

ب ـــ سرعة تبادل المعلومات بين المركزين منتظما ومضمونا .

وان هذا التوزيع بين القائد العام ونائبه لتحقيق القيادة والسيطرة على القوات حتمية فى حالة العمليات الهجومية ويكون جوازا فى حالة الدفاع خاصة وان جبهة قناة السويس هى المحور الرئيسى الوحيد للعمليات ضد اسرائيل . لم يطبق الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات هذا الأسلوب لتحقيق القيادة والسيطرة فى عمليات اكتوبر ١٩٧٣ . للآتى :

١ ـــ تخوف القائد العام من البعد عن رئيس الجمهورية مصدر القوة والنفوذ وحاجته الى مساندته الشخصية مقابل معارضات قيادات القوات لقرارات القائد العام .

٢ ـــ شعوره الخاطىء بضرورة الرجوع للرئيس فى تفاصيل المواقف العسكرية والانصياع له منذ البداية .

٣ ـــ التخوف من ترك الفرصة متاحة لاتصال رئيس الأركان ـــ منافسه ـــ فى التقرب للرئيس بعد اندفاعه الى مركز القيادة المتقدم بعيدا عن موقع تمركز الرئيس .

وفات على القائد العام أن يغلب المبادىء العسكرية ويندفع للأمام بصحبة رئيس الأركان ليكون معه دائما ولكن فى المكان الصحيح فى المعركة مضحيا بمبدأ السيطرة وهو أقل الضررين وخاصة بعد خلو

منطقة الأمن التعبوية للقوات من القوات الضاربة .

ليس هناك بديل آخر لتحقيق رغبة القائد العام فى بقائه بالقاهرة بجانب رئيس الجمهورية سوى تعيين قائد عام للجبهة يعطيه كل مسئولياته وسلطاته واختصاصاته بالنسبة لجميع القوات الموجودة فى الجبهة وفى هذه الحالة يفقد القائد العام هيبته وسمعته القيادية .

وبذا كان هذا الخطأ الشخصى من الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة المصرية بداية عجز فاعلية القيادة العامة فى القيادة والسيطرة على القوات فى الميدان خاصة بعد ان فقدت المبادأة الميدانية بعد أسبوع واحد من عملياته الناجحة .

وكانت هذه السلبية من القائد العام للقوات المسلحة بتواجده فى المركز (١٠) فى القاهرة طوال المعركة هى التى جعلت احساس الشعب الواعى يردد « ان السياسة هى التى ادارت حرب اكتوبر من القاهرة وان السادات يحارب معركة سلام وليس معركة تحرير » وكان من الطبيعى أن تنتهى بالفشل .

ثانيا ـــ سرعة نقل المعلومات ودقتها

ان سرعة نقل المعلومات الميدانية من الأمام الى الخلف ودقتها لها أهمية بالغة جدا خاصة فى العمليات التصادمية والهجومية . حيث ان المواقف العسكرية لكلا الجانبين تتسم بالتغيير السريع . بما يلزم الخروج عن الأسلوب العادى المتبع فى أوقات السلم أو فى حالات الدفاع الثابتة لحيوية وأهمية المعلومات ومكانها وتوقيتها ، كذا سرعة انتقالها الى مصدر القرار أو صانعه على المستويات المختلفة الميدانية . ومثال على ذلك ماقام به العدو بعبور مفرزة قواته القناة وماتلاها من تدفق قواته ليلة ١٦/١٥ اكتوبر عبر قناة السويس عند الدفرسوار هى معلومة هامة جدا وخطيرة جدا كان يتحتم وصولها الى القيادة العامة رأسا وبسرعة منذ بدايتها وبصرف النظر عن المصدر الذى علم به .

وصلت أول معلومة فى الساعة ١... فجر يوم ١٠/١٦ ونقلت فورا عن طريق خط معلومات وبلاغات الدفاع الجوى الى أن وصلت الى المركز (١٠) حيث تلقاها الفريق الشاذلى رئيس اركان القوات المسلحة المسئول عن السيطرة على القوات وكان رد فعله « أين أجهزة استطلاع الجيش الثانى المسئول عن هذا القطاع » وتصوره عن التصرف السليم ازاء هذه المعلومة الخطيرة انتظارا لوصولها من القيادة المسئولة وبالتسلسل الطبيعى الروتينى طبقا لتفكيره وهو وحدات استطلاع الجيش الثانى ـــ فقيادة الجيش الثانى فالقيادة العامة . رغم علمه اليقينى بتواجد وحدات استطلاع الجيش الثانى فى شرق القناة وان هذا الحدث وقع فى غرب القناة . وبذا تأخر اتخاذ الاجراء المضاد السليم حتى يوم ١٠/١٧ حيث تمكن العدو من اجتياز المرحلة الزمنية الحرجة وقدرها ٣٦ ساعة دون اعتراض أحد من القوات المصرية واستفحل الأمر وصعب بعد ذلك حصاره أو منعه .

كما ان عدم متابعة المعلومات على مستوى القيادة العامة بالنسبة لحجمها جعل التقدير العام فى المركز (١٠) وهو يبعد ٢٠٠ كم تقريبا عن الحدث الخطير مضللا حتى يوم ١٩٧٣/١٠/١٨ بزعم أن قوة

العدو مازالت ٧ــ٨ دبابات مما استتبع قرار القيادة العامة بتوجيه قوة غير مناسبة مكونة من مجموعة ١٢٩ صاعقة من ٢ كتيبة للتصدى لفرقتين مدرعتين من العدو وهو الأمر الذى يؤكد عدم دقة المعلومة كذا تأخيرها فى الوصول الى صانع القرار القابع فى مركز قيادته بعيدا عن مكان الحدث ٢٠٠ كم تقريبا .

ان تأمين نقل المعلومات وسريتها من الأهمية بمكان تماثل سرعة نقلها ودقتها تماما ، حيث أن أى خلل لجهاز السيطرة فى القوات على المسافات البعيدة يؤدى الى فقد تأمين هذه المعلومات على جميع المستويات مما قد يتسبب فى تزييفها أو فقد أهميتها . وتلاحظ من دراسة معارك اكتوبر ١٩٧٣ أن أجهزة السيطرة فى القوات كانت مؤمنة نسبيا لوقوعها فى نطاق وسائل الاتصالات داخل نطاق قواتنا غرب القناة طوال فترة تطبيق خطة العبور .

لو كان القائد العام فى مقره المتقدم فى وادى القمر لشعر بجو المعركة ولأصبح الحس فى التقديرات العسكرية متقاربا بين القادة الموجودين معا فى مسرح العمليات نفسه أى لا يختلف التقدير بين قادة الجيوش والقائد العام الذى لايبعد عنهم اكثر من ١٠ كيلومترات . وبناء على هذا الاحساس والتقدير المتوازن تكون قرارات قادة الجيوش والقائد العام متوافقة ومتكاملة والأمثلة على عدم التوافق تتبين فى الخلاف بين قادة الجيوش وبين القائد العام ، وبين القائد العام ورئيس اركانه ، وبين رئيس الأركان وقادة الجيوش فى الوقائع التالية :

١ ــ قرار تحريك الفرقتين المدرعتين شرقا لرفع الضغط على جبهة الجولان .
٢ ــ اعتراض جميع القادة حتى مستوى قادة الفرق فى تنفيذ عمليات الهجوم شرقا بواسطة أربعة لواءات مدرعة متفرقة يوم ١٩٧٣/١٠/١٤ واستدعاء قائدى الجيشين الى المركز (١٠) فى القاهرة بدلا من انتقال القائد العام اليهما فى الأمام .
٣ ــ النزاع الذى شب من أجل اعادة اللواءات المدرعة التى فشلت فى الهجوم ١٠/١٤ الى الغرب مرة أخرى .
٤ ــ النزاع الذى شب من أجل القضاء على الثغرة من الغرب بدلا من الشرق .
٥ ــ النزاع الذى شب من أجل اعادة اللواءات المدرعة وكتائب المدفعية المضادة للدبابات « المالوتكا » الى وحداتها الأصلية بعد نجاح عملية العبور .

وأخيرا فان سرعة اصدار القرار وتأمينه بالسرية يصبح مكفولا للقوات فى حالة تواجد القائد العام فى الامام حيث تضمن سرعة ودقة وتأمين المعلومات بين مركز القيادة العامة المتقدم وبين التشكيلات الميدانية وبالعكس .

ثالثا ــ تقديرات المواقف الميدانية واصدار أوامر سريعة

ان الموقف العسكرى لقواتنا وقوات العدو شرق قناة السويس مساء يوم ٨ أكتوبر وصباح يوم ٩ أكتوبر كان يقتضى قرارا حاسما وسريعا من القائد العام للقوات المسلحة لانتقال القوات المصرية من حالة الدفاع فى رؤوس الكبارى الى عمليات تصادمية متحركة بهدف التقدم الى المضايق الاستراتيجية فى

سيناء واحتلالها ، والتى تعتبر من الناحية العسكرية هي الحد الأمامى لتأمين قواتنا الموجودة شرق القناة . ولايمكن بالقطع تقدير الموقف الحقيقى لاصدار مثل هذا القرار الا بعد توفر المعلومات الدقيقة عن قوة وأوضاع وقوات العدو ثم عرض الموقف على القائد العام لاستصدار قرار بتطوير العمليات الهجومية الرئيسية .

كيف تم هذه الاجراءات ومصدر القرار بعيد فى القاهرة فى المركز (١٠) بمعنى أن سبل المعلومات عن الموقف العام على طوال المواجهة يلزم توصيله أولا الى القاهرة حيث تم الدراسة لاستصدار القرار الحاسم فى الوقت الملائم ولعل ذلك هو الذى دعا القائد العام للقوات المسلحة وهو موجود فى القاهرة أن يصدر قرارا بوقفة تعبوية اعتبارا من يوم ٩ أكتوبر للتفكير فيما يجب ان تفعله القوات بعد ذلك وقد وصلت الى أهدافها المباشرة المحددة فى توجيهات الرئيس .

ان قرار الوقفة التعبوية الذى أصدره الفريق أول أحمد اسماعيل على كان قد سبقه تعليمات الفريق الشاذلى وقادة الجيوش بضرورة تأمين القوات فى اماكنها التى وصلت اليها يوم ٩ أكتوبر وذلك بوضع الألغام والموانع الصناعية لتأمين منطقة رؤوس كبارى فرق المشاه الخمسة على الجانب الشرقى للقناة . الأمر الذى يوحى بأن المقصود من الوقفه التعبوية هو نهاية المعركة دون الافصاح علانية عن ذلك .

معنى ذلك ان مدى المعركة قد انتهى عند هذا الحد من واقع أن وضع الألغام امام الحد الأمامى للقوات شرق القناة يعنى تثبتها فى هذه الأوضاع الدفاعية .

وهناك موقف آخر يدلل على عدم استيعاب القائد العام للموقف على جبهة القتال يوم ١٩٧٣/١٠/١٢ ، عندما انصاع الى تحقيق رغبة رئيس الجمهورية باتخاذه قرار نقل قوات الفرقتين المدرعتين ٤ و٢١ الى شرق القناة ليلتى ١٣ و١٤ اكتوبر ١٩٧٣ والذى تلازم مع وصول ثلاث فرق مدرعة اسرائيلية الى الجبهة فى نفس يوم اصدار القرار أى أن الموقف يستدعى تقديرا جديدا يضع فى الاعتبار زيادة ملحوظة فى قدرات العدو تجبر القائد العام لاتخاذ مواقف دفاعية وليس قرارا بالهجوم .

رابعا ــ البيروقراطية العسكرية

من دراستى لمعارك اكتوبر ١٩٧٣ وجدت أحداثا كثيرة كان سببها الأساسى البيروقراطية وتأثيرها المباشر على سواء النتائج وبتحليل مسببات هذه النتائج السيئة وجدتها تتجه دائما الى هذا الطابع المثبط للهمم كما وجدت أن انتشارها فى القوات المسلحة خلال معارك اكتوبر يرجع الى العوامل التالية :

١ ــ استحواذ الرئيس السادات منفردا لسلطات القرار بالقوات المسلحة بوصفه قائداً أعلى وامتداد سيطرته ليكون قائدا عاما "للقوات" . . .

٢ ــ سيطرة البيروقراطية القديمة على تصرفات القائد العام وقراراته حتى هبط عن التطبيق الى مستوى مخالف للقواعد الأساسية ولمبادىء الحرب وتطبيقاتها فى الميدان الأمر الذى أدى الى اجهاض معنويات وحركة قواته فى الميدان بل وعرضها فى أحد مواقع العمليات الى الهلاك .

٣ ـــ تردد القادة المرؤوسين للتصرف فى الأمور الطارئة انتظارا لتعليمات القيادة العامة بسبب تركيز السلطات فيها .

وفى ما يلى أمثلة لآثار هذه العوامل فى سير العمليات الحربية فى الميدان :

الجيش الثانى الميدانى

١ ـــ استنجاد القائد العام بالرئيس السادات ليلة ٢٠/٢١ اكتوبر لفصل الخلاف بينه وبين رئيس الأركان الخاص بطلب الأخير سحب لواءات مدرعة من شرق القناة لدعم القوة المقابلة غرب القناة . ويمثل هذا الموقف فى حد ذاته تأكيدا صريحا للعوامل السابق ايضاحها عن تدخل رئيس الجمهورية فى ادارة العمليات فضلا عن افتقاره للخبرة الميدانية .

٢ ـــ تمركزت الفرقة ٢١ مدرعة مع الفرقة ١٦ مشاه فى قطاع واحد شرق القناة اعتبارا من صباح يوم ١٤ اكتوبر ١٩٧٣ وكان من الواجب فى مثل هذه الحالات تعيين قيادة ميدانية تقود وتسيطر على الفرقتين معا حيث كانت البيروقراطية عائقا لتحقيق ذلك كما يلى :

ا ـــ تولى قائد الفرقة ١٦ مشاه قيادة رأس كوبرى الموحد المكون من الفرقة ٢١ مدرعة والفرقة ١٦ مشاه بوصفه أقدم من قائد الفرقة ٢١ مدرعة .

ب ـــ أصيب قائد رأس الكوبرى الموحد واخلى من المسرح صباح يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ وتولى القيادة رئيس اركان الفرقة ١٦ مشاه وهو أقدم الموجودين من القادة .

جـ ـــ اعترض قائد الفرقة ٢١ مدرعة على القيادة الجديدة واتصل بالقائد العام فى القاهرة الذى أمر بتكليف رئيس اركان الجيش الثانى الميدانى وهو اقدم الموجودين بتولى مهمة قيادة رأس الكوبرى الموحد .

د ـــ تولى رئيس اركان الجيش الثانى قيادة رأس الكوبرى الموحد حتى ١٠/١٨ ، وتولى بعده قائد الفرقة ٢١ مدرعة بأوامر من الفريق سعد الدين الشاذلى ، بالرغم من أن قائد الفرقة ١٦ مشاه المسئول عن رأس الكوبرى الموجود أقدم منه وهو تقليد غير مشروع فى أسلوب وقواعد القيادة فى الميدان .

وهكذا كان عدم استقرار قيادة الفرقتين معا سبب فى فشل عملياتهما .

٣ ـــ وصل الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان القوات الى قيادة الجيش الثانى يوم ١٠/١٨ بأوامر من السادات وفرض نفسه على هذه القيادة وأصدر التعليمات والأوامر وبجانبه قائد الجيش المعين حديثا مستمعا . وكان الأفضل للفريق الشاذلى أن يحضر الى المسرح فى القطاع الأوسط ومعه مجموعة قيادة ميدانية كى يتولى القيادة والسيطرة على المسرح كله اعتبارا من ١٠/١٤ ـــ اليوم الذى تقرر فيه بدء عمليات الهجوم شرق القناة بدلا من حضوره يوم ١٠/١٨ حيث كان الموقف فى رأس الجسر الموحد شرق القناة قد وصل الى درجة من التخلخل فى القيادة والتفسخ الذى أصاب نظم السيطرة .

٤ ـــ يوم ١٩ اكتوبر كلفت القيادة العامة مجموعة ١٣٩ صاعقة بمهام قتالية فى نطاق عمل الجيش

الثانى دون اخطاره ، الأمر الذى استحال معه تقديم معاونه أو تنسيق بين وحدات الجيش وبين المجموعة ١٣٩ صاعقه .

٥ — القيادة العامة تصدر تعليماتها بتكليف كتيبة مدرعة من لواء الحرس الجمهورى بالتحرك الى المحسمة لتكون احتياطى الجيش الثانى دون اخطار قيادة الجيش بذلك . وبعد وصولها الى المحسمة تصدر القيادة العامة تكليفا آخر للكتيبة مباشرة للانتقال من المحسمة (الجيش الثانى) الى تجميع الفرقة ٤ مدرعة احتياطى عام الجيش الثالث .

٦ — ألغت القيادة العامة الأمر الذى أصدره قائد الجيش الثانى بسحب اللواء ١٥ مدرع من القنطرة شرق الى غرب القناة دون اخطار قيادة الجيش بذلك وذلك بعد تقديم قائد الفرقة ١٨ مشاه التابع لها لواء ١٥ مدرع ببلاغ هاتفى مباشر الى القيادة العامة معترضا على قرار قائد الجيش الميدانى وهو تابع له وكان رد القائد العام له بعدم تنفيذ قرار قائد الجيش .

وأمثلة كثيرة من هذا النوع.. تم اتصالات هاتفية مباشرة من قادة الفرق الى القيادة العامة مباشرة حيث تم خلالها الغاء أوامر صدرت لقادة الفرق من قيادة الجيش .

٧ — فى يوم ١٠/١٩ الساعة ١٣٠٠ أبلغت القيادة العامة قيادة الفرقة ٢١ مدرعة بأن تقتحم قرية الجلاء وتدمر العدو الموجود بها تحددت الساعة ١٦٠٠ نفس اليوم لبدء الهجوم . وفى الساعة ١٥٣٠ أبلغت القيادة العامة قيادة الفرقة بايقاف الهجوم والتمسك بالخط الذى وصلت اليه الفرقة .

كل هذه التعليمات تصدر مباشرة من المركز (١٠) بالقاهرة الى قيادة الفرقة ٢١ مدرعة دون أن تحاط قيادة الجيش الثانى الذى تتبع له هذه الفرقة .

الجيش الثالث الميدانى

أما بالنسبة لأحداث الجيش الثالث الميدانى المأساوية فان الضغط الذى نشأ من اندفاع القوات المدرعة الاسرائيلية الى الجنوب مهددة النطاق التعبوى للجيش مع عدم وجود احتياطى مدرع لمواجهة هذا الضغط قد اضاف الى سوء التخطيط للعمليات فكونت معا مأساة ضخمة أنهت معارك أكتوبر ١٩٧٣ لصالح العدو .

١ — فمنذ البداية وبعد نجاح عملية العبور . بدأ اللواء (١) المشاه الميكانيكى من قوة الفرقة ٦ مشاه ميكانيكى من رأس كوبرى الجيش الثالث متجها الى رأس سدر فى طريقه للوصول الى أبو رديس على الشاطىء الشرقى لخليج السويس وذلك بالتعاون مع ٤ سرايا صاعقة تنقل جوا بطائرات هليوكوبتر من الشاطىء الغربى لخليج السويس الى مناطق أبو رديس على الشاطىء الشرقى للخليج.

وبرز موضوعان هامان أمام مخطط العمليات : **أولهما** موضوع القيادة والسيطرة . والموضوع

الثانى ــ تنسيق التعاون بين القوتين المشتركتين فى العملية ــ الأولى هى قيادة اللواء الميكانيكى التابع للفرقة ٦ مشاه ميكانيكى والملحق على الفرقة ١٩ مشاه من الجيش الثالث الميدانى والثانية هى قوة كتائب الصاعقة الملحقة على منطقة البحر الأحمر العسكرية والتى تفصلها عن مسرح العمليات عرض خليج السويس المائى . وقررت هيئة عمليات القوات المسلحة أن توكل مسئولية القيادة والسيطرة الى ثلاث قيادات ميدانية على التوالى الأمر الذى جعل من المستحيل عمليا اتمام القيادة والسيطرة على الوجه الأكمل طوال عملية اللواء ، فشل اللواء الأول الميكانيكى بسبب سوء ادارته وضعف السيطرة واضطرت القيادة العامة الى اصدار قرارها بانسحاب اللواء الى رأس كوبرى الفرقة ١٩ مشاه والغاء العملية كلية .
وهنا يدور التساؤل ــ ماذنب ٤ سرايا صاعقة يتم ابرارها يوم ٦ ، ٨ اكتوبر للتعاون مع هذا اللواء الذى لم يصل الى ابو رديس وماهى وسيلة اعادتهم من الشاطىء الشرقى الى الشاطىء الغربى وقد فشل وصول اللواء الى هدفه على محور فرعى ليس له أى تأثير على تطورات العمليات على جبهة قناة السويس منذ البداية .

٢ ــ تسلط الرئيس السادات وتدخله فى الشئون الميدانية للقوات دون علم أو معرفة ، الأمر الذى يحول المناقشة الى قوة ضغط غير قابلة للنقاش أو المراجعة . وظهر ذلك عندما استدعاه الفريق أول احمد اسماعيل على عجل الى المركز (١٠) لحسم الخلاف الذى نشأ من أسلوب دفع اللواء ٢٥ مدرع مستقل من الجيش الثالث لضرب مؤخرة العدو من شرق القناة . كان رئيس الأركان وقائد الجيش الثالث وقائد اللواء ٢٥ مدرع ومعظم هيئة القيادة يعارضون القائد العام فى تحرك هذا اللواء مسافة ٣٠ كم شرق البحيرات المرة فى أرض طبيعتها سخية يسيطر عليها العدو تماما وبعيدا عن حماية قواتنا الأرضية أو الدفاع الجوى .

ولكن الرئيس السادات أيد رأى القائد العام وأظهر غضبه واستياءه وتهديده للقيادة وكان نتيجة هذا التسلط هو حصار هذا اللواء المدرع من الأجناب والمواجهة بواسطة كمائن مدفعية مضادة للدبابات صاروخية يساندها ، لواء مدرع وقصف جوى مركز انتهى بتدمير أكثر من ٦٠ دبابة من هذا اللواء واستشهاد قائده وفشل كامل لتخطيط عملية القضاء على ثغرة الدفرسوار من الشرق ١٩٧٣/١٠/١٧ .

٣ ــ قيام لواء ١١ ميكانيكى من قوة الفرقة ٧ مشاه بالهجوم على محور الجدى الساعة ٦٫٣٠ يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ ضمن مخطط اكبر يشمل هجوم أربعة لواءات مدرعة منفصلين على طوال المواجهة .

تأجل هجوم جميع اللواءات المدرعة والميكانيكية الى الساعة ٦٫٣٠ يوم ١٠/١٤ ولكن قرار التأجيل لم يصل الى قيادة الفرقة ٧ مشاه التابع لها اللواء ١١ ميكانيكى بسبب خطأ شعبة عمليات الجيش الثالث فى عدم توصيل الأمر الى قيادة الفرقة ٧ مشاه .

نفذ قائد الفرقة ٧ مشاه ودفع اللواء بعد اجراء تحضيرات الهجوم ووحدات الدعم فى الساعة ٦٫٣٠ يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ حسب التعليمات السابقة قبل التأجيل .

لواء ميكانيكى يقوم بالهجوم منفردا على جبهة الجيش الميدانى شرق القناة فى اتجاه ممر الجدى ويبدأ الساعة ٦٫٣٠ صباح يوم ١٠/١٣ ويستمر حتى الظهر ولايعلم أحد فى جبهة الجيش الثالث عنه شيئا !! ــ أين قيادة الجيش الثالث ــ أين قيادات الفرقة المجاورة ، أين القيادة العامة وأجهزة استطلاعها ؟

٤ ــ اعتبارا من يوم ١٩٧٣/١٠/٢٢ فقدت السيطرة على الوحدات الادارية والفنية والاعاشة الموجودة فى النطاق التعبوى للجيش الثالث كذا فى قيادته المتقدمة . الأمر الذى أثار التساؤل بالنسبة للأفراد عندما اقتربت دبابات العدو الى مواقع هذه الوحدات ، وكان من ضمنها مواقع الصواريخ سام ــ هل هى دبابات العدو أم دباباتنا ، وكانت مفاجأة ارتبكت معها جميع القيادات فى هذا القطاع .

٥ ــ ان مجرد سرد ماتم بالنسبة الى وحدات الفرقة ٦ مشاه ميكانيكى المتمركزة فى هذا القطاع وتفتيت وحداتها منذ بداية العمليات وفشل هذه العمليات والخسائر الكبيرة التى اصابتها ثم تكلف هذه الوحدات المفتتة بواجبات دفاعية عاجلة لصد تقدم اللواءات المدرعة الاسرائيلية فى المنطقة التعبوية للجيش الثالث غرب قناة السويس هى عمليات يائسة لاينتج عنها سوى زيادة الخسائر للأفراد والمعدات .

وماذا يمكن أن يحققه اسلوب القيادة والسيطرة مع هذا التفتيت والتشتيت المتناهى لوحدات هذه الفرقة ؟ .

٦ ــ ان ماحدث للقيادة المتقدمة للجيش الثالث الميدانى يوم ١٠/٢٤ ليعطى صورة حية للموقف العسكرى والمعنوى الذى اتسمت به جميع فلول الوحدات الأخرى الموجودة فى هذا القطاع . وذلك عندما اقتربت دبابات العدو الى ملاجىء القيادة المتقدمة للجيش الثالث وكان بها قائد الجيش لواء عبد المنعم واصل ــ ومساعد قائد الجيش ورئيس اركان الجيش ورئيس عمليات الجيش ــ ورؤساء أفرع عمليات الجيش ــ وكانت الصدفة البحتة التى صرفت نظر العدو فى اجتياح مركز قيادة الجيش الثالث وأسر من فيه . وأستمر العدو فى تقدمه متخطيا مركز قيادة الجيش مما دعا للظن بهلاكهم وأسرهم وبادر القائد العام بتعيين لواء محمد فائق البوريني رئيس هيئة تدريب القوات المسلحة قائدا للجيش الثالث يوم ١٩٧٣/١٠/٢٤ ثم تبين بعد فترة أن قيادة الجيش الثالث لجأت الى مقر القيادة الخلفية وأن جميع قياداتها أحياء يرزقون .

عودة الى الماضى القريب

والغريب فى أمر هذا الطابع اللعين « البيروقراطية العسكرية » التى تجد طريقها ميسورا كلما سنحت لها الظروف والمواقف مع تواجد قادة عسكريين ليسوا على مستوى الوعى السياسى والعقائدى فى ادراك

ضرر هذه البيروقراطية وتأثيرها على سمعة وسلوك وعمليات القوات المسلحة فى الميدان .

كان المشير عامر هو المسيطر وصاحب القرار النهائى فى القوات المسلحة عام ١٩٦٧ وهو نفس الموقف بالنسبة للرئيس السادات حيث كان المسيطر وصاحب القرار النهائى فى القوات المسلحة عام ١٩٧٣ ، مع وجود قائد عام للقوات ، الأمر الذى كان له تأثير ضار على اسلوب القيادة والسيطرة كذا فى ادارة عمليات كلتا المعركتين كالآتى :

١ ـــ فى أسلوب القيادة والسيطرة

(أ) كانت الأوامر والتعليمات والتوجيهات حتى المصيرية منها تصدر من المشير عامر الى القيادات الميدانية مباشرة متجاوزا قيادة الجبهة وقيادة الجيش الميدانى مثلما حدث لقرار المشير فى انسحاب القوات المسلحة من سيناء الى غرب قناة السويس مباشرة ، وفى ليلة واحدة دون أسلحتهم الثقيلة الى قائد الفرقة الثانية المشاه بالعريش ، والذى نفذ أمر المشير ولم يخطر باقى التشكيلات أو القيادات فى سيناء .

وهو نفس ماحدث فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ حين أصدر القائد العام أوامره الى قادة الفرق المشاه دون أن يخطر قادة الجيوش بل تمكن فى بعض المواقف من تكليف وحدات من الاحتياطى بالقاهرة للقيام بعمليات عسكرية فى نطاق الجيوش الميدانية دون أن يخطر قادة الجيوش .

(ب) قام المشير عامر فى يونيو ١٩٦٧ بتفتيت القوات وانتزاع وحدات صغرى كتيبة وسرية من أصول تشكيلاتها الميدانية ونقلها الى وحدات أخرى تعمل فى محاور أخرى . كذا انتزاع أجهزة لاسلكية ومدافع مضادة للطائرات من تنظيم وحداتها كى يدعم بها وحدات أخرى كان المشير يركز اهتمامه عليها اكثر من غيرها مثلما تم بالنسبة لاستكمال النقص الخطير فى « قوة صد وتدمير مدرعات العدو » والتى أنشأها ارتجالا بعد انتشار وفتح القوات للمعركة فى سيناء ولكن على حساب قدرات التشكيلات الميدانية الأصلية .

وهو نفس ماحدث فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ حيث قام القائد العام بتفتيت الفرق الثلاث الميكانيكة الى لواءات ثم انتزع اللواء المدرع من كل فرقة وقام بتوزيعه على فرق مشاه مكلفة بالعبور دون أن يكون لها دور أساسى أو هام فى عملية العبور كما قام بانتزاع جميع كتائب المدفعية المضادة للدبابات الصاروخية الطويلة المدى « المالوتكا » من تشكيلاتها المتمركزة غرب القناة . كذا فى تشكيلات احتياطى القيادة العامة . وعندما اجتاحت قوات العدو المدرعة بعد نجاح ثغرة الدفرسوار ، وهاجمت الوحدات الموجودة غرب القناة لم تجد هذه الوحدات دباباتها أو مدفعيتها المضادة للدبابات السابق انتزاعها منها كى تدافع عن كيانها وتمنع العدو من التوغل فى الضفة الغربية للقناة .

٢ ــ فى ادارة العمليات

(أ) أمر المشير عامر فى يونيو ١٩٦٧ تحريك الاحتياطى الاستراتيجى والاحتياطى العام من مراكزهما فى الخطة الدفاعية لسيناء الى مهام أخرى ، الأولى فى المطلة (المحور الجنوبى) نسق ثانى القوات . والثانية فى منطقة شرم الشيخ (محور منفصل) . وعندما اخترقت القوات الاسرائيلية المحور الشمالى فى سيناء متقدمة الى قناة السويس لم يجد المشير الاحتياطى الاستراتيجى أو الاحتياطى العام فى متناول يده كى يصد به هذا الاختراق الضعيف المكون من عشرين دبابة مدعمة بكتيبة مشاه ميكانيكى .

(ب) وفى اكتوبر ١٩٧٣ وبسبب قرار الرئيس السادات المفاجىء بضرورة تنفيذ عمليات هجومية إضافية أجبر القائد العام باستخدام وتحريك الفرقتين المدرعتين ٤ و٢١ من غرب القناة الى شرقها ترتب عليها تمكين القوات الاسرائيلية من اختراق فى الدفرسوار ونقل المعركة الى غرب القناة واجتياح الضفة الغربية للقناة وحصار الجيش الثالث ومدينة السويس .

٣ ــ وفى القرار

كانت قرارات المشير عامر الانفرادية فى يونيو ١٩٦٧ من تغير التخطيط العسكرى المقرر والمصدق عليه منذ عام ١٩٦٦ أربع مرات خلال ٢٠ يوما (المدة من ٤/١٥ حتى ١٩٦٧/٦/٥) وماترتب على ذلك من تعديل أوضاع القوات المسلحة أربع مرات .

وكان ذلك مشابها لما قام به الرئيس السادات منفردا فى أكتوبر ٧٣ بالتغيير المتتالى للاتجاهات المخططة من قبل بدءا بقرار الحل السلمى ، ثم العودة الى قرار الحرب مع تحديد حجم المعركة لتكون محدودة قاصرة ، ثم قرار الاكتفاء بالعبور ، ثم الدفاع الثابت ، ثم القيام بالهجوم بعد قرار تثبيت القوات فى وقفة تعبوية ... الخ .

وكما تمثل فى تعامله مع الاتحاد السوفيتى من الاشادة بمواقفه المساندة لقواتنا وطلبه استبقاء الوحدات والمستشارين ثم انقلابه المفاجىء بالاستنكار ــ على غير الحقيقة ــ بمواقفهم ثم قرار استبعادهم .وفقد استمرارية امدادنا بالأسلحة والمعدات والذخيرة وجميع هذه القرارات كانت تتم دون الرجوع أو استشارة من الأجهزة الدستورية المختصة أو القائد العام .

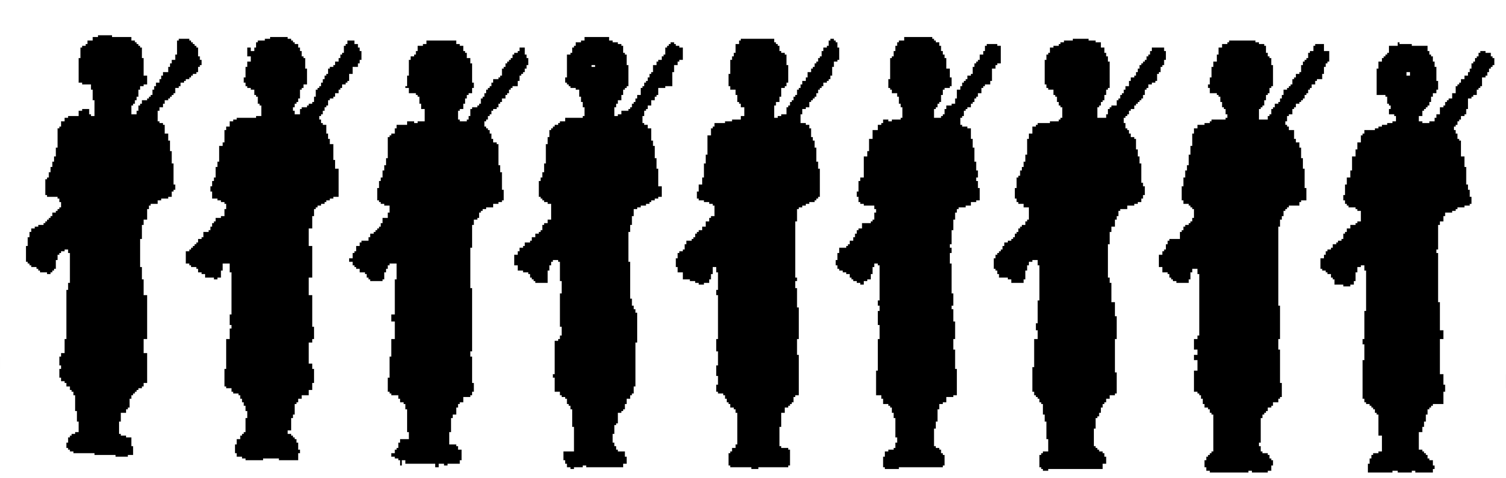
إن أخطر الأمور تأثيرا على العمليات الحربية هو عدم تحديد الهدف النهائى والتمسك به والحفاظ عليه حيث تصبح تصرفاتنا دون ذلك مجرد ردود فعل للخصم وهو مايؤدى فى النهاية الى فقد الثقة فى القائد وفى الهدف .

٤ ـــ وفى الاتصالات المباشرة

ومثلما كان المشير عامر فى يونيو ١٩٦٧ يتصل هاتفيا بقادة الفرق واللواءات رأسا وهم المقربون اليه والمعروفون بأهل الثقة دون الرجوع الى قادتهم فى الميدان، فان الرئيس السادات اعتاد الاتصال هاتفيا مباشرة مع قادة الفرق المدرعة ويملى عليهم بتعليماته دون اكتراث بالقائد العام ورئيس الأركان. والنتيجة النهائية لكل هذه التصرفات التى لاتستقيم مع أصول القيادة والسيطرة فى ميدان المعركة، فان الأخطاء التى حدثت فى معركة يونيو ١٩٦٧ قد تكررت بذاتها فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ .

الفصل الثاني عشر

المفاوضات الثنائية



أولا ــ مفاوضات قصر الطاهرة

افتتح الرئيس السادات مرحلة المفاوضات الثنائية المباشرة بلقاء هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى يوم ١٩٧٣/١١/٧ فى قصر الطاهرة منفردا حيث اتفقا على ست نقاط كانت رئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير قد طلبت من كيسنجر عرضها على الرئيس السادات للموافقة وتلخصت فى الآتى :

١ ــ التزام الطرفين المتحاربين بدقة وقف اطلاق النار .

٢ ــ تسوية مسألة العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ضمن اطار اتفاق يشمل الفصل بين القوات تحت اشراف هيئة الأمم .

٣ ــ تموين مدينة السويس بامدادات يومية من الأطعمة والمياه والأدوية على أن يتم اخلاء الجرحى المدنيين منها .

٤ ــ عدم اعاقة الامدادات غير العسكرية الى الضفة الشرقية للقناة .

٥ ــ احلال نقط مراقبة الأمم المتحدة محل النقاط الاسرائيلية على طريق القاهرة السويس وعند نهاية الطريق قرب مدينة السويس ويمكن للضباط الاسرائيليين المشاركة مع أفراد الأمم المتحدة فى الاشراف على طبيعة هذه المؤن .

٦ ــ يتم تبادل الأسرى الجرحى بمجرد اقامة نقط المراقبة التابعة للأمم المتحدة على طريق القاهرة ــ السويس .

وكانت المادة الثانية من اتفاق قصر الطاهرة هى أبرز النقاط اذ تنازل بموجبها الرئيس السادات عن حق مصر فى ضرورة التمسك بعودة القوات الاسرائيلية الى خط ٢٢ أكتوبر شمال مدينة السويس بأكثر من عشرين كيلومترا، الأمر الذى يجبر القوات الاسرائيلية باخلاء الحصار عن الجيش الثالث ومدينة السويس (*) .

كما تم فى لقاء قصر الطاهرة بعض اتفاقات ووعود جانبية كان أهمها :

(*) كانت اسرائيل تدعى أنها لايمكنها تحديد خط ٢٢ أكتوبر على الطبيعة .

(أ) وعد من الرئيس السادات ببذل كل جهوده لانهاء حظر البترول العربى .
(ب) وعد من الرئيس السادات بتلخيص حصار باب المندب .
(جـ) الاتفاق على اعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية(*) .
(د) وعد من هنرى كيسنجر للرئيس السادات ينص على « اذا كانت مصر تريد استرجاع أراض فعليها الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية وليس على السوفييت » .

وكان لهذا الوعد الأخير أثره الكبير فى تواجد الثقة بين الرئيس السادات وبين هنرى كيسنجر فى أول لقاء بينهما فى قصر الطاهرة .

وكان الرئيس السادات قد بعث وزير الخارجية « اسماعيل فهمى » الى واشنطن يوم ٣١/١٠/٧٣ يحمل مقترحات مصر عن المفاوضات ركزت على ضرورة انسحاب اسرائيل الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، كذا الربط بين تبادل أسرى الحرب والانسحاب الاسرائيلى الى هذا الخط . ولكن هنرى كيسنجر تمكن من اسقاط الطلب الرئيسى لمصر فى أول لقاء تفاوضى مع الرئيس السادات . وبذا خسرت مصر آخر فرصة تفاوضية تعتمد عليها فى مرحلة المفاوضات ضد الضغوط الاسرائيلية الناتجة عن انتهاكها لقرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ واستمرار زحف قواتها الى أن تمكنت من حصار الجيش الثالث ومدينة السويس .

كما أصبح واضحا ان الرئيس السادات قد تنازل نهائيا عن الأهداف السياسية لمصر وللأمة العربية التى كان يهدف الى تحقيقها قبل بداية العمليات الحربية وأثناءها كما جاء فى خطاباته الى هنرى كيسنجر يوم ١٠/٧ ويوم ١٠/١٠ وخطابه فى مجلس الشعب يوم ١٠/١٦ عندما أصر على ضرورة الربط بين وقف اطلاق النار المقترح من كل العواصم المعنية وبين التسوية السياسية العادلة (انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية واعادة حقوق الشعب الفلسطينى) .

دخل هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى وسيطا بين الطرفين المتحاربين مصر واسرائيل حاصلا على ثقة كل منهما بالرغم من مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لاسرائيل وتمكن من السيطرة على الأحداث فيما بعد واضعا نصب عينيه التفرقة بين الدول العربية بعضها البعض بأكثر مما استهدف تحقيق التسوية مع اسرائيل .

وخرج هنرى كيسنجر من قصر الطاهرة يوم ١٩٧٣/١١/٨ وأصبح للولايات المتحدة الأمريكية سياسة عربية لأول مرة عبر عنها كيسنجر بقوله « مادام العرب يدركون أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتخلى عن اسرائيلى فان واشنطن سوف تستخدم نفوذها فى استعادة الحقوق العربية » . وكان بعض الكتاب بمصر يطبقون القول العربى « ان عدو عدوى صديقى » . وبعد اجتماع واحد (اجتماع قصر

(*) قال الرئيس نيكسون فى هذه المناسبة « من أجل مصلحة اسرائيل يجب أن تصبح الولايات المتحدة الأمريكية صديقة لجارات اسرائيل وقادرة بذلك على التأثير على سياساتها وربما كبحها عوضا من أن تكون عدوة من غير اتصالات » .

الطاهرة يوم ١٩٧٣/١١/٧) اعاد الرئيس السادات القول ليصبح « صديق عدوى يمكن أن يكون صديقى » .

وبالرغم من بيان المجموعة الأوروبية الذى صدر فى ١٩٧٣/١١/٦ يطالب اسرائيل بتنفيذ القرار ٢٤٢ والانسحاب الى خط ٤ يونيو ١٩٦٧ الا أن الرئيس السادات لم يكترث بقوة وتأثير هذا البيان وانقاد الى اقتراحات ونصائح هنرى كيسنجر التى حددها فى الخيارين التاليين للرئيس السادات :

الخيار الأول : أن يعتمد على بيان السوق الأوروبية المشتركة وعلى الدعم السوفيتى ويصر على عودة اسرائيل الى خط ٢٢ اكتوبر وذلك سيكون صعبا ومربكا لنا ويحتاج الى بضعة اسابيع لتحقيقه وتتراجع اسرائيل بضعة كيلومترات قليلة على الضفة الغربية لقناة السويس ثم عليك أن تكرر هذه العملية باستخدام ضغوط أكثر الى أن تحصل بعد زمن ما وبصعوبة الى التوصل الى الفصل الحقيقى للقوات يؤدى الى تراجع اسرائيل عبر قناة السويس .

الخيار الثانى : وهو يعتمد على التعايش مع الأمر الواقع ـــ أى قبول الهزيمة وحصار الجيش الثالث ـــ الذى يمكن تحمله بفعل نظام من الامدادات غير العسكرية للجيش الثالث وأن الولايات المتحدة سوف تفعل كل مافى وسعها لترتيب فك الاشتباك حقيقى وواسع للقوات يتحرك الاسرائيليون بمقتضاه الى شرق قناة السويس . وسوف يكون الانسحاب هو أول انسحاب اسرائيلى من أرض عربية احتلت لفترة طويلة .

لم يفكر السادات كثيرا وقبل الخيار الثانى اذ أنه سوف يخلصه من حصار الجيش الثالث . هذا الحصار الذى لو طال لفقد السادات مركزه كرئيس للجمهورية كما أن الخيار الثانى سوف يظهره أمام المصريين وأمام العرب أنه أجبر اسرائيل بالانسحاب مرة واحدة الى شرق قناة السويس ، وطهر منطقة غرب القناة من الاحتلال الاسرائيلى .

كانت موافقة الرئيس السادات على الخيار الثانى تعنى افتقاده لفرصة الضغط الوحيدة المتاحة لديه وهى التمسك بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ وعودة القوات الاسرائيلية الى خط ٢٢ اكتوبر . وقد أيده فى ذلك بيان مجموعة الدول الأوروبية والاتحاد السوفيتى . بالاضافة الى أن موافقة الرئيس السادات على اقتراحات كيسنجر أصبحت بداية لربط سياسة مصر بسياسة واستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط .

وكان هنرى كيسنجر قد تمكن من اقناع الرئيس السادات من أول لقاء أن اهتماماته كرئيس للجمهورية وزعيم للأمة العربية وقائد أعلى للقوات المسلحة يجب أن يتركز على الموضوعات الكبيرة التى لها صدى استراتيجى وليس عن المسائل التكتيكية الصغرى وأن تراجع القوات الاسرائيلية مرة واحدة الى ماوراء قناة السويس وهو مايعنيه فى الخيار الثانى له رد فعل استراتيجى كبير وتعمد كيسنجر عدم ذكر الشروط الاسرائيلية المقابلة لهذا الخيار الثانى منذ البداية .

وذكر كيسنجر فى مذكراته عن هذا اللقاء القصير فى قصر الطاهرة يوم ١٩٧٣/١١/٧ أن السادات لم يحاول أن يساوم أو يناقش التحليل الذى طرحته عليه ولم يقدم بديلا أنه ببساطة قال انه يوافقنى على كل التحليل الذى طرحته ، كذا على كل المشروع الذى اقترحته وقد اقر السادات بأن الأمر كان حماقة وطيشا من مصر بأن تسعى الى تحقيق أهدافها من خلال مضايقات الولايات المتحدة الأمريكية وأن مصر خاضت مايكفيها من حروب .

وتناسى السادات أن مصر والدول العربية خاضت حروبا للدفاع عن النفس ضد التوسعات والطموحات الاسرائيلية التى تمت كلها بتأييد ومساعدة وتواطؤ الولايات المتحدة الأمريكية . وأن هنرى كيسنجر أمكنه بكل سهولة ومن أول لقاء اخضاع الرئيس السادات لأهداف الولايات المتحدة وحليفتها اسرائيل .

واستقر رأى الرئيس السادات بعد لقاء وزير الخارجية الأمريكى فى قصر الطاهرة يوم ١٩٧٣/١١/٧ على الأخذ بالاستراتيجية الأمريكية والتى أدت الى انحراف جذرى فى الاستراتيجية العربية المتفق عليها منذ قمة الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ . ووضح تراجع سياسة الرئيس السادات الجديدة عن دور مؤتمر جنيف لتحقيق التسوية الشاملة ، كذا استبعاد دور الاتحاد السوفيتى كشريك فى التسوية السياسية وتقليص دوره فى رفع وتنمية القدرة الدفاعية عن مصر .

ثانيا ـــ مفاوضات علامة كم ١٠١ طريق القاهرة السويس

بعد صدور قرارات مجلس الأمن الثلاثة ٣٣٨ ـــ ٣٣٩ ـــ ٣٤٠ وتوقف اطلاق النار اعتبار من يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ بدأ البحث عن الاجراءات الواجب اتخاذها لبدء المفاوضات المباشرة والضرورية والتى شملها القرار ٣٣٨ .

ـــ مفاوضات علامة كم ١٠١ هى مفاوضات عسكرية مباشرة بين العسكريين المتحاربين تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة . وعلامة كم ١٠١ طريق القاهرة السويس تعتبر الحد الجغرافى الفاصل بين القوات الاسرائيلية والقوات المصرية بعد انتهاء المعارك حيث احتلت اسرائيل مساحة تقدر ١٢٠٠ كم مربع من اراضى الضفة الغربية لقناة السويس . وكان اختيار هذا المكان لاتمام مفاوضات عسكرية بين العسكريين المصريين والاسرائيليين له وقع مؤلم لدى القوات المصرية والشعب المصرى أيضا . اذ أنها تقع ضمن الحدود الخلفية لمواقع الجيش الثالث الميدانى .

ـــ حددت مصر يوم ١٩٧٣/١٠/٢٩ لاتمام أول لقاء عسكرى بين مصر واسرائيل ولكن المفاوضات بدأت يوم الثلاثاء ١٩٧٣/١٠/٣٠ واستمرت حتى توقيت انعقاد مؤتمر جنيف الأول يوم ١٩٧٣/١١/٢١ . ثم استؤنفت المفاوضات مرة أخرى يوم ١٩٧٣/١٢/٢٦ حتى ١٩٧٤/١/١٨ حين أعلن الاتفاق العسكرى الأول بين مصر واسرائيل عن فض الاشتباك الأول على جبهة قناة السويس .

ـــ رأس وفد مصر العسكرى لواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ،

ورأس الجانب الاسرائيلي الجنرال ياريف مدير المخابرات العسكرية لاسرائيل والذى استدعى من الاحتياط عند قيام العمليات .

ــ تعتبر مراحل مفاوضات فض الاشتباك الأول مكملة لبعضها سواء التى بدأت فى قصر الطاهرة أو علامة كم ١٠١ أو مفاوضات واشنطن التى اشترك فيها رئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير ووزير خارجية مصر اسماعيل فهمى مع الادارة الأمريكية أو مفاوضات الرئيس السادات مع هنرى كيسنجر فى أسوان .

ــ ان الشعور العام فى اسرائيل عند بدء اجتماعات مفاوضات كم ١٠١ ــ هو أن وجود قواتها غرب القناة تعتبر شوكة فى قلب مصر وان تحركها من هذا المكان يجب أن يتم بثمن عال تدفعه مصر وان الزمن ليس فى صالح مصر وان قائد الجيش الثالث وأهالى السويس يضغطون على القيادة فى القاهرة مطالبين بامدادات غذائية ومياه وأدوية . وان مصر ليست من القوة التى تجبر اسرائيل على التراجع عسكريا ومصر تريد فتح ممر الى الجيش الثالث ومدينة السويس بسرعة .

١ ــ اجتماعات المرحلة الأولى

تلا ياريف مطالب اسرائيل العسكرية ولكن اللواء الجمسى ركز على ضرورة مرور قول غذائى للجيش الثالث الميدانى مقابل استلام ياريف كشفا باسماء الأسرى الاسرائيليين . وتم فعلا مرور قول تموين بالاضافة الى كمية دم « بلازما » تم تجهيزها بواسطة الطبيب الأحمر الدولى ، وتم تفتيش القول بمعرفة نقطة التفتيش الاسرائيلية عند علامة كم ١٠١ حيث وصل الى مستشفى السويس .

ــ وفى الاجتماع الثانى أصر الجمسى على عودة القوات الاسرائيلية الى خط ٢٢ أكتوبر بهدف فتح ممر الى قوات الجيش الثالث ومدينة السويس المحاصرتين . ولكن ياريف أدعى أنه لايعرف خطا اسمه ٢٢ أكتوبر وأصر على تبادل أسرى الحرب وأن اسرائيل لديها أكثر من ٨٠٠٠ أسير مصرى، بينما مصر لاتحتفظ سوى ببضع مئات فقط وتمسك ياريف على تنفيذ مطلبه . وأخيرا اتفق الجمسى وياريف على الآتى :

(أ) توافق اسرائيل على اخلاء جرحى الجيش الثالث والأسرى المصابين المصريين وتمرير مساعدات طبية لمدينة السويس .

(ب) توافق مصر على اخلاء الأسرى الاسرائيليين المصابين والسماح للصليب الأحمر بزيارة الأسرى عموما لدى الطرفين .

وهكذا تم اخلاء ٧٥ جريحا من الجيش الثالث نظير اخلاء أسير اسرائيلى واحد جريح هو الطيار الكابتن دافيد الذى أسر بعد تدمير طائرته الفانتوم مع سبع طائرات أخرى يوم ١٩٧٠/٦/٣٠ غرب القناة بواسطة شبكة الدفاع الجوى المصرى وتلا ذلك اخلاء باقى الجواسيس القدامى المحكوم عليهم بأحكام سجن مؤبد ومنهم باروخ مزراحى الشهير .

ــ وخلال اجتماعين آخرين لم يتم سوى تنظيم عملية تبادل جرحى الحرب فقط والذى ترك الى تصرف الصليب الأحمر الدولى .

وهكذا اقتصرت نتائج المرحلة الأولى من مفاوضات كم ١٠١ على تبادل جرحى الحرب ، ومرور قول غذائى وطبى لقوات الجيش الثالث ومدينة السويس . ثم اقترح ياريف انتقال المفاوضات الى جنيف حيث رافق رئيس الوزراء الاسرائيلى الى واشنطن .

ثالثا ــ مفاوضات واشنطن

تواجدت رئيسة وزراء اسرائيل « مائير » ووزير خارجية مصر « اسماعيل فهمى » مع المسئولين الأمريكيين نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر فى المدة من ١٩٧٣/١١/١ حتى ١٩٧٣/١١/٥ فى واشنطن ، حيث فهم الأخيران أن المشكلة الفلسطينية ليس لها أولوية بجانب مأساة الجيش الثالث وأرسل نيكسون خطابا الى الرئيس السادات يعده فيه ان اسرائيل ستفتح ممرا الى الجيش الثالث وانها لن تدمره أو تتركه يجوع .

بينما تصرح « مائير » فى الكنيست الاسرائيلى يوم ١٩٧٣/١١/١٣ وبعد عودتها من واشنطن « طالما ان الأسرى الاسرائيليين لم يتحركوا من القاهرة فلا جرام واحد من المياه أو الغذاء سوف يصل الى الجيش الثالث » .

رابعا ــ مؤتمر جنيف

عقد مؤتمر السلام فى جنيف فى ١٢/٢١ و١٩٧٣/١٢/٢٢ ورأس السكرتير العام للأمم المتحدة المؤتمر وشارك فيه وزراء خارجية الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ومصر والأردن واسرائيل ولم تشترك سوريا أو منظمة التحرير الفلسطينية .

كانت مسألة فض الاشتباك والفصل بين القوتين الاسرائيلية والمصرية على جبهة قناة السويس قد لاقت أهمية عاجلة وتشكلت **لجنة عسكرية**(*) لمناقشة الموضوع ولكنها لم تصل الى حل وتأجلت اللجنة وانتهى المؤتمر الى تحويل المسألة الى مفاوضات تستأنف فى علامة كم ١٠١ طريق السويس مرة أخرى .

وتوضحت ظاهرة مثيرة فى هذا المؤتمر خاصة باستبعاد جميع الأطراف المعنية فى الصراع عدا امريكا ــ مصر ــ اسرائيل فقط ثم بدأ نشاط كيسنجر من منتصف يناير ١٩٧٤ لاتمام فض الاشتباك والعمل على رفع حظر البترول فى نفس الوقت .

خامسا ــ مفاوضات فض الاشتباك الأول

فى يناير ١٩٧٤ سلم موشى ديان مشروعا اسرائيليا من أجل فك اشتباك القوات على جبهة قناة السويس الى هنرى كيسنجر فى واشنطن ، اعتبره الأخير أساسا صالحا لبدء مفاوضات ثنائية مباشرة مع الرئيس السادات مشابها للأسلوب الذى اتبعه فى مفاوضات قصر الطاهرة تماما حين قدمت جولدا مائير

(*) رفض الأمريكيون والاسرائيليون مشاركة الاتحاد السوفيتى معهم فى اجراءات هذه اللجنة .

مشروع النقاط الست التى وافق عليها الرئيس السادات . وكان المشروع لفلك الاشتباك يشمل النقاط التالية :

(أ) عن القوات المصرية — تبقى القوات المصرية فى الأراضى التى حررتها فى سيناء فى شريط ٦ — ١٠ كم شرق القناة — وتخفيف جذرى للقوات شرق القناة على أن تبقى ثلاث كتائب مشاه فقط (١٨٠٠ جندى) وألا يتواجد بها أكثر من ٣٠ دبابة كما تنسحب القوات المصرية الموجودة غرب القناة الى مسافة ٣٠ كم غربا(*) مع التأكيد على سحب الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات غربا الى مسافة تأمن بموجبها القوات الاسرائيلية .

(ب) عن القوات الاسرائيلية — تنسحب القوات الاسرائيلية الى خط جديد شرق القناة بحوالى ٢٠ كم ويستدعى ذلك انسحابها من الجيب الاسرائيلى . غير أنها فى كل الأحوال عليها الاحتفاظ بالمضايق الجبلية الاستراتيجية فى سيناء .

(ج) بالنسبة لقوات الأمم المتحدة — ترابط قوات الأمم المتحدة فيما بين الخطين المصرى والاسرائيلى بسيناء .

وفى يوم ١٩٧٣/١٢/١٣ وصل كيسنجر للقاهرة — اجرى محادثاته مع السادات حول استراتيجية العمل فى المرحلة التالية كما اتفق معه على اطار عام لفك الاشتباك يضمن انسحاب اسرائيل الى مسافة ٣٠ كم شرق القناة وتخفيف القوات المصرية فى شرق القناة مع وضع قوات دولية بين القوتين .

وفى ١٩٧٤/١/٢٨ بعث هنرى كيسنجر برسالة الى الرئيس السادات « أن يبذل أقصى الجهود من أجل خلق الظروف التى تسهم فى استمرار الجهود الأمريكية » .

واستجابة لهذا الرجاء وعد الرئيس السادات بالتوجه الى السعودية للعمل على رفع الحظر عن الولايات المتحدة فور تحقيق فك الاشتباك فى سيناء .

وهكذا فان الرئيس السادات حث السعودية ودول الخليج على مساندة المعركة باستخدام سلاح البترول يوم ١٩٧٣/١٠/١٠ والآن يجبر الرئيس السادات للذهاب الى السعودية يوم ١٩٧٣/١/١٨ لحثها على رفع حظر البترول من أجل تمكين هنرى كيسنجر من فض اشتباك القوات وتخليص حصار الجيش الثالث ومدينة السويس .

وفى ١٩٧٣/١/١٣ توجه هنرى كيسنجر الى استراحة الرئيس السادات فى أسوان لبحث مشروع فك الاشتباك بين القوات . وبادر الرئيس السادات الكلام بقوله أنه يريد الانتهاء من فض الاشتباك قبل أن يبدأ زيارته الى الدول العربية البترولية فى ١٩٧٤/١/١٨ لحثهم على انهاء حظر البترول بأى طريقة يرى الرئيس نيكسون أنها تخدمه أمام الشعب الأمريكى .

(*) امريكا والعرب — محمود رياض — ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

واطمأن كيسنجر الى هذه المبادرة من الرئيس السادات لاعتقاده بأن انهاء مشكلة فك الاشتباك فى خلال أسبوع معناها استعداد الرئيس السادات الى قبول جميع التنازلات المطلوبة فى المشروع الاسرائيلى والذى تعمد هنرى كيسنجر عدم عرضه أولا على الرئيس السادات .

واستمع هنرى كيسنجر فى المقابلة الى اقتراحات الرئيس السادات عن فض الاشتباك وانسحاب القوات الاسرائيلية يتضمن عناصر من مبادرة الرئيس السادات فى فبراير ١٩٧١ مع الأخذ فى الاعتبار نتائج معارك اكتوبر ١٩٧٣ والتى اجبرت الرئيس السادات على استبعاد :

(١) تنفيذ مرحلة أولى ضمن انسحاب جزئى للحدود ،

(٢) تقرير المصير لشعب فلسطين ،

(٣) تسوية عربية شاملة .

وتوجه هنرى كيسنجر الى اسرائيل يوم ١٩٧٤/١/١٢ حتى يستطيع أن يعود الى الرئيس السادات ومعه مشروع اسرائيلى . وكان هنرى كيسنجر يحمل معه مشروعا اسرائيليا مقدما له من ديان فى أوائل يناير ١٩٧٤ فى واشنطن الا أنه لم يخطر على بال الرئيس السادات أن وزير خارجية الولايات المتحدة يمكنه أن يخادع وأن يكذب الى هذا الحد .

وفى اسرائيل طالب هنرى كيسنجر بضرورة حصوله على مشروع للمساومة حتى اذا صمم الرئيس السادات على تحقيق هذه الشروط يمكن له أن يعود الى المشروع الاسرائيلى الأصلى . وفعلا قدم الاسرائيليون طلبات اضافية تتضمن اعادة تعمير مدن القناة ، علاوة على تطهيرها والتأكيد على مرور البواخر الاسرائيلية فيها ، والتشدد على ضرورة انهاء الحرب ووضعوا قيودا عسكرية جديدة على القوات المصرية الموجودة غرب القناة . كما طالبوا بمغادرة القوات **الأجنبية والتطوعية** التى انضمت الى القوات المصرية علما بأنها جميعا قوات عربية .

وفى مقابلة يوم ١٩٧٤/١/١٤ فى أسوان عرض هنرى كيسنجر المطالب الاسرائيلية الجديدة التى رآها السادات انها شديدة بالنسبة للقوات المسلحة فأمر ببحثها فى لجنة مشتركة مصرية / أمريكية حيث رفض الفريق الجمسى بشدة هذه المطالب المهينة وقال « ان ذلك يجعل القوات المسلحة المصرية فى وضع أضعف مما كانت عليه قبل الحرب » وأضاف « ان هدف الخطة الاسرائيلية هو تقوية أمن اسرائيل واضعاف(*) أمن مصر وذكر الفريق الجمسى « ان فض الاشتباك هو موضوع عسكرى بحت أما المشروع الذى استمع اليه فيحتوى على عناصر سياسية عديدة وان الكيلو ١٠١ لن يكون المكان المناسب لتوقيع بنود سياسية حيث تقتصر المباحثات هناك على المسائل العسكرية » وعبر الفريق الجمسى عن فرض العسكريين القاطع للمشروع الاسرائيلى وفوجىء هنرى كيسنجر بأن الرئيس السادات فى النهاية وافق على أن تحتفظ القوات الاسرائيلية بمنطقة المضايق الاستراتيجية فى سيناء . كما وافق على باقى المطالب

(*) امريكا والعرب لمحمود رياض ــ ص ٢٦ .

الاسرائيلية وأخيرا طلب من كيسنجر محاولة استخلاص اكبر عدد ممكن من كتائب المشاه وعدد من الدبابات المصرية شرق القناة . وهنا ذكر كيسنجر أنه قد يستطيع اقناع اسرائيل بقبول تواجد ٣٠ دبابة مصرية شرق القناة(**) .

كما أوضح الرئيس السادات بالنسبة للشروط السياسية التى أضيفت للمشروع الاسرائيلى فيمكن التعهد بها لأمريكا وليست لاسرائيل باعتبارها مقترحات أمريكية ورفض الرئيس السادات انهاء حالة الحرب طالما أن القوات الاسرائيلية تحتل أرضا مصرية . وذكر كيسنجر فى كتابه أن سبب الرفض هو خوف الرئيس السادات من انفجار العالم العربى ضده .

وكانت موافقة الرئيس السادات على بقاء القوات الاسرائيلية فى المضايق الاستراتيجية هى قمة نجاح هنرى كيسنجر فى مفاوضات فك الاشتباك الأول فى جبهة قناة السويس اذ أنها كانت المطلب الأساسى لاسرائيل . كما مهدت هذه الموافقة الطريق لرفع قدراتها وهيمنتها كدولة منتصرة على المساومة فى المراحل المقبلة بعد ان انتزعت من مصر الخيار العسكرى .

وعلق كيسنجر على موافقة الرئيس السادات على جميع الشروط الاسرائيلية لفلك الاشتباك بأنها سوف تؤدى الى ابعاد مصر فى الاعتاد على الاتحاد السوفيتى وتجعلها فى نفس الوقت شريكة للولايات المتحدة الأمريكية وهو التعبير الذى استعمله الرئيس السادات فى وصف العلاقة بين مصر وامريكا .

استدعى الرئيس السادات الفريق الجمسى بعد ذلك وذكر له « أنه تم الاتفاق على فض الاشتباك وأنت الذى ستوقعه » ثم طلب من هنرى كيسنجر أن يشرح الخطوط الرئيسية للاتفاق نيابة عنه الى رئيس هيئة أركان الحرب للقوات المسلحة المصرية « الفريق محمد عبد الغنى الجمسى » .

وصرح الرئيس السادات لكيسنجر قبل مغادرته أسوان عن استعداده لانهاء اتفاقية الصداقة والتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى فى العام القادم كما سيعمل على اخراج طائرات الاستطلاع الميج ٢٥ ٥٠٠ السوفيتية من مصر دون مبرر سوى اعجابه بالأمريكيين .

وفى يوم ١٩٧٤/١/١٥ سافر هنرى كيسنجر الى اسرائيل واجتمع مع فريق التفاوض الاسرائيلى المشكل من مجموعة الوزراء والعسكريين حيث تم رفع عدد الكتائب المصرية شرق القناة الى ثمانى كتائب (حدود ٧٠٠٠ جندى) بالاضافة الى ٣٠ دبابة ولم يكن هناك أى اعتراض من الفريق التفاوضى اذ أن المشروع الذى وافق عليه الرئيس السادات هو من وضع اسرائيل .

وعاد هنرى كيسنجر الى اسوان فى اليوم التالى (١٩٧٤/١/١٦) وأخطر الرئيس السادات بموافقة اسرائيل على تواجد ٧٠٠٠ جندى و٣٠ دبابة شرق القناة . ثم عرضت الموافقات على لجنة أمريكية / مصرية

(**) كان هذا العدد من الدبابات المصرية مدونا فى المشروع الاسرائيلى الموجود أصلا مع هنرى كيسنجر منذ أوائل يناير ١٩٧٤ .

للصياغة وقد اعترض الفريق الجمسى وذكر أن تأثير ذلك على القوات المسلحة سيكون سيئا للغاية .

وفى مساء نفس اليوم استمع الرئيس السادات من هنرى كيسنجر إلى اعتراضات الفريق الجمسى حيث قال(*) « فى البداية واجهتنى مصاعب لاقناعهم بالحرب والآن تواجهنى المتاعب لاقناعهم بالسلام » وكان الرئيس السادات هو الذى رفض معركة التحرير الشاملة فى عام ١٩٧١ وهو الذى غير هدف المعركة لتكون قاصرة على تحريك القضية دبلوماسيا فقط .

وفى مساء ١٩٧٤/١/١٧ صدر بيان فى كل من القاهرة وتل أبيب وواشنطن واذاعة نيكسون بنفسه « انه بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية قد توصلت مصر واسرائيل الى اتفاق فض الاشتباك وسيوقعه كل من رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية واسرائيل ظهر يوم الجمعة ١٨ يناير عند علامة الكيلو ١٠١ طريق القاهرة السويس » .

وتعمد الرئيس السادات أن يخفى على الشعب المصرى وعلى الأمة العربية تنازلاته لاسرائيل مرة واحدة حتى لاتحدث قلاقل فى الداخل وخطط على الاعلان عنها تدريجيا مع اخفاء بعض الحقائق .

سادسا — الدبلوماسية المصرية تساهم فى خداع الشعب

كان الاعلان عن الاتفاق الثنائى بين مصر واسرائيل عن فض الاشتباك الأول فى علامة كم ١٠١ طريق القاهرة السويس يتضمن :

(أ) تحديد الخطوط التى ستقف عندها القوات المصرية والقوات الاسرائيلية ،
(ب) اماكن تواجد قوات الأمم المتحدة ،
(ج) حجم القوات المصرية التى تقرر تواجدها بعمق ٦ — ١٠ كم شرق القناة .

وقد تعمد الاعلان بالنسبة للفقرة (ج) الأخيرة الغموض المتعمد فلم يرد فيه ذكر عدد افراد القوات المصرية وهم ٧٠٠٠ فرد فقط واستعوض بدلها ذكر كلمة (منطقة أمن) وهو النص العربى الذى أمر الرئيس السادات بنشره وقامت وزارة الخارجية المصرية بطبعه وتوزيعه ضمن مجموعة وثائق اطلق عليها الرئيس السادات مبادرات السلام التى قام بها الرئيس أنور السادات ١٩٧١ — ١٩٧٨(*) .

كما تعمدت الوثائق التى صدرت عن وزارة الخارجية عدم ذكر أى اشارة الى هذا الرقم مثلما توضح جليا فى النصوص الانجليزية الرسمية التى نصت على .. (سوف يتم تحديد حجم القوات والأسلحة فى المنطقة الواقعة بين الخط المصرى وبين قناة السويس) .

(*) امريكا والعرب لمحمود رياض — ص ١٠٨ .
(*) وزارة الخارجية — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨ .

سابعا ـــ نص اتفاقية فض الاشتباك الأول

اقتراح الولايات المتحدة الأمريكية الخاص بتحديد القوات المسلحة والموقعة من الرئيس السادات وجولدا مائير وهو كما يلى :

« من أجل تسهيل الاتفاق بين مصر واسرائيل وكجزء من هذه الاتفاقية ومن أجل مراعاة تنفيذ وقف اطلاق النار بدقة فى الأرض والجو والبحر والامتناع عن القيام بأى عمليات عسكرية أو شبه عسكرية يتم فصل القوات المصرية الاسرائيلية واعادة انتشارها على النحو التالى :

١ ـــ فى المناطق التى أشير بها الى تحديد حجم القوات المسلحة سوف لايكون هناك :

(أ) اكثر من ثمانى كتائب وثلاثون دبابة .

(ب) لاتوجد مدفعية فيما عدا مواقع مضادة للدبابات وصواريخ مضادة للدبابات ومدافع مورتر وست بطاريات مدفعية هاوز عيار ١٢٢ مم مداها لايتجاوز ١٢ كيلومترا .

(ج) عدم تواجد أى اسلحة قادرة على التدخل ضد الطيران للفريق الآخر فوق قواته

(د) عدم اقامة قواعد ثابتة للصواريخ .

(هـ) الا يزيد مجموع عدد القوات على سبعة آلاف جندى .

٢ ـــ ولمسافة ٣٠ كيلومترا غرب الخط المصرى وشرق الخط الاسرائيلى يجب ألا تتواجد أى أسلحة يمكنها أن تصل الى الخط الآخر .

٣ ـــ ولمسافة ٣٠ كيلومترا غرب الخط المصرى وشرق الخط الاسرائيلى يجب ألا تتواجد صواريخ مضادة للطائرات .

٤ ـــ تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بطلعات استطلاع جوى منتظم للاشراف على التزام الطرفين بنصوص الاتفاقية .

٥ ـــ ويتم تنفيذ ذلك كله بمجرد توقيع اتفاقية فض الاشتباك بين الأطراف فى علامة كم ١٠١ طريق القاهرة السويس وتنفذ حسب مراحل تنفيذ الاتفاقية الأساسية .

كما صدر بيان مصرى حول اتفاقية فض الاشتباك بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية نتيجة لزيارة هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى للقاهرة . اذاعه راديو القاهرة يوم ١٩٧٣/١١/٩ .

ان الاتفاق الذى تم نتيجة زيارة كيسنجر للقاهرة ومحاولاته فيها هو كما يلى :

أولا ـــ تطبيق قرارات مجلس الأمن الخاصة بوقف اطلاق النار والعودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

ثانيا ـــ جميع هذه الخطوط تتم تحت اشراف الأمم المتحدة وبناء عن تعليمات السكرتير العام .

ثالثا ـــ تنفيذ الالتزام للأطراف بتعهداتها الخاصة بمعاملة أسرى الحرب .

رابعا ـــ يعتبر التنفيذ السليم لهذا كله خطوة أولى لتنفيذ قرارات مجلس الأمن نحو السلام .

وخلا البيان من أهم نقاطه عن القيود التى فرضت على اعادة توزيع القوات المصرية شرق وغرب القناة كذا عن حجم هذه القوات .

وفى صباح يوم ١٩٧٤/١/١٨ استؤنفت الاجتماعات المصرية / الاسرائيلية عند علامة كم ١٠١ حيث وقع رئيس الأركان المصرى (الفريق الجمسى) والاسرائيلى (دافيد اليعازر) والجنرال سلاسفو اتفاقية فض الاشتباك الأول بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية على جبهة قناة السويس .

وفى ١/٢٤ تم تبادل الوثائق الخاصة بها وبدأ تنفيذها من ١/٢٥ حتى انتهى الفصل بين القوات فى ١٩٧٤/٣/٥ . مرفق (١٥) .

وكانت موافقة الرئيس السادات تعنى سحب ٧٠٠٠٠ جندى مصرى وأكثر من ١٠٠٠ دبابة من شرق القناة مع استبقاء ٧٠٠٠ جندى ، ٣٠ دبابة ، ٦ كتائب مدفعية ميدان لايتجاوز مداها ١٢ كيلومترا مع عدم وجود أسلحة للدفاع الجوى .

وكان هذا الوضع العسكرى المهين هو الذى اعترض عليه الفريق الجمسى وقال لهنرى كيسنجر « ان ذلك الوضع سوف يؤثر تأثيرا سيئا على القوات المسلحة المصرية » .

كما نلاحظ أن النص على عدم وجود مدفعية ميدان طويلة المدى أو صواريخ مضادة للطائرات شرق الخط الاسرائيلى كما ذكر فى البند ٢ و٣ عالية طالما أن اسرائيل تحتل منطقة المضايق الاستراتيجية . وكان السبب فى ذكر ذلك هو التساوى النظرى مع القيود التى فرضت على الجانب المصرى .

ونتج عن انفراد توقيع الرئيس السادات على اتفاقية الفصل بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية على جبهة قناة السويس دون اشتراك سوريا حليفته فى القتال تأثير شديد فى العلاقات المصرية / السورية كما ساءت العلاقة المصرية / السوفيتية بعد قرار السادات استبعاد موسكو من دائرة المفاوضات وازداد التوتر أكثر عندما أعلن الرئيس السادات فى أبريل ١٩٧٤ تنويع مصادر السلاح(*) مما أدى الى توقف السوفييت عن تزويد مصر بالأسلحة .

وكان الرئيس السادات قد طلب من كيسنجر استخدام كلمة انسحاب القوات الاسرائيلية الى شرق القناة ولكن اسرائيل رفضت ذلك واستخدمت كلمة توزيع أو انتشار القوات الاسرائيلية(**) .

(*) قرار السادات تنويع مصادر السلاح لمصر نبع من مناورة امريكية تهدف الى اتجاه مصر الى الصين الشعبية لامدادها بالأسلحة المطلوبة لنا كخطوة ابتدائية كى تحل محلها امريكا فيما بعد والهدف الكبير من وراء ذلك واضح وهو عدم رغبة امريكا فى الاحلال مكان السوفييت مرة واحدة خوفا من اهتزاز الوفاق القائم بينهما .

(**) لم تقر اسرائيل مبدأ انسحاب قواتها شرقا فى أى مرحلة من مراحل مفاوضات فض الاشتباك واستعانت بلفظ انتشار أو توزيع القوات الا فى مفاوضات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المنفرد وذلك بعد أن وقع الرئيس السادات على انهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل وقبوله الصلح المنفرد معها والاعتراف بهيمنتها على المنطقة العربية وحينئذ وافقت على تدوين لفظ الانسحاب فى مواثيق معاهدة السلام بين مصر واسرائيل .

وبالنسبة للطلبات الاضافية التى طلبتها اسرائيل من كيسنجر مع شروط اتفاقية الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية فقد اتفق الرئيس السادات وهنرى كيسنجر على انجاز موضوعاتها عن طريق خطابات تبادلية بين مصر والولايات المتحدة ثم تقوم الأخيرة بتسجيل خطابات تفاهم بينها وبين اسرائيل . وكان الرئيس السادات قد رفض التفاوض مع اسرائيل مباشرة فى هذه الموضوعات خوفا من الضغط العربى عليه .

انحصرت الخطابات التى وقعها الرئيس السادات الى الرئيس الأمريكى نيكسون فى الموضوعات التالية :

(١) تعهد مصر بالبدء فى تطهير القناة عقب تنفيذ اتفاقية فك الاشتباك تمهيدا لاستئناف الملاحة الدولية فيها والسماح للبضائع الاسرائيلية عبر القناة .
(٢) استئناف النشاطات الاقتصادية العادية فى منطقة قناة السويس تشمل عودة اهالى المنطقة وبداية التعمير .
(٣) التزام مصر بعدم التدخل ضد طلعات الطيران الاسرائيلى عبر الخطوط الجوية فى البحر الأحمر .
(٤) خطاب بوعد من الرئيس السادات الى الادارة الأمريكية بسحب قوة الحصار البحرى المصرى فى باب المندب(*) .
(٥) وعد من هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بفتح خطوط التموين للجيش الثالث دون قيد أو شرط خلال ٤٨ ساعة من ابرام الاتفاقية .
(٦) وعد من هنرى كيسنجر للضغط على ديان لقبول زحزحة(*) الخط المصرى شرق مدينة السويس كطلب خاص من الرئيس السادات .

بينما انحصرت التعهدات الأمريكية الى اسرائيل فى شكل خطابات تفاهم الموضوعات التالية :
(١) التزام مصر بشأن الملاحة فى قناة السويس بعد اعادة فتحها للسفن والبضائع الاسرائيلية .

(*) فى اليوم الأول لاجتماع مصر واسرائيل فى مفاوضات كم ١٠١ مرت ناقلة بترول حمولة ١٢ ألف طن مضيق باب المندب فى اتجاهها الى ايلات دون اعتراض قوة الحصار البحرى المصرية وكان ذلك عربونا من مصر نظير موافقة اسرائيل على مرور قول تموين واحد الى مدينة السويس المحاصرة .

(*) كان طلب الرئيس السادات زحزحة الخط المصرى شرق مدينة السويس لاينطبق على القاعدة الأساسية التى وضعتها مجموعة المفاوضات الاسرائيلية منذ بداية مفاوضات فض الاشتباك اذ أنها لاتدخل ضمن المناطق التى نجح المصريون فى تحريرها شرق القناة . وافق ديان على طلب الرئيس السادات وتفهم هدفه من وراء هذا الطلب بعزمه على الاحتفال سنويا بالنصر لمعركة السويس وكان اللواء الأول المشاه الميكانيكى فى الفرقة ٦ قد أهمل فى علم الحفاظ على هذه المنطقة (رأس مسلة) شرق السويس بعد احتلاله لها فعاد الاسرائيليون لاحتلالها وذلك يوم ١٩٧٣/١٠/١١ .

(٢) التزام امريكى بعدم اتخاذ خطوات جديدة فى اطار مؤتمر جنيف قبل اتمام تنفيذ اتفاقية فك الاشتباك .
(٣) التزام امريكى بأن لايتم سحب قوات الأمم المتحدة دون موافقة طرفى النزاع .
(٤) التزام امريكى بوضع اسلوب ثابت وطويل المدى استجابة الى طلبات اسرائيل واحتياجاتها الدفاعية .

ثامنا ـــ سلاح البترول فى المعركة

نشأت مسألة انضمام سلاح البترول فى المعركة ضد اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية منذ زيارة الرئيس السادات الى السعودية فى نهاية أغسطس ١٩٧٣ حيث نال مباركة الملك فيصل على عمليات عسكرية محدودة تستجيب الى ماكان قد ألمح اليه كيسنجر الى حافظ اسماعيل فى زيارة الأخير له فى فبراير ١٩٧٣(*) . كما اتفقا على دعم العرب على قدر امكاناتهم للمعركة خاصة اذا لم تقف أمريكا على الحياد خلال المعركة بين العرب واسرائيل .

وفى ١٩٧٣/١٠/١٦ صدر قرار الدول العربية البترولية بتخفيض انتاجها ٥٪ فورا ويستمر الخفض بهذه النسبة شهريا وربطت الدول العربية هذا القرار سياسيا بضرورة انسحاب اسرائيل من كل الأراض العربية .

وفى ١٩٧٣/١٠/١٧ اعلنت السعودية انها ضاعفت نسبة الخفض ليكون ١٠٪ .

وفى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ اعلنت الادارة الأمريكية انها تدعم اسرائيل بمبلغ ٢٫١ بليون دولار شحنات أسلحة امريكية وكان الجسر الجوى الأمريكى قد بدأ امداده العسكرى اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/١٣ وفى نفس اليوم اعلنت الدول العربية البترولية حظر تصدير البترول الى الولايات المتحدة الأمريكية . وبذلك تأكد دور البترول كسلاح لتحقيق أهداف سياسية وأنضمت المعركتان العسكرية والاقتصادية معا فى نضال واحد ضد اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية . الا أن الأخيرة لم تكن على استعداد لتعديل موقفها السياسى فى الصراع العربى الاسرائيلى (تأييد ودعم اسرائيل) ظنا منها أن الدول الضعيفة (مشيرة الى العرب) غير قادرة على فرض إرادتها .

ولكن اعتبارا من ١٩٧٣/١٠/١٧ تصدعت الجبهة العسكرية المصرية وتطور الموقف العسكرى ليكون فى صالح اسرائيل وأجبر الرئيس السادات على طلب وقف اطلاق النار يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ تحت ضغط عسكرى شديد من القوات الاسرائيلية داخل الضفة الغربية غرب قناة السويس مهددة قوات الجيش الثانى والثالث .

(*) مذكرات محمد عبد السلام الزيات « القناع والحقيقة » جريدة الأهالى فى ١٩٨٧/١٠/٢٨ والمرحوم الزيات كان اقرب المسئولين الى الرئيس السادات فى هذه الفترة .

صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ بايقاف اطلاق النار وبقاء القوات فى أماكنها التى وصلت اليها فى ذلك اليوم . ولكن اسرائيل لم تستجب الى القرار واستمرت قواتها فى الزحف الى أن تمكنت من حصار الجيش الثالث ومدينة السويس (٦٠٠٠٠ مقاتل) ، تقاعس الرئيس السادات فى العمل على درأ هذا الخطر باستخدام ماتبقى له من قوات دعم من الدول العربية والاتحاد السوفيتى وفضل عنها الشكوى الى مجلس الأمن الذى أصدر قرارين فى هذا الشأن هما القرار ٣٣٩ و٣٤٠ وهما مكملان للقرار ٣٣٨ ولكن القوات الاسرائيلية لم تردع عسكريا وتمكنت من الحصول على أهدافها .

وفى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٤ استنجد الرئيس السادات بقوات الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وكادت تحدث مواجهة عالمية على أرض مصر حتى وصلت قوات هيئة الأمم المتحدة الى منطقة السويس حيث توقف القتال نهائيا يوم ٧٣/١٠/٢٨ .

وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية فى مرحلة المفاوضات وتمسك هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا واسرائيل بموقف الرهينة فى أيديهم (الجيش الثالث ومدينة السويس) وبدأ فرض شروطهما .

طالب هنرى كيسنجر الرئيس السادات العمل على رفع حظر البترول العربى من أجل حل مأساة الجيش الثالث .

وتصاعدت جبهة طاقة البترول عدما طالبت السعودية فى ١٩٧٣/١١/١١ باصدار بيان من الولايات المتحدة الأمريكية حول جدية تنفيذ القرار ٢٤٢ خاصة حول انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية . كما أكد الملك فيصل فى ١٩٧٣/١١/١٧ بطلب انهاء السيادة الاسرائيلية عن القدس كشرط اضافى لرفع الحظر البترولى العربى .

وفى ١٩٧٣/١١/١٨ اجتمع وزراء البترول العرب لتنسيق موقفهم بالنسبة لرفع الحظر وذلك بالغاء نسبة الخفض فى الانتاج المقرر فى شهر ديسمبر ١٩٧٣ على دول غرب أوروبا نظرا لموقفها المشجع بعد صدور بيان المجموعة الأوروبية لصالح القضية العربية ، ومطالبة الولايات المتحدة الأمريكية باصدار جدول زمنى لانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية وفى مقدمتها القدس على أن توقعه اسرائيل وتضمن تنفيذه الولايات المتحدة الأمريكية قبل انهاء الحظر البترولى .

وفى ١٩٧٣/١١/٢٠ صرح كيسنجر بأنه « لو استمرت الضغوط بصورة غير محدودة فستضطر الحكومة الأمريكية الى التفكير فى اتخاذ اجراءات مضادة » .

وفى ١٩٧٣/١١/٢٢ أعلن وزير البترول السعودى أن بلاده ستوقف انتاج البترول بنسبة ٨٠٪ اذا حاولت امريكا أو أوروبا أو اليابان الثأر منها وأن أى اعتداء عسكرى امريكى سترتب عليه تفجير آبار البترول .

وهكذا ادارت السعودية والامارات العربية معركة البترول بكل تصميم ونحد الى أن تدخل الرئيس

السادات .. ففى ١٩٧٣/١١/١٨ وبعد توقيع اتفاقية فض الاشتباك الأول مع اسرائيل سافر الرئيس السادات الى السعودية مطالبا برفع الحظر البترولى عن الولايات المتحدة الأمريكية ، والتى وعدها ببذل جهده فى رفعه ولكن جهود الرئيس السادات لم تنجح بسبب ان اتفاقية فض الاشتباك وحدها من وجهة نظر السعودية والعرب جميعا لم تعد كافية بالرغم من تنازلات الرئيس السادات بالاضافة الى أن الاتفاقية حيدت موقف مصر بالنسبة للمواجهة العربية . كما ان السعودية تمكنت باتفاقها الجماعى مع العرب أى أن قرار الحظر كان قرارا جماعيا وأن السعودية تحترم القرارات الجماعية . وكان ذلك مثلا لتأنيب الرئيس السادات بطريقة مهذبة بالنسبة لخروجه هو عن الصف العربى وعن استراتيجية العرب الموحدة ووقع اتفاقية ثنائية مع اسرائيل ضاربا القرارات والاتفاقيات والمواثيق والضمان العربى عرض الحائط .

ولو أن سلاح البترول أصبح يشكل ضغطا شديدا وقلقا داخل الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا . الأمر الذى كان يفيد السادات فى مفاوضاته مع الولايات المتحدة الأمريكية الا انه راعى وعده الى كيسنجر فى أسوان بالعمل على رفع الحظر البترولى . وبذا فقد سلاحا له قيمته وتأثيره على مستوى العالم وفضل عنه تحقيق هدف الولايات المتحدة الأمريكية على رفع الحظر ولم يأل جهدا الا وبذله فى سبيل ذلك .

دعا الرئيس السادات الى اجتماع قمة مصغر يشمله والملك فيصل والرئيس بومدين والرئيس حافظ الأسد والذى اجتمع فى الجزائر ١٢ ــ ١٤ فبراير ١٩٧٤ حيث طرح الرئيس السادات رأيه برفع الحظر البترولى وعارضه الرئيس حافظ الأسد وأخيرا قرر المؤتمر ايفاد وزيرى خارجية السعودية ومصر الى واشنطن لحث الرئيس نيكسون على انهاء فض الاشتباك فى الجولان حتى يمكن الاستجابة لطلبه باعادة ضخ البترول الى الولايات المتحدة الأمريكية . وهكذا هبط هدف العرب السياسى الذى يعمل الجميع لتحقيقه وهو انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى العربية واعادة حقوق الشعب الفلسطينى الى طلب متواضع هو انهاء فض الاشتباك فى الجولان اسوة بما تم فى جبهة قناة السويس .

(مرفق رقم ١٥)

وفى ١٩٧٤/٣/١٨ تمكن وزراء بترول العرب فى فيينا من التوصل الى قرار رفع الحظر البترولى عن الولايات المتحدة الأمريكية استجابة لطلب الرئيس نيكسون الذى وعد بالعمل على فض الاشتباك بين سوريا واسرائيل .

واستأنف هنرى كيسنجر اتصالاته مع سوريا واسرائيل فى ابريل ومايو ١٩٧٤ الى أن تم اتفاق فصل القوات على جبهة الجولان فى مؤتمر جنيف الثانى فى ١٩٧٤/٥/٣١ بعد أن زار اسرائيل ١٦ مرة ودمشق ١٢ مرة . وهذا بدوره يشير الى حرص الرئيس الأسد فى الوصول الى أحسن الشروط بصرف النظر عن عامل الوقت الذى كان السبب فى تلهف الرئيس السادات على توقيع اتفاقية فض الاشتباك الأول على جبهة قناة السويس خلال أسبوع واحد فقط .

تاسعا ــ اتفاقية فك الاشتباك الثانى مع مصر

فى ١٦ ديسمبر ١٩٧٤ التقى ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل مع كيسنجر فى واشنطون بهدف السعى لتحقيق اتفاق جزئى بين مصر واسرائيل . وهى خطوة مشابهة لما تم عند التقاء ديان مع كيسنجر فى أوائل يناير ١٩٧٤ وتم التحضير والتنسيق بين الاثنين لاتمام فك الاشتباك الأول الذى تم توقيعه فى ١٩٧٤/١/١٨ ، وكان السادات قد حضر مؤتمر القمة العربى فى الرباط ١٩٧٤/١٠/٢٦ وتحدث عن المعركة وقال انها طويلة وتعتمد على الصمود السياسى والاقتصادى وعلى الصمود العسكرى فى الدرجة الأولى وقال « فى اليوم الذى نغفل فيه عن قواتنا المسلحة تستطيع اسرائيل أن تغير مجرى الأحداث وتأخذ المبادرة من أيدينا مرة أخرى كما أن اسرائيل وأمريكا يهدفان الى احداث الفرقة بين العرب ورجائى أننا فى هذا الجمع وبهذه الروح التى عملنا بها فى حرب أكتوبر لانسمح بحدوث ذلك . أى أن السادات مصمم على وحدة العرب وعملهم المشترك .

ولكن احساس الدول العربية ينطق خلاف ذلك وان دول المواجهة لن تخوض أى معركة طبقا لما يرونه من تصرفات السادات السياسية بعد فض الاشتباك الأول واستعداده لمناقشة فض الاشتباك الثانى .

كما ورد فى مذكرات كيسنجر من تأكيدات قدمها السادات بعدم خوض الحرب بعد الآن وقبوله الحلول الجزئية بعيدا عن المواقف العربية الموحدة فأصبح واضحا أنه لم يكن ينوى تنفيذ ماصرح به فى مؤتمر القمة العربى فى الرباط حول ضرورة الصمود فى المعركة وأهمية الحفاظ على وحدة العمل العربى .

وتمشيا مع الخطط الأمريكية فى كسب وقت كاف لاسرائيل مع تخدير العرب عن طريق الحديث حول الحل السلمى الشامل دون اتخاذ أى خطوات حاسمة فى هذا الشأن اصدرت الولايات المتحدة الأمريكية بيانا مشتركا على أثر لقاء الرئيس فورد وبريجينيف فى ١٩٧٤/١١/٢٣ فى مدينة فلاديفوستك أكد فيه الطرفان على ضرورة الأخذ فى الاعتبار بالمصالح المشروعة لكافة شعوب المنطقة بما فيها حقوق الشعب الفلسطينى كما أشار البيان الى ضرورة عقد مؤتمر السلام دون تحديد موعد لانعقاده .

وكان الرئيس الأسد قد اتهم كيسنجر بالعمل على بذر الخلافات العربية تطبيقا للدور الحقيقى الأمريكى الاسرائيلى خاصة وان اسحاق رابين رئيس ــ وزراء اسرائيل قد صرح فى ديسمبر ١٩٧٤ بأن هدف اسرائيل هو الفصل بين مصر وسوريا وهذا لايتحقق الا اذا تجاوب السادات مع هذا المخطط عن طريق موافقته على الحل الجزئى .

وعارضت سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بشدة الاتفاق الجزئى الذى يسعى كل من كيسنجر وآلون والسادات لتنفيذه. وتوترت العلاقات بين مصر وسوريا وبين مصر والاتحاد السوفيتى الذى ضم صوته مع سوريا وعدل بريجينيف عن زيارته لمصر فى يناير ١٩٧٥ .

وكان كيسنجر قد اعلن عن الحل الجزئى فى ديسمبر ١٩٧٤ أى قبل موعد زيارة برجينيف بعدة اسابيع كى يحول دون اتمامها . اذ أن الزيارة من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية مجال لاعادة

التقارب بين مصر والاتحاد السوفيتى وربما تهدم كل خطط الولايات المتحدة الأمريكية مع السادات .

وبالرغم من ذلك فقد زار جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى دمشق والقاهرة فى يناير ١٩٧٥ وأكد على ضرورة عقد مؤتمر جنيف للسلام فى آخر فبراير ولكن الرئيس السادات لم يوافق على هذا الميعاد واهدى جروميكو سرب ميج ٢٣ الى مصر دعما لموقف السادات فى مفاوضاته مع الولايات المتحدة واسرائيل(٠) .

وبعد مغادرة جروميكو المنطقة حضر كيسنجر الى مصر يوم ١٢ فبراير ١٩٧٥ كى يطرح فكرة عقد اتفاق جزئى بين مصر واسرائيل وقضى كيسنجر ١٧ يوما فى التنقل بين مصر واسرائيل ولكنه فشل فى النهاية فى اقناع اسرائيل باستحالة تنفيذ شروطها .

وشعر الرئيس فورد ان تجميد الموقف لن يكون فى صالح الولايات المتحدة الأمريكية خوفا من محاولة قفز الاتحاد السوفيتى لاستعادة موقعه فى نفس الوقت الذى برز فيه عدد كبير من شخصيات الكونجرس يطالبون باتخاذ سياسة متوازنة والعمل على تحقيق السلام الشامل الذى تقوم على انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية وتنفيذ قرار ٢٤٢ فقرر اعادة تقييم السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط .

وثارت اسرائيل على فورد وبدأ الضغط الصهيونى عليه وتقدم ٧٦ عضوا بارزا من أعضاء مجلس الشيوخ يحثون فورد على التجاوب مع احتياجات اسرائيل العسكرية والاقتصادية .

وبادر الملك خالد فى هذه الفترة ابريل ١٩٧٥ ودعا الى عقد اجتماع فى الرياض يحضره كل من الرئيس الأسد والرئيس السادات . وصدر بيان مصرى سورى فى الرياض يؤكد على ضرورة اقامة تعاون وثيق بين البلدين وان يكون اى تحرك على جبهة ما جزءا من التحرك الشامل على امتداد الجبهة العربية مع اسرائيل .

وكان ذلك تعهدا من الرئيس السادات بعدم السعى نحو اتفاقات منفصلة مع اسرائيل .

ولكن كيسنجر بدأ بمناوراته بغرض هدم الاتفاق المصرى السورى والعمل على تحقيق سياسة الحل الجزئى بين مصر واسرائيل فمهد لقاء بين الرئيس جيرالد فورد والسادات فى أول يونيو فى سالزبورج بالنمسا .

طرح فورد على السادات عقد اتفاق جزئى مع اسرائيل فلم يعترض السادات بالرغم من تعارض ذلك مع تعهداته التى قدمها لسوريا وللدول العربية .

---

(٠) وفى المقابل قام الرئيس السادات باهداء طائرة ميج ٢٣ كاملة الى الولايات المتحدة الأمريكية مخالفا بذلك القيود المعروفة فى شحنات الأسلحة المحظورة التى تقدمها الدولة المنتجة يحظر نقلها الى أى طرف آخر .
وقد تم شحن الطائرة الميج ٢٣ فى طائرة نقل امريكية ضخمة طارز سس جلاجسى من قاعدة بنى سويف الجوية عام ١٩٧٧ الى الولايات المتحدة الأمريكية تحت ظروف أمن وسرية بالغين .

وجاء كيسنجر الى المنطقة فى ٣٠ أغسطس ١٩٧٥ وتنقل بين القاهرة وتل أبيب الى أن وصل الى اتفاق وقعه الطرفان فى ١٩٧٥/٩/١ وتم توقيع بروتوكول الاتفاق حول فك الاشتباك الثانى فى جنيف ١٩٧٥/٩/٢٢ .

وكان فض الاشتباك الأول فى يناير ١٩٧٤ هو اكبر انجاز قام به كيسنجر لصالح اسرائيل من الناحية العسكرية عندما أنقذ الجيب الاسرائيلى ومكن اسرائيل من التمسك بالمضايق أما فض الاشتباك الثانى فى سبتمبر ١٩٧٥ فكان اكبر انجاز يحققه لصالح اسرائيل سياسيا وشمل :

من الجانب الاسرائيلى ــ تعهد باجراء إنسحاب محدود الى خط شرق المضايق

ومن الجانب المصرى ــ تعهد فى المادة الأولى بأن النزاع بين مصر واسرائيل فى الشرق الأوسط لايتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية .

وفى المادة الثانية ــ يتعهد الطرفان بعدم استخدام القوة أو التهديد بها أو الحصار العسكرى ضد الطرف الآخر

وفى المادة السابعة ــ تتعهد مصر بحرية مرور الشحنات غير العسكرية المتجهة الى اسرائيل والصادرة منها بالمرور فى قناة السويس .

وهكذا أنهى الرئيس السادات حالة الحرب مع اسرائيل استجابة لشروطها منذ بداية البحث حول الحل الجزئى وبقيت القوات الاسرائيلية تحتل الأراضى المصرية مع حرمان شعب مصر من حقه فى القيام بأى عمل عسكرى لطردها .

وكان هذا الاتفاق الجزئى مطروحا على مصر عام ١٩٧١ ورفض لعدم تعهد اسرائيل بالانسحاب الى الحدود الدولية فى مرحلة تالية وبعد حرب اكتوبر والاداء الرائع الذى قدمته القوات المسلحة والتضحيات التى تمت لشعب مصر يقرر الرئيس السادات الموافقة على الحل الجزئى دون أن يحصل على تعهد بتحرير الأراضى المصرية .

رفض الاتحاد السوفيتى الاشتراك فى هذه المهزلة وقامت مظاهرات فى بعض العواصم العربية واستنكرت معظم الحكومات العربية هذه الاتفاقية بعد الاعلان عنها . كما وضعت هذه الاتفاقية سوريا شريكة مصر فى الحرب فى موقف عسكرى خطير للغاية اذ انها أصبحت وحيدة فى مواجهة اسرائيل .

واتفق الرأى العام العربى على أن الاتفاقية تتعارض مع قرارات القمة السابقة وتعهدات الرئيس السادات وانها ستؤدى الى تفتيت الجبهة العربية .

وفى نفس الوقت نجح كيسنجر واسرائيل فى إقناع الرأى العام الأمريكى بأن هذه الاتفاقية تتضمن تنازلات ضخمة من جانب اسرائيل مما يقتضى تقديم مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية لها تمت على شكل اتفاقيات بتعهدات على الوجه الثانى :

اتفاقيات بتعهدات أمريكية الى اسرائيل

١ ــ أعطت الولايات المتحدة الأمريكية ضمانا مكتوبا لاسرائيل (مذكرة تفاهم سرية) بأن لاتدعى منظمة التحرير الفلسطينية الى الاجتماع الا بعد موافقة اسرائيل . كما تعارض الولايات المتحدة الأمريكية أى مشروع أو اتفاق فى محيط مجلس الأمن اذا تعارض مع مصالح وأمن اسرائيل ويخالف القرارين ١٩٦٧/٢٤٢ ، ١٩٧٣/٣٣٨ .

٢ ــ تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية بامداد اسرائيل بالأسلحة المتطورة ومنها طائرات إف ١٦ والصاروخ بيرشنج برأس تقليدى .

وتتعهد الحكومة الأمريكية العرض على الكونجرس سنويا طلبات اسرائيل من الأسلحة وتسعى للحصول عليها ايجابيا .

٣ ــ تتعهد الولايات المتحدة الأمريكية بامداد اسرائيل بالبترول اذا تعذر على اسرائيل الحصول عليه بالوسائل العادية كذا نقله الى اسرائيل وبالسعر العالمى وذلك تعويضا لاسرائيل عن تركها بترول سيناء (أبو رديس) الى مصر ــ (اتفاقية فك الاشتباك الثانى) .

هذه الاتفاقات السرية بين كتابية فى شكل اتفاقات أو فى شكل خطابات رسمية بين الولايات المتحدة واسرائيل جاءت :

(أ) نظير قبول اسرائيل توقيع اتفاق فك الاشتباك الثانى مع مصر .

(ب) تعتبر هذه الاتفاقات تأكيدا من الولايات المتحدة لضمان أمن اسرائيل سياسيا (منظمة التحرير) عسكريا (امداد اسلحة متطورة) اقتصاديا (البترول) .

الفصل الثالث عشر

الدروس المستفادة



ان نتائج معركة اكتوبر كما تابعناها فى الفصول السابقة ليست تعبيرا عن عدم قدرة القوات المسلحة المصرية على قتال اسرائيل او نتيجة لقلة أو ضعف اسلحتها ومعداتها العسكرية أو هبوط معنوياتها بقدر ماهى ارتباك وشلل فى فكر القيادة وسوء تقدير للقمة العسكرية ممثلة فى القائد الأعلى للقوات المسلحة (رئيس الجمهورية) والقائد العام للقوات المسلحة (وزير الحربية) .

فمنذ تولى الرئيس السادات السلطة قام بمخاصمة الاتحاد السوفيتى المورد الوحيد الذى يقدم لنا السلاح وارتمى فى حضن الولايات المتحدة الأمريكية حليفة اسرائيل . وعندما حان وقت المعركة اخطأ فى التقدير السياسى عندما تصور ان عبور القناة سوف يؤدى الى الحل الشامل فقام بتغيير الخطة التى كانت تستهدف التحرير الى مجرد القيام بعملية عبور قناة السويس . وجاءت الطامة الكبرى عندما تدخل فى ادارة العمليات الحربية مما ادى الى حدوث الثغرة وفشله فى التعامل معها .

والقارىء الذى يتابع معارك اكتوبر ١٩٧٣ بدقه يمكنه الخروج منها بدروس كثيرة واضحة واننى وقد عاصرت ثلاث معارك مع اسرائيل وتابعت الدروس المستفادة من وقائعها حاولت نشرها وتوزيعها على القادة بعد عام ١٩٦٧ الا اننى لاحظت تكرار هذه الأخطاء فى معارك اكتوبر . واهم هذه الدروس هى :

أولا ـــ تحديد الهدف

حدد التوجيه الاستراتيجى السياسى للرئيس السادات فى ١٩٧٣/١٠/١ هدف القوات المسلحة ليكون « تحدى نظرية الأمن الاسرائيلى طبقا لامكانات القوات المسلحة » وكان الرئيس يتصور ان قناة السويس كمانع مائى تدافع عنها النقط القوية فى خط بارليف تشكل الحد الأمامى للدفاع عن اسرائيل وان تدميره واحتلاله يعتبر من وجهة نظره كسرا لنظرية الأمن الاسرائيلى ومن اجل ذلك حدد القائد العام الهدف العسكرى للقوات ليكون « عبور قناة السويس وتدمير خط برليف وانشاء رؤوس كبارى بعمق ١٠ ـــ ١٢ كيلومترا شرق القناة » .

وحققت القوات المسلحة هدفها فى معركة العبور الباسلة أيام ٦ ، ٧ وصباح يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ولكن لعدة أيام فقط حتى تمكن العدو من اختراق دفاعاتنا ونقل المعركة عبر ثغرة الدفرسوار يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ الى غرب القناه .

وكان السادات قد انحرف عن الهدف العسكرى الذى حدده فى بداية العمليات بسبب انبهاره بالأداء الرائع الذى قامت به القوات فى معركة العبور وتدخل فى ادارة المعركة وقرر استخدام الاحتياطى المدرع فى المعركة طمعا فى مكاسب اكبر فاحدث خللا فى توازن قواته أدى الى فشل العمليات وانتهت المعركة دون ان يحقق السادات هدفه السياسى .

وكان تقدير القيادة الاسرائيلية قد بنت خطة امن اسرائيل على اساس الاحتفاظ بمنطقة المضايق وتأمينها بوصفها حدا اماميا لامن اسرائيل من جهة الغرب لصد أى محاولة للقوات المصرية لتحرير سيناء .

وكانت تقديرات القيادة الاسرائيلية السابقة تؤيد ذلك فى :

١ — يوم ١٩٦٧/٦/٢ وافق مجلس وزراء اسرائيل على خطة العدوان على مصر بالهجوم على سيناء بدءابضربة جوية بينما كان هدف قواته النهائى هو منطقة المضايق . وعندما وصلت القوات الاسرائيلية الى هدفها يوم ٦٧/٦/٧ كان المشير عبد الحكيم عامر قد اصدر قراره المشئوم بانسحاب كل القوات المصرية فى سيناء الى غرب قناة السويس بعد ظهر يوم ١٩٦٧/٦/٦ عندئذ سارعت القيادة الاسرائيلية باصدار تعليماتها الى قواتها بالتقدم الى قناة السويس متجاوزة هدفها النهائى التى حددته فى التعليمات الأولية .

٢ — اكد موشى ديان فى كتابه المميزات المتوفرة فى منطقة المضايق انها منطقة الدفاع الامامية فى سيناء من وجهة نظر اسرائيل كما انها منطقة تمثل حائط الأمن الأمامى من جهة الغرب الذى تحقق نظرية الأمن الاسرائيلى التى تعتمد على مواقع طبيعية وافضل ميزة بها انه يمكن الدفاع عنها بقوات قليلة العدد .

٣ — فى نوفمبر ١٩٧٠ صرح موشى ديان « انه من الأوفق لكل من مصر واسرائيل ان تخلى(*) منطقة قناة السويس لامكان فتحها للملاحة الدولية وكان موشى ديان يرى العودة الى مشروعه القديم بتمركز القوات الاسرائيلية فى المضايق وبذلك تبتعد قواته عن تهديد وازعاج القوات المصرية الضخمة المحتشدة غرب القناة واعادة الملاحة الدولية فى قناة السويس . وهو الأمر الذى يجعل مهمة التحرير امام القوات المصرية فى المستقبل شديدة التعقيد لانها ستضطر الى اغلاق القناة من جديد .

٤ — بعد ان نجحت اسرائيل فى حصار الجيش الثالث ومدينة السويس أرغمت الرئيس السادات على قبول تنازلات لاسرائيل مقابل فك حصار الجيش الثالث وكان أول شرط من شروط اسرائيل هو احتفاظها بالمضايق مع انسحاب القوات المصرية الضخمة التى عبرت القناة وحطمت خط بارليف عدا قوات رمزية يحدد مراكزها وتسليحها ومعداتها الى غرب القناة وقبل الرئيس السادات شروط اسرائيل . واعلن موشى ديان يوم توقيع اتفاقية فض الاشتباك الأول ٧٤/١/١٨ « ان

(*) امريكا والعرب لمحمود رياض ص ١٤٢ .

مشروع فض الاشتباك على الجبهة المصرية يرتكز على اقتراحه الذى سبق واعلنه فى نوفمبر ١٩٧٠ » .

وحققت اسرائيل من هذا الوضع عدة اهداف هى :

ا ـ زادت من الرقعة الأمنية لحدودها اكثر من ٢٠٠ كم غربا تجاه اقوى دولة عربية .

ب ـ حرمت مصر من الاعتماد على المضايق وهو خط الدفاع الاساسى عن وادى النيل .

ج ـ حرمت القوات الجوية من استخدام مطارات سيناء الأربعة .

٢ ـ ارادة القتال

ارادة القتال مقوم أساسى من مقومات المعركة الناجحة . وان حرب الاستنزاف ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ بدأت مبكرة بسبب توفر ارادة القتال لدى القوات المسلحة ثم اضيف اليه المقومات الأخرى بعد ذلك وهى القدرة البشرية والتسليح .

وبالرغم من أن العدو الاسرائيلى تمكن من هزيمة القوات المصرية فى يونيو ١٩٦٧ واحتل أرض سيناء ، كما تمكن من تدمير الأسلحة والمعدات والطائرات الا أنه لم يتمكن من تدمير ارادة القتال الأمر الذى جعل من استمرار معركة يونيو ١٩٦٧ ثلاث سنوات أخرى أمرا واقعيا .

وكانت ظاهرة الصمود والتحدى فى معركة رأس العش فى ٦٧/٧/١ بين قوة مصرية صغيرة وبين مدرعات العدو دليلا على توفر ارادة القتال لدى القوات المسلحة بعد الهزيمة .

بينما كان إقبال الشباب للالتحاق بالكليات العسكرية قد وصل الى ٣٨ الف طالب سنويا أعوام ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ وهو دليل آخر على توفر ارادة القتال لدى الشعب .

وقد فشل الرئيس السادات فى الاحتفاظ بارادة القتال فى حرب اكتوبر ففى يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ اضطر الرئيس السادات تحت ضغط عسكرى من العدو أن يطلب وقف اطلاق النيران بعد فشله فى ادارة المعركة العسكرية مما ادى الى ضياع النصر الذى حققته القوات المسلحة فى بداية الحرب .

وعندما لم يلتزم العدو بقرار وقف اطلاق النار واستمر فى اجتياح القوات الضعيفة فى الضفة الغربية للقناة استنجد الرئيس السادات بقوات من الدولتين الأعظم .

وقد صاحب استنجاد الرئيس السادات بقوات أجنبية تصريحات مفاجئة كان لها تأثير سيىء على معنويات القوات المسلحة والشعب المصرى .

ثم اعلن الرئيس السادات « أن حرب أكتوبر هى آخر الحروب كما أعلن تبريره لطلب وقف اطلاق النار » « أننا ليس لنا طاقة لمحاربة امريكا » زعما أن الامداد الأمريكى بالسلاح لاسرائيل الذى بدأ يوم ١٩٧٣/١٠/١٣ هو العامل المؤثر الذى أدى الى نجاح ثغرة الدفرسوار وتدفق القوات الاسرائيلية غرب القناة .

وقد هبطت ارادة القتال فى جبهة قناة السويس بالرغم من أن الموقف العسكرى ومقارنة القوات والتوازن بينهما كان لازال فى صالحنا مما كان يحتم على القوات المصرية أن تعمل على .تدمير الجيب الاسرائيلى وتعمل على فك حصار الجيش الثالث الميدانى ولاتترك هذا الموقف الشائن يحدث أثره السىء فى الشعب وفى مراحل المفاوضات التالية للمعركة .

وكان لدى الرئيس السادات عدد من الدبابات يفوق مالدى اسرائيل فى الجيب الاسرائيلى شملت دبابات الفرقة ٤ مدرعة والفرقة ٦ مشاه ميكانيكى ولواء الحرس الجمهورى المسلح بدبابات ت ٦٢ بالاضافة الى الدعم الذى وصله من الدول العربية المكون من لواء مدرع جزائرى وآخر ليبى وعدد ١٤٠ دبابة من يوجوسلافيا بالاضافة الى عدد كبير من قذائقف المالوتكامارد، ر ب ج المضاد للدبابات بالاضافة الى قوة جيشين ميدانيين احدهما قادر على التحرك . ومع قرب القوة المصرية لقواعدنا الجوية فى الدلتا نجد ان توازن القوة بين الجيب الاسرائيلى وبين قواتنا كانت فى صالحنا خاصة وان قدرة اللواءات المدرعة للعدو كانت قد هبطت فى الأيام الأخيرة للمعركة الى اعداد محدودة جدا من الدبابات فى كل لواء مدرع فمثلا كانت لواءات مجموعة « ماجن » تتراوح بين ١٧ .دبابة ، ٣٠ دبابة فى كل لواء مدرع فقط الأمر الذى أوجد الفرصة الجيدة للقضاء على الجيب الاسرائيلى المحاصر فى غرب القناة وطريق امداده محدود عبر ثغرة الدفرسوار فقط .

الا أن الرئيس السادات رفض التصديق على تنفيذ الخطة شامل بل واطاح برئيس الأركان الذى كان يبغى التصرف الذى يعطى أملا فى القضاء على الجيب الاسرائيلى .

استمرت ارادة القتال فى الهبوط الى أن تبين للقوات النتائج السيئة التى وصلت اليها مفاوضات وتنازلات الرئيس السادات فى فض الاشتباك الأول عام ١٩٧٤ واعترض الفريق الجمسى رئيس الأركان على الشروط المهينة التى فرضها هنرى كيسنجر على السادات حيث قال « ان تأثير ذلك على القوات المسلحة سيكون سيئا للغاية » . فى نفس الوقت الذى تطاول الرئيس السادات على القوات المسلحة فى قوله مخاطبا هنرى كيسنجر فى أسوان « فى البداية واجهتنى مصاعب لاقناعهم بالحرب والآن تواجهنى المتاعبة لاقناعهم بالسلام » . وتناسى الرئيس السادات انه هو الرافض للمعركة فى ربيع عام ١٩٧١ فى الوقت الذى كان ميزان القوى فى صالح قواتنا المسلحة .

وكان رد فعل تصريحات الرئيس السادات المهبطة لروح القتال وارادته كبيرا على الشعب أيضا فقل اقبال الشباب على ادارات التجنيد بالقوات المسلحة الأمر الذى جعل وزارة الدفاع تشدد عقوبة التخلف عن الخدمة العسكرية وترفع عقوبة الغرامة حتى وصلت الى ٥٠٠٠ جنيه أو الحبس أو الاثنين معا .

وتأكيدا لهذا المعنى نجد الشعور العام لدى الشعب يميل نحو السلبية والبعد عن المخاطر المشروعة ووضع همومه ومشاكله على الحكومة ، كما وضع أمله كله على المعونات الأمريكية وكانت النتيجة هى ضعف الانتماء للوطن وضعف الرغبة فى حمايته وسلامة أراضيه .

٣ ــ الامداد بالعتاد الحربى

إحدى النتائج الهامة لمعارك اكتوبر ١٩٧٣ ــ اضطر الرئيس السادات عقب انتهاء المعارك من رفع شعار « تنويع مصادر السلاح » للقوات المسلحة المصرية . والشعار فى حقيقته تغطية اعلامية لردود الفعل المتوقعة من مجموع أفراد القوات المسلحة للقصور الواضح فى استعواض خسائر الحرب من الأسلحة والمعدات مثلما تحصل عليه اسرائيل فى الولايات المتحدة الأمريكية من معدات حديثة ومتطورة بالقدر الذى يعوض خسائرها ويضمن استمرار تفقوها العسكرى على كافة الدول العربية .

ونظرا لشعور الرئيس السادات بمسئوليته الشخصية عن انحسار الدعم العسكرى السوفيتى بعد استبعاده للمستشارين والوحدات السوفيتية فى يوليو ١٩٧٢ تجاوبا مع الرغبة الأمريكية وما آل اليه موقف وقدرة الأسلحة والمعدات . فقد أعد الرئيس السادات مخططا اعلاميا منذ البداية يهدف الى تحميل الاتحاد السوفيتى مسئولية القصور فى امداد القوات المسلحة بالأسلحة والمعدات وفقا لالتزاماته بدا بزعمه الباطل عام ١٩٧١ بتأخير وصول صواريخ الدفاع الجوى لحماية صعيد مصر متناسيا أنه شريك لنا فى مسئولية الدفاع الجوى عن عمق مصر .

كما ان السادات لم يتمكن من استعواض ١٢٠ طيارا سوفيتيا الذين كانوا يشاركون قواتنا فى مهامها كما لم يتمكن من استعواض وسائل الاستطلاع التعبوى والاستراتيجى التى كانت السوفييت يوفرونها بوسائلهم الحديثة فمن الوحدات السوفيتية التى كانت تعاوننا .

وتوجت هذه الحملة فى نهايتها بانهاء التعاون والصداقة مع الاتحاد السوفيتى وخسرت قواتنا المسلحة استعواض الأسلحة والمعدات التى دمرت فى حرب أكتوبر أسوة بما تم فى عمليات ١٩٥٦ وعمليات ١٩٦٧ .

الامداد بالعتاد الحربى ليس مجرد تجارة كما صورها الرئيس السادات اذ أنها تخضع فى المقام الأول لسياسات الدول المنتجة والدول المستوردة أى أنها سياسة تحكمها توافق أو تعارض هذه السياسات وليست تجارة . والامداد بالأسلحة والذخائر يتركز فى الدولتين الأعظم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية . وان الضمان والتأكيد على الامداد بالعتاد الحربى يعتبر من وجهة نظر مخططى الحرب أحد المقومات الأساسية بل شرط أساسى يلزم توافره قبل اقحام القوات المسلحة فى أى قتال .

وعلى سبيل المثال فان سوريا استعوضت خسائرها فى الدبابات والتى وصلت الى الف دبابة تقريبا خلال بضعة أسابيع من الاتحاد السوفيتى . واذا كانت سوريا قد التجأت الى فرنسا مثلا لاستعواض هذا العدد الكبير فى الدبابات لاستغرق استعراضه ثلاث سنوات واكثر .

اطلاق الرئيس السادات شعار تنويع مصادر السلاح بعد قراره بالابتعاد عن الاتحاد السوفيتى تلبيه لرغبة الولايات المتحدة الأمريكية التى اوهمته ان ذلك هو السبيل الوحيد لمعاونته . ولم يكن لهذا الشعار من مضمون سوى استيراد الاسلحة من الولايات المتحدة الأمريكية أو روافدها فى غرب اوربا مما يستلزم

التوافق السياسى مع الولايات المتحدة الأمريكية وما يتمشى مع سياستها فى منطقة الشرق الأوسط بمعنى الخضوع لسياسة حليفة اسرائيل والتى تعلن ان اساس سياستها فى المنطقة هو استمرار تفوق إسرائيل العسكرى على كافة الدول العربية مجتمعة .

وبعد أن طوعت الادارة الأمريكية الاستراتيجية المصرية فى شخص الرئيس السادات عقب النتائج السلبية لعمليات اكتوبر ١٩٧٣ والالتجاء الى الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب لامدادنا بالسلاح والمعدات الحربية اللازمة لاستعواض مافقدناه فى اكتوبر ١٩٧٣ . فقد كانت الشروط التجارية القاسية التى فرضت على مصر هى سمة هذا التعامل من جيث ارتفاع الأسعار ومعدلات فوائد القروض مما استتبع قصور الوفاء بمتطلبات قواتنا المسلحة استحالة الوصول الى معدل توازن عسكرى مقبول مع اسرائيل .

لقد تسببت هذ السياسة فى تحميل الدولة اعباء مالية فوق طاقتها مما أعجزها عن الوفاء بدفع أقساط هذه الأسلحة وتوقف توريدها تبعا لذلك . وان قصور الامكانات المالية لاستيراد الأسلحة نفسها تعنى بالتبعية القصور الحتمى لاستمرار تدبير مستلزمات تشغيلها وامكانات التحديث المستمر لها فضلا عن ضمان استمرار تدفقها لاستعواض الخسائر .

وحفاظا على سياسة الوفاق القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى سارعت الادارة الأمريكية بتوجيه الرئيس السادات الى شراء أسلحة من الصين الشعبية كخطوة ابتدائية فاصلة بين موقف الاتحاد السوفيتى عن امداد مصر بالأسلحة وبين اسلوب اعطاء مصر المعونات بقروض التى تمكنها من الحصول على الأسلحة الأمريكية بهذه الطريقة امكن للادارة الأمريكية أن تتفادى الموقف الحرج مع الاتحاد السوفيتى .

لقد اثبت الاتحاد السوفيتى فى جميع المراحل برغم مما شاب علاقته مع مصر من فترات ركود عدم النكوص عن التزاماته فى امدادنا بالسلاح اللازم لرفع القدرة القتالية لجمهورية مصر العربية وليس للقوات المسلحة فقط بالاضافة الى التسهيلات المالية المتميزة والذى جعلت الشعب أو خزينة الدولة لاتشعر بثقل اعباء الدعم السوفيتى فى يوم من الأيام بالاضافة الى هداياه بتعويض خسائر معركة ١٩٥٦ ومعركة ١٩٦٧ دون مقابل .

ولايخفى ان تنويع مصادر التسليح تستتبع زيادة العبء الادارى والتموينى وتنوع الأسلوب التدريبى واسلوب الصيانة والاصلاح وأخيرا التوافق مع مطالب العمليات مثل تضارب وسائل التعارف بين الوحدات المقاتلة الأرضية والجوية أو بين الوحدات المقاتلة الجوية فيما بينها . وهى صعاب تعمل كافة الجيوش على تفاديها لما فيها من مساوىء . الا ان السادات كان يفاخر باعلانها وكأنها حسنة من الحسنات .

٤ ــ اشتراك سلاح البترول فى المعركة

كان انضمام سلاح البترول لأول مرة فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ قد وحد بين عمليات الخليج العربى وعمليات شرق البحر الأبيض معا فلم يعد هناك فى أكتوبر ١٩٧٣ مسرحان متميزان للعمليات بل مسرح واحد ضم اغلب دول الوطن العربى . فى منطقة استراتيجية واحدة تشكل مجموعة متجانسة جغرافية وسياسية مترابطة تتساوى فيها الحياة لكل الدول التى تعيش فيها . الأمر الذى يقرب الى الذهن ضرورة العمل على وضع استراتيجية واحدة تحقق الأهداف السياسية والاقتصادية والأمنية لجميع دول المنطقة .

بالاضافة الى الظاهرة التى إتضحت فى أهمية المحيط الهندى كمسرح موصل لبترول الخليج العربى حيث مرت خلال عام ١٩٧٤ حوالى ٣٠٠ مليون طن من البترول وبذا جمع البترول بين ثلاث مناطق . المحيط الهندى ــ الخليج العربى ــ شرق البحر الأبيض فى مسرح عمليات واحد .

٥ ــ تأخير وصول الدعم العربى فى معارك اكتوبر

برزت فكرة توحيد جهود الدول العربية لتحرير الأرض المغتصبة بعد مؤتمر القمة العربى بالخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ وان المعركة مع اسرائيل هى معركة قومية وسعت دول المواجهة الى حث باق الدول العربية لانضمام الوحدات المقاتلة التى يمكن تدبيرها الى صفوف قوات دول المواجهة من اجل العمل المشترك فى تحرير الأرض . وزادت حماسة الدول العربيّة عندما تصاعدت العمليات على جبهة قناة السويس خلال حرب الاستنزاف . الأمر الذى دعا الجزائر والسودان والكويت لإيفاد وحدات مقاتلة برية الى قوات الجبهة الغربية فى قناة السويس . ولما كان الدعم الجوى له تأثيره لامكان الوصول الى توازن مع العدو فقامت الدول العربية بتدبير وحدات جوية لدعم الدولتين القائمتين بالتصدى لاسرائيل وهى مصر وسوريا تمهيدا لاتمام معركة التحرير .

ففى يناير ١٩٧٣ صدرت قرارات مجلس(*) الدفاع العربى بأن مسئولية مواجهة العدوان الاسرائيلى هى مسئولية عربية مشتركة ورفض الحلول الجزئية باعتبارها ضارة بالقضية الفلسطينية والزام دول المساندة بأن تكون قواتها جاهزة بأماكن تمركزها فى دولها فى نهاية شهر مارس ١٩٧٣ على أن تكون مستعدة للتحرك الى الأماكن التى يحددها القائد العام للقوات المسلحة العربية .

وكان العراق والسعودية والكويت وليبيا والجزائر والمغرب والسودان وتونس والامارات قد تعهدوا بتقديم الدعم البرى والجوى للجبهات العربية عندما يطلب القائد العام ذلك .

(*) امريكا والعرب لمحمود رياض ص ١٤٢

وكان حجم الدعم العربى كبيرا دلل على التأييد السياسى والعسكرى والتضامن من دول المساندة العربية .

وعندما بدأت العمليات فى ٦ أكتوبر على الجبهتين المصرية والسورية سارعت دول المساندة العربية الى ارسال وحداتها البرية والجوية للاشتراك فى المعركة القومية على الجبهتين . وكانت بعض أسراب مقاتلة / قاذفة من العراق قد سبقت هذا الحشد الكبير .

فشل الرئيس السادات فى الاستفادة بهذا الدعم العربى الكبير بسبب تسرعه فى طلب وقف اطلاق النار بعد اسبوعين اثنين فقط من بدء القتال فحال دون تمكين القوات العربية من الوصول الى مسرح العمليات والاشتراك فى المعركة بكل ثقلها .

٦ ــ الاعداد الجيد للمعركة

فوجئت اسرائيل بعد معركة يونيو ١٩٦٧ ان الجبهة المصرية لم تهدأ ودخلت مصر حرب الاستنزاف التى خسرت فيها اسرائيل افراداً ومعدات كثيرة نتيجة لتركيز قوة النيران الضخمة التى تمكنت مصر من حشدها بكثافة على خط المواجهة مع اسرائيل . فى نفس الوقت التى نجحت فيه مصر من اعداد قواتها اعدادا علميا مكّنها من المواجهة العسكرية بكفاءة وقدرة فى اكتوبر ١٩٧٣ .

شمل هذا الاعداد ــ الدولة ــ الشعب ــ القوات المسلحة . وبرز فى هذا الاعداد العلمى ، اعداد الفرد المقاتل خاصة بعد الحاق خريجى المعاهد العليا والجامعات جنودا مقاتلين .
ــ الممارسة العملية فى رفع كفاءة الجندى المقاتل فى معارك صغيرة وجريئة مع العدو عبر قناة السويس
ــ الاستفادة بخبرة المستشارين العسكريين السوفييت فى رفع كفاءة وقدرة التشكيلات المقاتلة البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوى .
ــ اعداد الطيار المقاتل لأول مرة على يد مدربين اكفاء ومعاونه خبراء سوفيت فى ثلاث كليات جوية انشئت خصيصا بالاضافة الى كلية بلبيس ومعاهد تدريب الطيارين فى الاتحاد السوفيتى . كان هذا التركيز بسبب ادراكنا ان الطيار المقاتل الممتاز . وتوافره وهو عامل رئيسى فى نجاح أى معركة . كما كان اعداد مسرح العمليات له اهميته وتأثيره خاصة فى انشاء المطارات الجديدة وتأمينها بالدشم والملاجىء الخرسانية .

كذا انشاء واستكمال خطوط المواصلات السلكية واللاسلكية لجميع مناطق العمليات المنظرة . واخيرا كان تركيز واهتمام القيادة السياسية والقيادة العسكرية ومؤسسات الدولة والشعب من اجل الاعداد السليم للمعركة .

مما يجدر الاشارة اليه عن جدّية الاعداد لمعركة التحرير التى استغرق ثلاث سنوات فقط تم خلالها مواجهات مباشرة مع العدو فى البر والبحر والجو وبرزت خلالها أمثلة بطولية رائعة والأمر الذى ادى بقواتنا أن تسجلها وتفاخر بها وتحتفل بها سنويا فى اعياد بأفرع القوات المسلحة التى قامت بها .

فكان تدمير أكبر مدمره اسرائيلية « إيلات » فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ بواسطة زوارق قواتنا البحرية عيدا لقواتنا البحرية . وكان استشهاد الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس اركان القوات المسلحة فى الخندق الأول فى النسق الأول يوم ١٩٦٩/٣/٩ شمال الاسماعيلية عيدا لشهداء القوات المسلحة تحتفل به سنويا وكان تدمير ٨ طائرات اسرائيلية طراز فانتوم واسكاى هوك واسر ٥ من طياريها يوم ١٩٧٠/٦/٣٠ يوما مشهودا سجلته قوات الدفاع الجوى تتويجا لنجاحها فى اقامة اكبر شبكة دفاع جوى تطورا فى العالم تحت سيطرة تامة لطيران العدو .

وهذه الأحداث التاريخية خلال فترة اعداد القوات المسلحة تعطى رصيدا إضافيا لما قامت به قواتنا من جهد خارق فى أقل زمن ممكن اكتسبت مصر معركة العبور فى ٦ أكتوبر ٧٣ بالذات الشىء الكثير .

٧ ــ مفاجأة حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كان المقاتل المصرى هو مفاجأة معارك أكتوبر ٧٣ فقد اعترف جميع كتاب اسرائيل وغيرهم من الدول الأوروبية وامريكا ان الجندى المصرى قد تغير كثيرا عما كان عليه ، وهذا بفضل الاعداد الجيد والتسليح السوفيتى الحديث الذى استوعبه واجاده المقاتلون المصريون بسرعة . كما ان المواجهة المباشرة التى تمت عمليا خلال سنوات حرب الاستنزاف قد اكسبت الطيار المقاتل ورجل المشاه واطقم مدفعية الميدان واطقم الصواريخ الثقة فى النفس وفى السلاح وفى الهدف الذى يقاتلون من اجله .

كما اعترف الاسرائيليون بالبطولات الفردية والجماعية التى قام بها الجندى المصرى خلال هذه المواجهة التى اكسبت المقاتلين المصريين الخبرة الحقيقية للقتال . كما تم فيها معرفة القدرة القتالية للاسرائيليين على حقيقتها عندما اكد دافيد اليعازر رئيس اركان الجيش الاسرائيلى بعد انتهاء معارك أكتوبر ان المفاجأة الكبرى فى هذه الحرب كانت هى الجندى المصرى . فقد اظهر قدرا من الكفاءة والتضحية بالنفس وتوفر الدافع للقتال يفوق كثيرا ماأظهره فى الحروب السابقة .

وحقق الجندى المصرى فى حرب اكتوبر القول « ان الرجل خلف السلاح هو الأهم وهو الفيصل الحاسم فى المعركة » .

٨ ــ دور القائد العام فى قيادة المعركة

تبين من احداث ووقائع عمليات اكتوبر ١٩٧٣ ان القائد العام خطط ونفذ العمليات العسكرية طبقا لأهداف واتجاهات الرئيس السادات السياسية وليس طبقا لقواعد ومبادىء الحرب المعروفة . وتطبيقا لهذا الأسلوب اتخذ القائد العام مبدأ أمن القوات فى الميدان ستارا لتجميد قدرات القوات المسلحة خاصة اللواءات المدرعة كى تعمل فى نطاق ضيق فقدت داخله مرونتها وقدراتها الحقيقية .

بالاضافة الى ان الجمود الذى سيطر على فكر القائد العام جعله يتخذ من اذاعة العدو الجوى عن قدراته بانها الذراع الطويلة مجالا للتأكيد على تطبيقاته الجامدة لقواته الجوية فى الميدان فقرر منع

استخدام معظم قواته الجوية . التى أثبتت جدارتها فى حرب الاستنزاف الى فترة متأخرة من الحرب خوفا من تدميرها مبكرا بواسطة العدو .

ويتضح فكر القائد العام ودوره فى قيادة المعركة من خلال المؤتمر الصحفى الذى عقده فى جريدة الأهرام يوم ١٧/١٠/١٩٧٣ وحضره بعض المحررين العسكريين من الولايات المتحدة الأمريكية حيث سألوا الفريق أول احمد اسماعيل الآتى :

س ــ لماذا لم تطور الهجوم وتستغل نجاح العبور منذ يوم ٧/١٠/١٩٧٣ ؟ .

ج ــ التأمين لدى افضل .

س ــ ولكنه تأمين قاتل وبطىء للغاية !

ج ــ اننى غير مستعد للمغامرة بالقوات مثل المشير عبد الحكيم عامر .

س ــ لماذا لم تستغل نجاح قواتك بعد العبور يوم ٧ او يوم ٨ على الأكثر ــ علما بان اندفاع القوات شرقا الى المضايق الجبلية عقب نجاح عملية العبور هو تأمين فى حد ذاته ؟

ج ــ التأمين المضمون والمحسوب فى نظرى افضل .

س ــ لماذا تركتم ثغرة الدفرسوار ؟

ج ــ اننا كنا نهجم بالقوات الاحتياطية لرفع الضغط عن سوريا واننى فضلت ذلك عن تأمين القوات كلها .

ان الاجابة على السؤال الأخير التى صدرت من القائد العام تخالف أول وأهم مبدأ من مبادىء الحرب وهو تأمين وسلامة القوات .

وكان إنصياع القائد العام لتنفيذ القرار السياسى الخاطىء يوم ١١/١٠/١٩٧٣ الذى أصدره السادات وصمم على تنفيذه فاضطر القائد العام الى استخدام احتياطيه المدرع المتمركز غرب القناة ، وعندما تحركت هذه الدروع الى شرق القناة انكشف أمن القوات وتمكنت اسرائيل من عبور قواتها عبر ثغرة الدفرسوار ونقل المعركة الى غرب القناة مما ادى الى تدهور الموقف العسكرى على الجبهة .

والدرس الذى برز امامنا بوضوح ان تطبيق مبادىء الحرب وقواعدها واساليبها المعروفة فى جميع جيوش العالم يجب ان تكون هى الحاكمة فى تخطيط العمليات الحربية كذا فى ادارتها .

٩ ــ فى الاستطلاع التعبوى والاستراتيجى

القتال دون توفير معلومات دقيقة عن مواقع العدو يعتبر قتالا فى ظلام ــ والمعلومات عامة سواء عن قوات العدو أو عن قواتنا تعتبر عصب التخطيط وعنصرا أساسيا فى ادارة العمليات . ان قواتنا المسلحة فقدت عناصر الاستطلاع التعبوى والاستراتيجى منذ ان استغنى الرئيس السادات عن الوحدات السوفيتية التى كانت تعاون قواتنا فى الحصول على المعلومات الاستراتيجية والتعبوية منذ يوليو ١٩٧٢ ولم تتمكن قواتنا من استعواضها او احلال وسائل اخرى بديلة لها وظهر عجز القوات فى عملياتها الهجومية خلال معارك اكتوبر بسبب غياب عنصر الاستطلاع التعبوى والاستراتيجى .

١٠ـــ زيادة ادراك القادة بأهمية الاحتياطيات فى المعركة

ظاهرة عدم ادراك القيادة العامة بأهمية تواجد احتياطى كاف فى المعركة حدثت فى معركة يونيو ١٩٦٧ وتكررت فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ وتسبب عدم ادراك القيادة لدور الاحتياطى التعبوى والاستراتيجى أن ادى الى فقد اتزان القوات فى ساحة المعركة ومن ثم تعرض امنها الميدانى لخطورة. اختراق العدو للدفاعات أو تمكينه من الالتفاف على الأجناب دون أن تعترضه اى قوات احتياطية تكون متوفرة لدى القائد .

لذا يجب الالتزام بضرورة بقاء ثلث القوات دائما فى الاحتياطى بأنواعه المختلفة فى جميع العمليات فى يد القائد . وقبل ان يصدر القائد قراره باستخدام هذا الاحتياطى أو جزء منه يجب ان يكون لديه البديل من قوات اخرى تتواجد مكانه . هذا بالاضافة الى أنه يجب الاهتمام قبل بداية العمليات الحربية من تواجد احتياطى عام مخزون من جميع الأسلحة والمعدات والذخائر المستخدمة مع القوات العاملة لدى الدولة ، وان يتوافق ذلك مع خطة تعبئة شاملة للشعب وامكانات الدولة بحيث يمكن انشاء وتجهيز التشكيلات الاحتياطية فور بدء العمليات .

١١ ـــ فى الحرب الألكترونية

تم تصعيد وتطوير فى استخدام الأجهزة الألكترونية وأصبحت فى هذه الحرب ميدان اختبار للصواريخ السوفيتية والأمريكية والوسائل والنظم الألكترونية المضادة لها كذا اضافة لكفاءة وقدرة الطائرات المقاتلة القاذفة سواء فى اعمال الملاحة الجوية أو فى دقة واصابة الأهداف أو فى مقاومة اتجاهات الصواريخ الموجهة اليها وطبقت هذه الوسائل على الزوارق البحرية الاسرائيلية ايضا . وتوضح جليا لدى القوات المتحاربة ان أى اضافة ولو بسيطة من الأجهزة الألكترونية تغير كثيرا من قدرة وفاعلية المعدات فى القتال . وبالرغم من أن القوات المسلحة ادخلت ادارة جديدة بهذا الأسم ضمن تنظيمها الا اننى ارى اضافة مادة جديدة « الكترونيات الحرب » ضمن مناهج التدريس فى معاهدنا العسكرية ومراكز بحوثنا ومعاملنا فى جميع افرع القوات المسلحة . ان التطور الجديد فى اسلحة المستقبل القريب سوف ترتكز على الالكترونيات التى تدخل فى صناعة الصواريخ والأسلحة والمعدات كما يرتكز عليها نظم القيادة والسيطرة والتوجيه والتدخل .

١٢ ـــ القدرات القتالية لقواتنا البحرية

قواتنا البحرية من ناحية الحجم تفوق للقوات البحرية الاسرائيلية ولكن عند تخصيص مهام اعتراضية أو هجومية بعيدة عن قواعدها وهى من الواجبات الأساسية القوات البحرية يعترض اداء هذه المهام البحرية عدم توفر الحماية الجوية المطلوبة أى انه من الضرورة توافر عنصر التعاون الجوى بصفة دائمة فى كل العمليات البحرية .

ان القدرة القتالية لقواتنا البحرية تضعف للغاية واحيانا تنعدم كلية فى بعض المهام اذا لم يتوفر

لديها المساعدات الجوية المطلوبة لأداء مهامها البحرية بنجاح . كما لايمكن ان نعتبر ان قواتنا البحرية قوات ردع دون توفر الدعم الجوى اللازم لعملياتها . وياحبذا لو وضعت اسراب المعاونة الجوية تحت القيادة المباشرة للقوات البحرية أو نعيد النظر فى موضوع انشاء قوات جوية بحرية خاصة للقوات البحرية مرة اخرى ـــ صحيح انه موضوع مكلف جدا ولكنه يتساوى مع عدم التفريط فى قدرة قواتنا البحرية .

ان معارك اكتوبر البحرية وضحت لنا ضرورة اضافة عنصرين هامين الى تشكيلاتنا البحرية هما عنصر المساعدات المباشرة الجوية كذا عنصر الالكترونيات والأخير هام جدا لرفع كفاءة وحداتنا البحرية اسوة بما تم فى وحدات الاستطلاع والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوى .

١٣ ـــ قدرة الدبابة على القتال

كانت النظرية السائدة قبل معارك اكتوبر ١٩٧٣ ان الدبابة هى السلاح الأساسى لتدمير دبابة اخرى . الا أنه ثبت ان التطور فى الأسلحة المضادة للدبابات انه يمكن تدمير الدبابات المعادية بالصواريخ والقواذف المضادة للدبابات . هذا بالاضافة الى أن ثمن الصواريخ والقواذف المضادة للدبابات اقل بكثير من ثمن الدبابات . الأمر الذى يعنى من الناحية التكتيكية امكانية استخدام اعداد كبيرة من هذه الصواريخ لسد الطريق على المدرعات المتقدمة وسوف نرى فى الحروب القادمة الصراع فى التصنيع بين قدرة الدبابة على الصمود امام تطور صناعة الصواريخ المضادة للدبابات .

١٤ ـــ استهلاك الأسلحة والمعدات والذخائر

نتائج حرب اكتوبر اسفرت عن خسائر مادية كبيرة فى الأسلحة وخاصة فى الطائرات المقاتلة القاذفة وفى الدبابات بالاضافة الى استهلاك معدل كبير من الصواريخ بأنواعها سواء المضادة للطائرات أو المضادة للدبابات كذا فى الذخائر عامة ، الأمر الذى يجعل المخططين على اعداد الحروب المقبلة يحرصون على تغيير معدلات الاستهلاك ، كذا اعادة الحساب فى المخزون من الأسحة والذخيرة كذا فى المخزونات الأحتياطية على مستوى الدولة وبالذات فى الدبابات والطائرات والصواريخ والذخائر الأمر الذى يشكل عبئا ماليا على الدولة .

١٥ ـــ التدريب على العمليات المشتركة

تطورت اساليب القتال فى العمليات المشتركة للدرجة التى استوجبت اعداد القوات وتدريبها على هذه الأساليب فى وقت السلم واهمها .

١ ـــ زيادة الاهتمام بتدريب القوات على العمليات الهجومية اذ تبين ان جميع العمليات الهجومية التى قامت بها القوات المسلحة فى حرب اكتوبر كانت فاشلة بينما نجحت جميع العمليات الدفاعية . ويرجع السبب فى ذلك الى اهتمام هيئة التدريب فى القوات المسلحة على اتقان العمليات الدفاعية ارتكازا على ان سياسة الدولة دفاعية منذ ان نشأ الصراع المسلح مع اسرائيل علما بان التدريب على العمليات الهجومية جزء لايتجزأ من العمليات الدفاعية .

٢ ـــ التدريب على العمليات المشتركة للتشكيلات المقاتلة لأفرع القوات المسلحة الرئيسية الأربعة يعتبر واجبا أساسيا لاختبار قدرة القوات المسلحة بوصفها قوة مقاتلة متكاملة . وان تعاون تشكيلاتها المختلفة معا هو محور النصر فى المعركة . اذ ان اى سلاح وحده لايمكن أن يكسب أى معركة وظهر فى معارك اكتوبر القصور الواضح فى عدم التعاون بين القوات الجوية وبين الجيشين الثانى والثالث فى أمور الاستطلاع ، كذا فى المعاونة المباشرة الأرضية .

ان متابعتى لست عمليات هجومية تمت على مستوى لواءات مدرعة وميكانيكية شرق القناة لم تنل من المعونات الجوية المباشرة فى القتال سوى عملية الفرقة ٢١ مدرعة يوم ١٠/١٤ وعملية لواء ١٣٠ مشاه مستقل فقط .

هذا مع العلم ان خطة عمليات جرانيت (٢) المعدلة ـــ خصصت ٦ طلعة سرب للجيش الثانى ، ٤ طلعه سرب للجيش الثالث تحت طلب قيادتى الجيشين فى المرحلة الثانية للخطة وتبين اثناء تنفيذ الخطة ان هذه المعاونات الجوية ظلت تحت يد القيادة العامة لم تفرط فيها الا بعد طلبات جديدة من الجيشيين .

وهذا الأسلوب ينطبق ايضا على التعاون الضرورى بين لواءات الزوارق البحرية وبين اسراب المعاونة الجوية المباشرة للعمليات البحرية .

ونستخلص من ذلك ان تطور اساليب القتال فى الوقت الحاضر تلزم الحاق اطقم واجهزة التعاون الجوى على جميع الفرق المشاه والميكانيكية والمدرعة . كذا على لواءات زوارق البحرية فى أوقات السلم حتى يمكن التعايش والتعارف والتدريب بصفة مستمرة ، وان تكون حالة الحرب استمراراً لحالة السلم فى هذا الشأن وان يراعى تخصيص طلعات الأسراب المعاونة على مستوى التشكيل المقاتل وهو الفرقة أو اللواء البحرى .

٣ ـــ تطوير اساليب القتال تحتم التوسع فى استخدام اسراب الهليكوبتر فى جميع العمليات الدفاعية والهجومية للتشكيلات البرية أو البحرية أو مجموعات الصاعقة ، الأمر الذى يعرض زيادة اعدادها زيادة تسلحها خاصة بالأسلحة المضادة للدبابات صواريخ جو /جو . كذا الاهتمام بتدريب اطقمها على واجبات العمليات المختلفة مع التشكيلات المقاتلة المذكورة .

١٦ ـــ دور القيادة السياسية فى المعركة

دور القيادة السياسية يجب ان ينتهى باصدار توجيهاتها السياسية والعسكرية لبدء المعركة وهو ما قام به الرئيس السادات فى ١٩٧٣/١٠/١ ، ٧٣/١٠/٥ بوصفه القائد الأعلى للقوات المسحلة ويبدأ بعد ذلك دور القيادة العسكرية فى ادارة العمليات العسكرية .
الا ان تدخل الرئيس السادات فى ادارة العمليات العسكرية تسبب فى تحويل النصر الى هزيمة .

وقد ثبت خلال معارك اكتوبر ١٩٧٣ لن الرئيس السادات امر القائد العام بعمل الوقفة التعبوية

يوم ١٠/٩ ثم عاد وامر بتطوير الهجوم شرقا يوم ٧٣/١٠/١١ على ان ينفذ صباح يوم ١٠/١٣ واستخدام الاحتياطى مما ادى الى حدوث الثغرة ورفض رأى رئيس الأركان بسحب بعض اللواءات المدرعة لتكوين احتياطى جديد والرئيس هو الذى رفض استئناف القتال بهدف القضاء على الجيب الاسرائيلى وانهاء حصار الجيش الثالث .

ولو دققنا البحث عن سبب هذه النتيجة نجد ان الانفراد باصدار القرار المصيرى سواء فى مرحلة التخطيط (تحديد الهدف) او فى مرحلة ادارة العمليات (قيادة وسيطرة) مرجعه انفراد الرئيس السادات باصدار القرار بينما الواجب ان يصدر القرار من مجلس متخصص أو مجلس رئاسى أو جماعى . ولم يكن انشاء مجلس الدفاع الوطنى أو المجلس الأعلى للقوات المسلحة الا للنظر وبحث ودراسة مثل هذه القرارات .

وكان اصرار السادات على الانفراد باصدار القرارات المصيرية ادت الى وقوعه فى أخطاء جسيمة واجراء التنازلات السياسية والعسكرية لاسرائيل وهى :

١ ــ تنازل الرئيس السادات لكيسنجر عن التمسك بخط ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ الصادر به قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ على ان يكون الحد الفاصل بين القوات المتحاربة غرب قناة السويس . وكانت القوات الاسرائيلية قد تجاوزته بعد توقيت وقف اطلاق النار نظير وعد من هنرى كيسنجر بفصل القوات فصلا شاملا ، وعودة القوات الاسرائيلية الى شرق القناة وهذه الموافقة من الرئيس السادات اكدت بقاء الجيش الثالث ومدينة السويس محاصرة ، وحرمت القوات المسلحة المصرية من حقها فى القتال (اتفاق قصر الطاهرة ١٩٧٣/١١/٧) .

٢ ــ تنازل الرئيس السادات عن شروطه فى التسوية الشاملة وانسحاب اسرائيل الى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ من اجل العمل اولا على رفع الحصار عن الجيش الثالث ومدينة السويس وبذا اسقط الهدف السياسى الذى حارب من اجله (اتفاق قصر الطاهرة فى ١٩٧٣/١١/٧ م) .

٣ ــ وافق الرئيس السادات على رفع الحظر البحرى على باب المندب والسماح بمرور سفينة شحن بترول الى ايلات فى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٨ نظير مرور قول تموين واحد الى الجيش الثالث المحاصر فاجهض افضل عملية بحرية ناجحة تمت فى أكتوبر ١٩٧٣ .

٤ ــ عدل الرئيس السادات عن تمسكه بتحقيق تسوية فلسطينية خلافا للسياسة المصرية المقررة فى التسوية الشاملة ــ تبليغ اسماعيل فهمى وزير الخارجية المصرية الى هنرى كيسنجر عند زيارته لواشنطن فى ١٩٧٣/١٠/٢٩ .

٥ ــ توجيه من الرئيس السادات الى اسماعيل فهمى يوم ١٩٧٣/١٠/٢٥ الذى قام باخطار مجلس الأمن بعدم حاجة مصر الى مراقبى القوتين الأعظم ، وبذا تنازل الرئيس عن المشاركة السوفيتية الأمريكية ثم عمل على استبعاد السوفييت من القضية نهائيا خدمة لأهداف الولايات المتحدة الأمريكية .

٦ ــ قبل الرئيس السادات تبادل اسرى الحرب نظير تخلى اسرائيل عن بعض المواقع شرق مدينة السويس مباشرة (منطقة رأس مسلة) وكان لاينطبق عليها القواعد الاسرائيلية التى تحدد أماكن تمركز

القوات المصرية شرق القناة فى فض الاشتباك الأول يناير ١٩٧٤ .

٧ ـــ تقاعس الرئيس السادات عن واجب مشاركة الحليفة سوريا فى حرب أكتوبر من ضرورة اشراكها فى اتفاقية فض الاشتباك الأول الذى تم بالنسبة للجبهة المصرية فى قناة السويس فقط .

٨ ـــ قام الرئيس السادات بالضغط على الدول العربية المنتجة للبترول للعمل على رفع الحظر المقرر من يوم ١٩٧٣/١٠/١٦ والذى وضحت اثاره الضارة على دول غرب أوروبا والولايات المتحدة يوم ١٩٧٣/١٠/٢٠ على جبهة قناة السويس وتخليص قوات الجيش الثالث ومدينة السويس من الحصار الاسرائيلى .

(رسالة هنرى كيسنجر الى الرئيس السادات يوم ١٩٧٣/١١/١٨)

٩ ـــ موافقة الرئيس السادات على خطط واهداف الولايات المتحدة الأمريكية فى تغيير سياسات مصر الخارجية والداخلية ، وقصر اجراءات المفاوضات لفض الاشتباك تحت اشرافها وحدها كى تظل سيطرتها على الموقف (رسالة هنرى كيسنجر الى الرئيس السادات يوم ١٩٧٣/١١/١٨) .

١٠ ـــ موافقة الرئيس السادات منفردا لهنرى كيسنجر فى اسوان للتنازل عن تمسك القوات المسلحة المصرية بمنطقة المضايق الجبلية فى سيناء ، كذا فى تخفيض القوات المصرية من ٧٠٠٠٠ مقاتل الى ٧٠٠٠ ومن ١٠٥٠ دبابة الى ٣٠ دبابة فقط فى الشريط الضيق ٦ ـــ ١٠ كم الذى تم تحريره بواسطة القوات المسلحة فى معركة العبور وبذا تحقق لاسرائيل اقصى حدود امنية فى سيناء ـــ (اتفاقية فض الاشتباك الأول فى ١٩٧٤/١/١٨) .

١١ ـــ موافقة الرئيس السادات منفردا لهنرى كيسنجر فى اسوان بتراجع صواريخنا المضادة للطائرات ومدفعيتنا طويلة المدى الى خط غرب القناة ٣٠ كم بحيث لاتصل تأثير نيران هذه الأسلحة الى المواقع الاسرائيلية غرب سيناء .

(اتفاقية فض الاشتباك الأول فى ١٩٧٤/١/١٨م)

١٢ ـــ وفى اتفاقية فض الاشتباك الثانى التزمت مصر بامداد اسرائيل بالبترول المستخرج من الآبار المصرية بالسعر الدولى . تجاوبا مع الرغبة الاسرائيلية لفتح باب التعاون التجارى بين البلدين .

١٣ ـــ لم تكتف الولايات المتحدة الأمريكية خلال حرب اكتوبر بخداع الرئيس السادات بل قدمت تعهدات لاسرائيل بضمانات عسكرية تؤكد امن اسرائيل فى حالة انتهاك مصر لمعاهدة السلام « اتفاق تفاهم بين حكومتى الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل » ملحق ب المرفق .

وتسلم الرئيس السادات صورة من هذه التعهدات الأمريكية لاسرائيل فى اليوم السابق لتوقيع معاهدة السلام وبالرغم من ان هذه التعهدات معادية لمصر الا ان الرئيس السادات لم يتمكن من التراجع فى توقيع المعاهدة لعدم وجود خيار اخر غير الاستسلام للخداع الأمريكى والذى بدأه كيسنجر فى أول زيارة له فى اجتماع قصر الطاهرة فى ١٩٧٣/١١/٧ .

وقام رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت وكان مرافقا للسادات فى واشنطن بارسال خطاب اعتراض ورفض لهذه التعهدات الأمريكية لاسرائيل والموجهة أساسا ضد مصر معتمدا على الأسس التالية .

١ ــ التعهدات الأمريكية لاسرائيل هى ادعاء باتهام مصر بخرق اتفاقية السلام .
٢ ــ التعهدات الأمريكية لاسرائيل هى تحالف عسكرى بين الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل يهدد مصر .
٣ ــ التعهدات تمنح الولايات المتحدة الأمريكية سلطة فرض تدابير تأديبية مما يثير الشكوك حول مستقبل العلاقات المصرية الأمريكية .
٤ ــ موافقة الولايات المتحدة الأمريكية على قيام اسرائيل باتخاذ تدابير عسكرية ضد مصر .
٥ ــ تعطى الولايات المتحدة الأمريكية الحق فى ان تفرض وجودها العسكرى فى المنطقة .

وكان هذا التحالف الأمريكى الاسرائيلى فى هذه الوثيقة والذى تأيد رسميا عام ١٩٨٤ يمثل قمة النجاح الاسرائيلى . وفشل سياسة الرئيس كارتر وسوء تقدير الرئيس السادات للدور الأمريكى غير ان رفض مصر لهذه الاتفاقية لايقف دون تنفيذ السياسة المتفق عليها بين الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل ولم يكن فى استطاعة مصر بعد ان عزلها السادات عربيا ودوليا ان تقاوم هذا التحالف الأمريكى الاسرائيلى .

وشعر الرئيس السادات بعد ارتمائه فى احضان الولايات المتحدة الأمريكية انه خسر كل شىء ، استغنى عن الاتحاد السوفيتى وعادى الدول العربية وعزل مصر عنها ، وكان ذلك خدمة لأهداف الولايات المتحدة الأمريكية . وبعد كل ذلك لم يستطع ان يصل فى صداقته مع الولايات المتحدة الى مستوى الصداقة الأمريكية الاسرائيلية . فقد تحالفت امريكا مع اسرائيل ضد مصر .

وختم الرئيس السادات اخطاءه بتوقيع احكام معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل يوم ١٩٧٩/٣/٢٦ كما وقع على وثيقة جديدة تحت عنوان « الاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وغزة » دون اشتراك الأردن أو منظمة التحرير الفلسطينية اللتين رفضتا اخطاء الرئيس السادات وامتنعتا عن مشاركته .

وأخيرا فان مصر التى رفضت سياسة الاحلاف فى الخمسينيات فان الرئيس السادات امكنه من خلال تنازلاته أن يقيم علاقات خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل أمن اسرائيل فى الثمانينات .

فرضت معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ترتيبات أمن شملت قيودا عسكرية كثيرة حددت حجم القوات المسلحة واوضاعها وتسليحها شرق وغرب قناة السويس ، كما فرضت اجراءات مراقبة ومتابعة تقوم بها لجنة من قوات الأمم المتحدة لضمان تنفيذ احكام الملحق (١) للمعاهدة (بروتوكول ترتيبات الأمن) ملحق ا المرفق .

هذه القيود العسكرية حرمت مصر من تأمين وسلامة حدودها الدولية . اذ ان نزع سلاح معظم اراضى شبه جزيرة سيناء خلق منطقة امن استراتيجية من اجل حماية أمن اسرائيل .
كما نصت المادة ٢ من الملحق الأول على انشاء وتنظيم الخطوط والمناطق المبينة على الخريطة (١) مرفق رقم (١٦) توضح القيود التالية :

١ ــ حجم القوات شرق القناة

تتمركز فرقة مشاة ميكانيكى فى المنطقة (أ) قوامها ٢٢ ألف فرد مكونة من ثلاثة لواءات مشاه ميكانيكية ولواء مدرع وسبع كتائب بمدفعية ميدان فى حدود ١٢٦ قطعة ، وسبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية ارض / جو وحتى ١٢٦ مدفعا مضاداً للطائرات عيار ٣٧مم .

٢ ــ تحديد أماكن التمركز

تتواجد هذه القوة فى المنطقة (١) التى يحدها من الشرق (الخط الأحمر) ، ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس . والخط الأحمر يبعد عن القناة حوالى ٥٠ كم شرقا وان القوة المصرية بهذا الوضع لايمكنها الارتكاز على المضايق الاستراتيجية غرب سيناء لمواجهة اى تهديد اسرائيلى .

٣ ــ تخفيض القوات غرب القناة

حددت اتفاقية فض الاشتباك الأول حرمان منطقة غرب القناة فى حدود ٣٠ كم من تمركز مدفعية الميدان طويلة المدى كذا الصواريخ ارض / جو حتى لاتؤثر نيرانها على مواقع شرق الخط الأحمر .

٤ ــ الاستطلاع الجوى ــ حرية العمل مكفولة للقوات المصرية فى المنطقة (أ) فقط ولايتعدى نشاط الاستطلاع الجوى شرق الخط الأحمر .

٥ ــ القوات الجوية ــ حرية العمل مكفولة للقوات الجوية فى المنطقة (ا) فقط لايتعدى نشاطها شرق الخط الأحمر .

٦ ــ القوات البحرية ــ حرية العمل مكفولة للقوات البحرية داخل المنطقة (أ) وامتدادها فى البحر الأبيض شمالا والبحر الأحمر جنوبا ولايتعدى نشاطها شرق الخط الأحمر .

ونصت المادة ٦ من الملحق الأول للمعاهدة على قيام لجنة من قوات ـــ الأمم المتحدة بالتحقيق الدورى من تنفيذ احكام الملحق الأول للمعاهدة مرتين فى الشهر .

كما ورد فى المادة (ا) من اتفاق التفاهم بين الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل ملحق (ب) المرفق تعهد الولايات المتحدة القيام بالتدابير الملائمة للنهوض بالمراقبة الكاملة لمعاهدة السلام .

أى ان نزع معظم اراضى سيناء والقيود العسكرية التى التزمت بها مصر فى معاهدة السلام والتدابير الملائمة التى تعهدت الولايات المتحدة الأمريكية القيام بها فى حالة انتهاك امن اسرائيل تجعل من الصعب على القوات المسلحة المصرية ان تؤمن حدودها الدولية مع اسرائيل كما تجعل امن مصر مهددا بصفة دائمة .

وان الخط الأحمر الوارد ذكره فى الملحق الأول للمعاهدة والذى قيد حركة القوات المسلحة المصرية شرقا يعتبر من وجهة نظر اسرائيل حدودا أمنة لها .

الملحق (أ)

الملحق (أ) لاتفاقية السلام بين مصر واسرائيل

بروتوكول بشأن الانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن :
المادة الأولى : (ملخص)

« بشأن الانسحاب ـــ اسلوبه ـــ مراحله ـــ وتشكيل لجنة مشتركة للاشراف والمتابعة وقد انتهى اجل هذه المادة بانتهاء انسحاب اسرائيل من سيناء » .

المادة الثانية :

بشأن تحديد الخطوط النهائية والمناطق
ـــ من اجل منح الطرفين اقصى قدر من الأمن بعد الانسحاب النهائى يتم انشاء وتنظيم الخطوط والمناطق المبينة على الخريطة (١) كما يلى : مرفق رقم (١٧)
أ ـــ المنطقـة .
١ ـــ المنطقة أ يحدها من الشرق الخط (ا) ـــ (الخط الأحمر) ومن الغرب ـــ الساحل الشرقى لخليج السويس كما هو مبين بالخريطة (ا) .
٢ ـــ تتواجد فى هذه المنطقة فرقة مصرية من جنود المشاه الميكانيكة وأجهزتها العسكرية وتحصينات الميدان
٣ ـــ ستتكون العناصر الاساسية للفرقة من :
ا ـــ ٣ الوية مشاه ميكانيكية
ب ـــ لواء مدرع
جـ ـــ ٧ كتائب مدفعية ميدان تضم ١٢٦ قطعة مدفعية
د ـــ ٧ كتائب مدفعية مضادة للطائرات تضم صواريخ ارض ـــ جو فردية سام ٧ وما يصل الى ١٢٦ مدفعا مضادا للطائرات عيار ٣٧' م
هـ ـــ عدد يصل الى ٢٣٠ دبابة
و ـــ عدد يصل الى ٤٨٠ عربة مدرعة من جميع الأنواع
د ـــ عدد يصل الى اجمالى ٢٢ ألف فرد

ب ــ المنطقة (ب)

١ ــ المنطقة (ب) يحدها الخط ب (الخط الأحمر) من الشرق والخط ا الخط الأحمر من الغرب كما هو موضح على الخريطة (ا)

٢ ــ تتولى وحدات حدود مصرية تتكون من ٤ كتائب مزوده بالأسلحة الخفيفة والعربات تقوم بمسئولية الأمن واستكمال مهمة البوليس المدنى فى حفظ النظام فى المنطقة (ب) وتتكون العناصر الأساسية لكتائب الحدود الأربعة من عدد يصل الى اجمالى ٤ آلاف فرد

٣ ــ وقد تنشأ على ساحل هذه المنطقة نقاط انذار ساحلية متمركزة ارضا وذات مدى قصير وقدرة نيران محدودة من وحدات دوريات الحدود :

٤ ــ يمكن اقامة تحصينات ميدانية ومرافق عسكرية لخدمة الـ ٤ كتائب حدود فى هذه المنطقة

ج ــ المنطقة (ج)

١ ــ المنطقة (ج) يحدها الخط (ب) ــ (الخط الأخضر) من الغرب والحدود الدولية وخليج العقبة من الشرق كما هو مبين فى الخريطة (ا) .

٢ ــ تتمركز فى المنطقة (ج) قوات الأمم المتحدة وافراد البوليس المدنى المصرى فقط

٣ ــ يسلح افراد البوليس المدنى المصرى بالأسلحة الخفيفة ويقوموا بمهام البوليس المدنى العادية

٤ ــ قوات الأمم المتحدة تتوزع فى المنطقة (ج) وتقوم بمهمتها المحددة فى المادة ٦ فى هذا الملحق .

٥ ــ تقيم قوات الأمم المتحدة فى معسكرات اماكنها بعد التشاور مع السلطات المصرية فى :

أ ــ موقع على الحدود الدولية وعلى بعد ٢٠ كيلومترا جنوب البحر الأبيض المتوسط

ب ــ موقع فى منطقة شرم الشيخ

د ــ المنطقة (د)

١ ــ المنطقة (د) يحدها الخط (د) ــ (الخط الأزرق) من الشرق وخط الحدود الدولية من الغرب كما هو مبين فى الخريطة

٢ ــ تتواجد فى هذه المنطقة قوات اسرائيلية محدودة مكونة من ٤ كتائب مشاه وموافقتهم العسكرية وتحصيناتهم بالاضافة الى مراقبى هيئة الأمم المتحدة

٣ ــ لا دبابات أو مدفعية ميدان او صواريخ مضادة للطائرات تتواجد مع القوات الاسرائيلية فى المنطقة (د) ماعدا صواريخ الفردية المضادة للطائرات

٤ ــ العناصر التى تتواجد مع القوة الاسرائيلية فى هذه المنطقة تتكون من ١٨٠ عربة مدرعة من مختلف الأنواع وعدد لايزيد على ٤ آلاف فرد

ــ محاور العبور على الحدود الدولية تتم من خلال نقط تفتيش يحددها كل طرف وتتولى السيطرة عليها طبقا للقواعد والقوانين المحلية لكل دولة .

— التحصينات والمرافق العسكرية والقوات والأسلحة التى ذكرت فى هذا الملحق هى فقط التى تتواجد فى هذه المناطق

المادة الثالثة — النظام الجوى

١ — الطائرات المقاتلة وطائرات الاستطلاع لكل من مصر واسرائيل يمكنها الطيران فقط فوق المنطقة ا ، د

٢ — الطائرات غير المسلحة كل من مصر واسرائيل يمكنها التمركز فى المنطقة ا ، د على التوالى

٣ — الطائرات غير المسلحة المصرية يمكنها الهبوط والاقلاع فى المنطقة (ب) ويمكن الاحتفاظ بعدد ٨ طائرات نقل غير مسلحة فى المنطقة (ب) كما يمكن تجهيز وحدات الحدود التى تخدم فى هذه المنطقة بطائرات هليكوبتر غير مسلحة للقيام بمهامها فى المنطقة

٤ — يمكن انشاء مطارات مدنية فقط فى المناطق

٥ — سيسمح دون الحاق الضرر ببنود هذه المعاهدة بممارسة هذه الأنشطة الجوية العسكرية لتحديد الأنشطة المسموح بها فى هذا الملحق فى المناطق والمجال الجوى فوق مياهها الاقليمية

المادة الرابعة — النظام البحرى

١ — بامكان مصر واسرائيل وضع وتشغيل سفن بحرية على طول سواحل المنطقتين ا ، د .

٢ — يتم وضع زوارق خفر سواحل مصرية مسلحة تسليحا خفيفا وتشغيلها فى المياه الاقليمية

٣ — سيقوم البوليس المدنى المصرى المجهز بالزوارق الخفيفة والأسلحة الخفيفة بتأدية وظائف البوليس العادية فى المياه الاقليمية للمنطقة (ج)

٤ — لاشىء فى هذا الملحق سوف يعتبر انتقاصا من حق المرور البرىء للسفن البحرية لكلا الطرفين

٥ — يجرى انشاء موانى بحرية مدنية فقط ومنشئات فى هذه المناطق

٦ — سيسمح بهذه الأنشطة البحرية فقط ودون الحاق الضرر ببنود المعاهدة .

المادة الخامسة — اجهزة الانذار المبكر

بامكان مصر واسرائيل انشاء وتشغيل اجهزة للانذار المبكر فى المنطقتين أ ، د

المادة السادسة — عمليات الأمم المتحدة

١ — ستطلب الأطراف الى الأمم المتحدة تزويدها بالقوات والمراقبين للاشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل أفضل جهودها لمنع أى خرق لبنوده

٢ — فيما يتعلق بقوات الأمم المتحدة والمراقبة وافقت الأطراف على طلب الترتيبات التالية :

أ — تشغيل نقاط التفتيش ودوريات الاستطلاع ومراكز المراقبة على طول الحدود الدولية **وخط ب وداخل المنطقة ج**

ب ـ التحقيق الدورى من تنفيذ بنود هذا الملحق سيتم ليس اقل من مرتين شهريا الا اذا اتفقت الأطراف على غير ذلك .

جـ ـ اجراء تحقيق اضافى فى خلال ٤٨ ساعة بعد استلام طلب بذلك من اى من الطرفين

د ـ ضمان حرية الملاحة خلال ممر تيران طبقا للمادة (٥) من المعاهدة

٣ ـ تشرف قوات الأمم المتحدة على تنفيذ الترتيبات المنصوص عليها فى هذه المادة فى المناطق (ا،ب،جـ) ويشرف مراقبو الأمم المتحدة على تنفيذها فى المنطقة (د)

٤ ـ سيصحب ضباط اتصال من كلا الطرفين فرق التحقق التابعة للأمم المتحدة

٥ ـ ستقدم قوات الأمم المتحدة ومراقبوها تقارير عن نتائج مهمتها لكلا الطرفين

٦ ـ تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها العاملون فى المناطق بحرية الحركة وغيرها من التسهيلات الضرورية لأداء مهامها .

٧ ـ ليس لقوات الأمم المتحدة ومراقبوها سلطة اصدار تراخيص لعبور الحدود الدولية

٨ ـ سيتفق الطرفان على الدول التى سيتم منها تشكيل قوات الأمم المتحدة ومراقبوها وسيتم تشكيل هذه القوات من دول اخرى غير الدول الاعضاء الدائمين فى مجلس الأمن .

فى حالة عدم التوصل الى اتفاق بين الطرفين فيما يتعلق بأحكام الفقرة الثامنة من المادة السادسة من الملحق الأول ، فانهما يتعهدان بقبول أو تأييد ماتقترحه الولايات المتحدة الأمريكية بشأن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين .

٩ ـ يتفق الطرفان على ضرورة ان تقوم الأمم المتحدة باتخاذ هذه الترتيبات بأفضل وسيلة تضمن التنفيذ الفعال لمسئولياتها .

المادة ٧ ـ نظام الاتصال :

١ ـ فور حل اللجنة(*) المشتركة يتم انشاء نظام اتصال بين الأطراف ويقصد بنظام الاتصال توفير وسيلة فعالة لتقييم التقدم فى تنفيذ الالتزامات المنصوص عليها فى هذا الملحق وحل أى مشاكل يمكن ان تبرز خلال عملية التنفيذ والرجوع فى القضايات الأخرى التى لايمكن حلها الى السلطات العسكرية الأعلى فى كلتا الدولتين تباعا للنظر فيها .

كما يقصد بنظام الاتصال تجنب المواقف الناجمة عن اخطاء سوء التفسير من جانب كل من الطرفين

(*) اللجنة المشتركة شكلت من اجل متابعة الانسحاب وتحل عقب اتمام الانسحاب النهائى من سيناء . وتحل محلها اطقم مشتركة من ممثل واحد عن كل من مصر واسرائيل من مجموعة إتصال دائمة وسوف تمارس نشاطها وفقا لمهام اللجنة المشتركة كما جاء فى المادة الرابعة من الملحق الاضافى (١) والمادة السابعة من الملحق الأول .

٢ — سيتم انشاء مكتب اتصال مصرى فى العريش ومكتب اتصال اسرائيلى فى بئر سبع ويرأس كل مكتب ضابط من الدولة المعنية ويساعده عدد من الضباط

٣ — سيتم انشاء خط تليفون مباشر بين المكتبين كذلك سيتمر انشاء خطوط تليفونية مباشرة بين المكتبين وقيادة قوات الأمم المتحدة .

المادة ٨ — احترام النصب التذكارى

كل طرف يحافظ بشيء من التقدير على النصب التذكارى لشهداء الحرب لكل منهما — وبالذات النصب المقام بواسطة اسرائيل فى سيناء والذى سيقام للمصريين فى اسرائيل على نحو يسمح بممرات لهم

المادة ٩ — الترتيبات المؤقتة (ملخص)

«شرح تفصيلى لطريقة انسحاب القوات الاسرائيلية وأسلوب عمل قوات هيئة الأمم المتحدة كقوات فاصلة بين الطرفين ولمدة سبعة أيام فاصل بين كل انسحاب واحلال قوات حدود فى المناطق المحددة لها كذا تنظيم عملية التصرف فى المنشأت والمعدات الدفاعية العسكرية خلال فترة الانسحاب وتخص بالذكر فقط مياه بجوار العريش والطور واسلوب تسليمها الى لجان فنية مصرية للاشراف على هذه المنشأت والمعدات التى سيأخذونها وفقا لعملية نقل بعدها مسبقا اللجنة المشتركة كذا تنظيم عملية» الاستطلاع الجوى خلال مراحل الانسحاب .

ملحــق (ب)
اتفاق التفاهم بين الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل بشأن تقرير الولايات المتحدة لضماناتها العسكرية لاسرائيل فى حالة انتهاك احكام معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية

اعترافا بأهمية ابرام معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وبالنظر الى اهمية تطبيق أحكام معاهدة السلام المذكورة لمصالح ، وامن اسرائيل واسهام إبرام معاهدة السلام فى أمن اسرائيل وتنميتها بالاضافة الى اهميتها لسلام المنطقة واستقرارها وحفظ السلام الدولى والأمن .

واعترافا بان الانسحاب من سيناء يفرض اعباء ثقيلة اضافية فى مجال الأمن والمجالين العسكرى والاقتصادى لاسرائيل .

تؤكد حكومتا الولايات المتحدة ودولة اسرائيل مايلى مع مراعاة قوانينهما واجراءاتهما الدستورية .

١ ـــ فى ضوء دور الولايات المتحدة فى إبرام معاهدة السلام ورغبة الأطراف فى ان تمضى الولايات المتحدة على طريق تقديم المساندة سوف تتخذ الولايات المتحدة التدابير الملائمة للنهوض بالمراقبة الكاملة لمعاهدة السلام .

٢ ـــ اذا مااتضح للولايات المتحدة ان انتهاكا لمعاهدة السلام او تهديدا بانتهاكها قد حدث فان الولايات المتحدة سوف تستشير الأطراف حول التدابير الواجب اتخاذها لوقف هذا الانتهاك أو الحيلولة دون وقوعه وكفالة مراقبة المعاهدة وتعزيز العلاقات الودية والسلمية بين الأطراف وسوف تتخذ ما تعتبره ملائما من الاجراءات بما فى ذلك الاجراءات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية المذكورة فيما بعد

٣ ـــ سوف ستقوم الولايات المتحدة ما تراه لازما مسانده الى ماتقوم به اسرائيل من اعمال لمواجهة انتهاكات على هذا النحو لمعاهدة السلام خاصة اذا مارئى ان انتهاك معاهدة السلام يهدد أمن اسرائيل بما فى ذلك على سبيل المثال تعرض اسرائيل لحصار يمنعها من استخدام الممرات المائية الدولية وانتهاك بنود معاهدة السلام بشأن الحد من القوات أو شن هجوم مسلح على اسرائيل فان الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد لأن تنظر بعين الاعتبار وبأقصى سرعة فى اتخاذ اجراءات مثل تعزيز وجود الولايات المتحدة فى المنطقة وتزويد اسرائيل بالمستحقات العاجلة وممارسة حقوقها البحرية لوضع حد الانتهاك

٤ ـــ سوف تساند الولايات المتحدة حقوق الأطراف فى الملاحة البحرية والجوية للدخول الى هذا البلد أو ذاك عبر وفوق مضيق تيران وخليج العقبة وفقا لما نصت عليه معاهدة السلام

٥ ـــ سوف تعترض الولايات المتحدة وتعارض ـــ عند الضرورة ـــ اى عمل أو قرار للأمم المتحدة يتعارض مع وجهة نظرها ـــ مع معاهدة السلام

٦ ــ سوف تعمل الولايات المتحدة بتصريح ومصادقة الكونجرس ــ على النظر بعين الرعاية لطلبات المساعدة العسكرية والاقتصادية لاسرائيل وتسعى الى تلبيتها .

٧ ــ سوف تواصل الولايات المتحدة فرض قيود على شحنات الأسلحة التى تقدمها الى كل بلد قيود تحظر نقل هذه الأسلحة دون تصريح الى أى طرف اخر . ولن تزود الولايات المتحدة أو تسمح بنقل مثل هذه الأسلحة اذا ما استخدمت فى هجوم مسلح ضد اسرائيل وسوف تتخذ التدابير اللازمة مثل هذا النقل غير المصرح به

٨ ــ ان الاتفاقات والتأكيدات القائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل لاتلغيها أو تعدلها معاهدة السلام ، باستثناء ماورد فى المواد .... من مذكرة الاتفاق بين الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل الموقعة فى سبتمبر ١٩٧٥ .

٩ ــ توضع بنود هذه المذكرة موضع التنفيذ على القدر وتعلن الولايات المتحدة واسرائيل موافقتهما عليها وسوف تطبق كما هى .

سايروس فانس
عن الولايات المتحدة الأمريكية
واشنطن ١٩٧٩/٣/٢٦

موشى ديان
عن حكومة اسرائيل

ملحق (ج)
بروتوكول بشأن القوات متعددة الجنسيات

تم توقيع اتفاقية بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٧ يوليو ١٩٨١ فى لندن بشأن القوة الدولية متعددة الجنسيات بعد أن عجز مجلس الأمن عن تشكيل قوات الأمم المتحدة والمراقبين تطبيقا للمادة الرابعة من المعاهدة والمادة السادسة من الملحق الأول وشمل الاتفاق :

١ ـــ يتم تشكيل قوة متعددة الجنسيات ومراقبين « م .ف .او » وبالانجليزية «M.F.O» كبديل لقوات الأمم المتحدة والمراقبين

٢ ـــ تتطابق احكام ونصوص المعاهدة الخاصة بتشكيل ومسئوليات ومهام القوة الدولية والمراقبين تطابقا كاملا مع مسئوليات ومهام القوة متعددة الجنسيات والمراقبين

٣ ـــ تبدأ مهامها الساعة ١ بعد ظهر يوم ٢٥ ابريل ١٩٨٢

وارفق مع الانفاق ملحق يبين الصفة الدولية لهذه القوة وتشكيلها وحجمها(*) وعملياتها كما ارفق مع الانفاق خطاب من الولايات المتحدة الأمريكية الى كل من مصر واسرائيل يحدد مهام ومسئوليات الولايات المتحدة الأمريكية فى تشكيل وقيام القوة وتزويدها بوحدات من قواتها المسلحة .

(*) تتشكل القوة من قيادة عامة وثلاث كتائب مشاه لايزيد عددها عن ٢٠٠٠ بالاضافة الى وحدة بحرية تقوم بالدوريات ووحدة مراقبة ووحدة طيران ووحدة اشارة ووحدة مساندة للاعمال الادارية .

ـــ تحمل وحدات القوة اسلحة تقليدية مناسبة تتفق وطبيعة مهامها الخاصة بحفظ السلام

ـــ البروتوكول اعطى الحق للولايات المتحدة الأمريكية باشتراك قواتها مع القوة المتعددة الجنسيات فى سيناء وبذا تحقق التواجد الأمريكى فى المنطقة .

ملحق الخرائط

مرفقه ١

شبه جزيره سيناء

مرفق ٣

البحر الأبيض المتوسط

العريش

رفح

العوجه

لواء مدرع

بير العبد

رمانه

القسيمه

الحسنه

بئر الحمه

جعجافه

المليز

تمادا

ج يلق

البحيرة المرة

كروكي

حجم وأوضاع القوات الإسرائيلية المنتظر أن تعمل على جبهة ج ع م في خطة العملية جرانيت مارس ١٩٧١

مرفق ٣

البحر الابيض المتوسط

بورسعيد

المنزله

القنطره

الاسماعيلية

المره

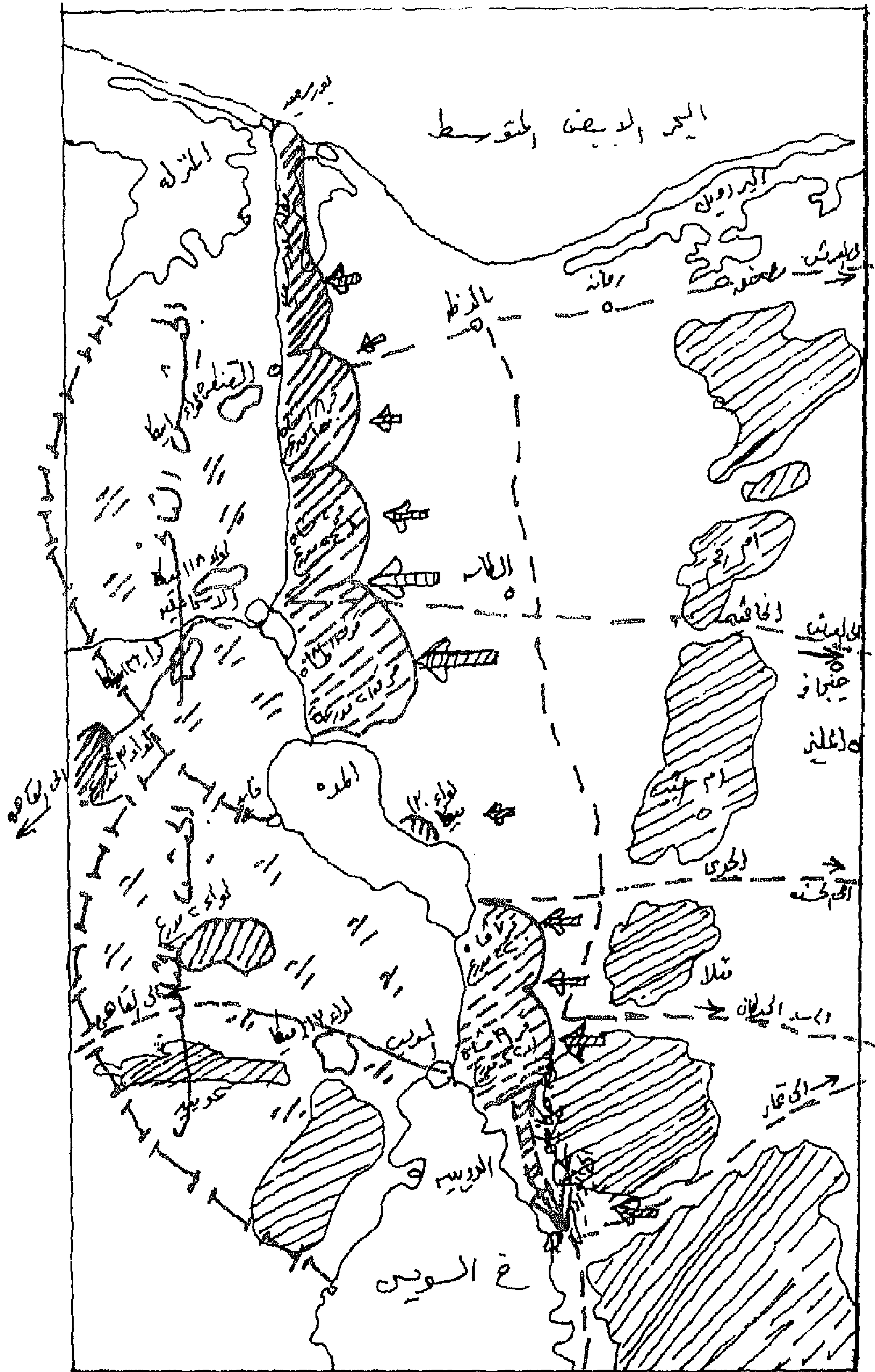
الجيش الثالث

السويس

كروكي

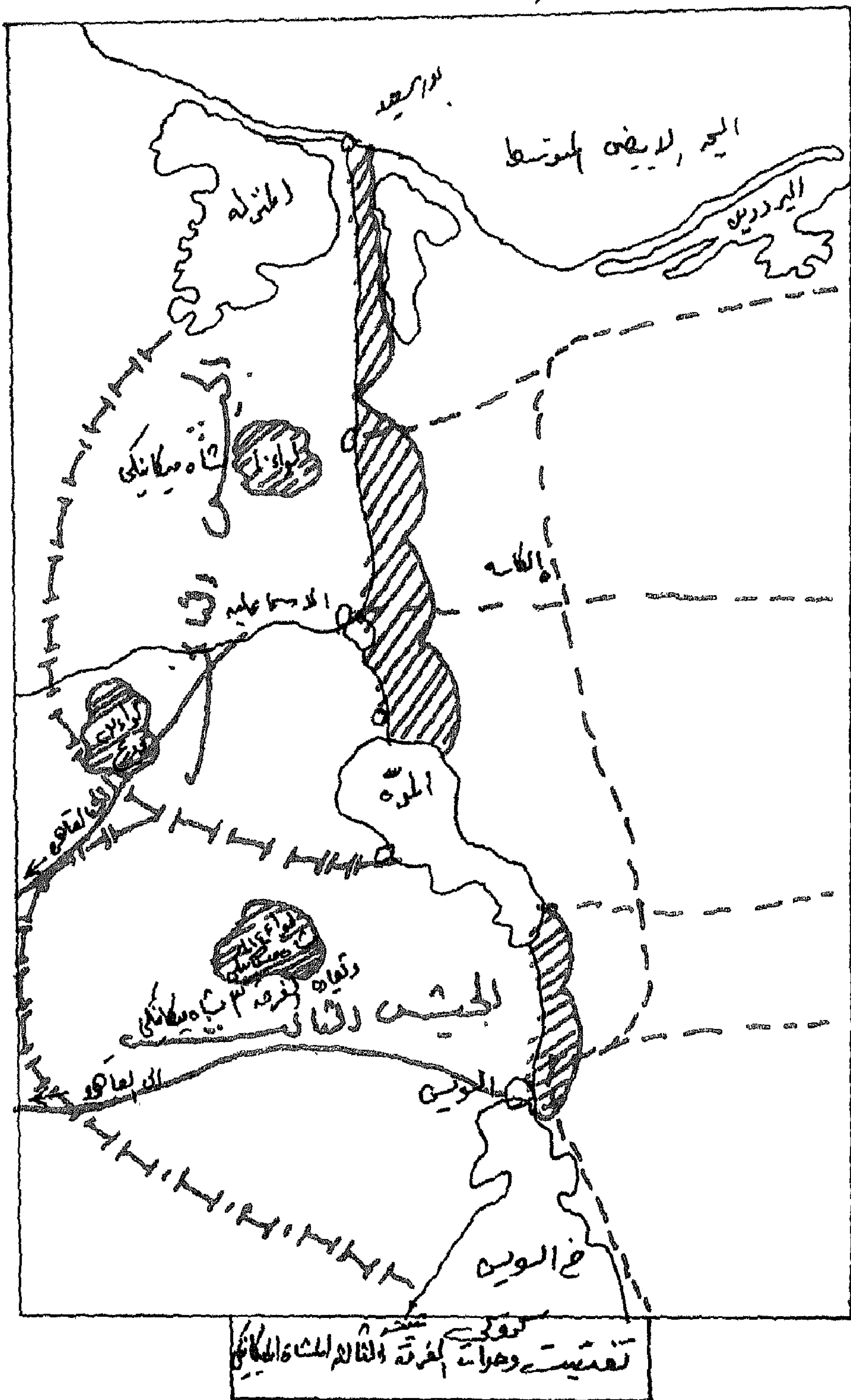
فكرة العملية جرانيت عام ٧٠/٧١

مرفق ٤



المرحلة الأولى من خطة جرانيت (٢) المعدلة

مرفق ٥



تفتيش وحدات الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكي

مرفق ٦

البحر الابيض المتوسط

المنزلة

البردويل

بالوظة

القنطرة

الطاسة

الجيش الثاني

الدفرسوار

المرة

الجيش الثالث

السويس

خليج السويس

كروكي
لتعيين وحدات الفرقة ٣ مشاة ميكانيكي

مرفق ٧

البحر الأبيض المتوسط

بورسعيد

المنزلة

بردويل

بالوظة

القنطرة

الجيش الثاني

الطاسة

الإسماعيلية

الدفرسوار

المرة

فايد

الجيش الثالث

السويس

خليج السويس

توضيح

تثبيت وحدات الفرقة ٦ مشاة ميكانيكي

مرفق ٨

البحر الأبيض المتوسط

بورسعيد

المنزلة

البردويل

القنطرة

الإسماعيلية

الدفرسوار

المرة

فايد

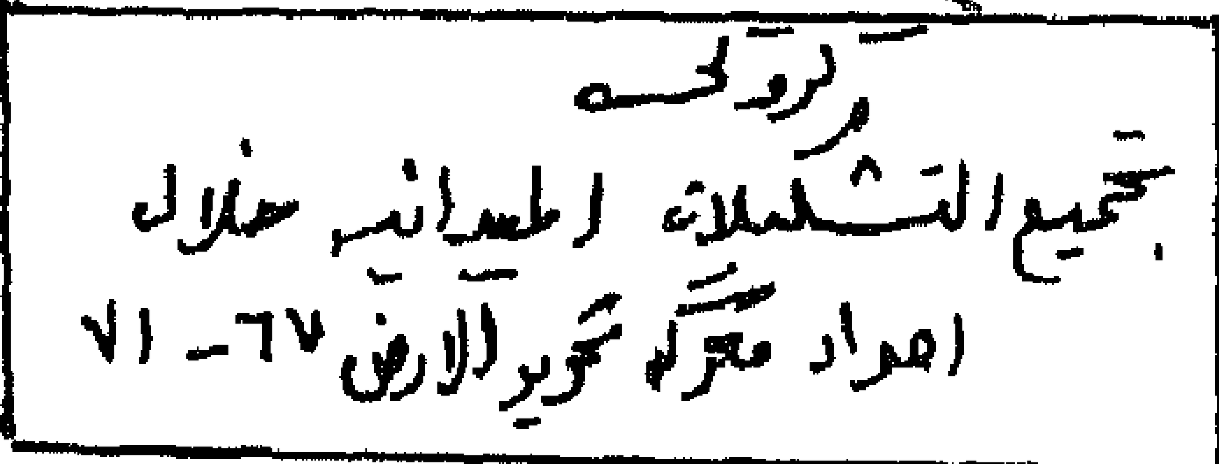
كبريت

فرقة ٢١ مدرعة

فرقة ٤ مدرعة

الأدبية

خ السويس



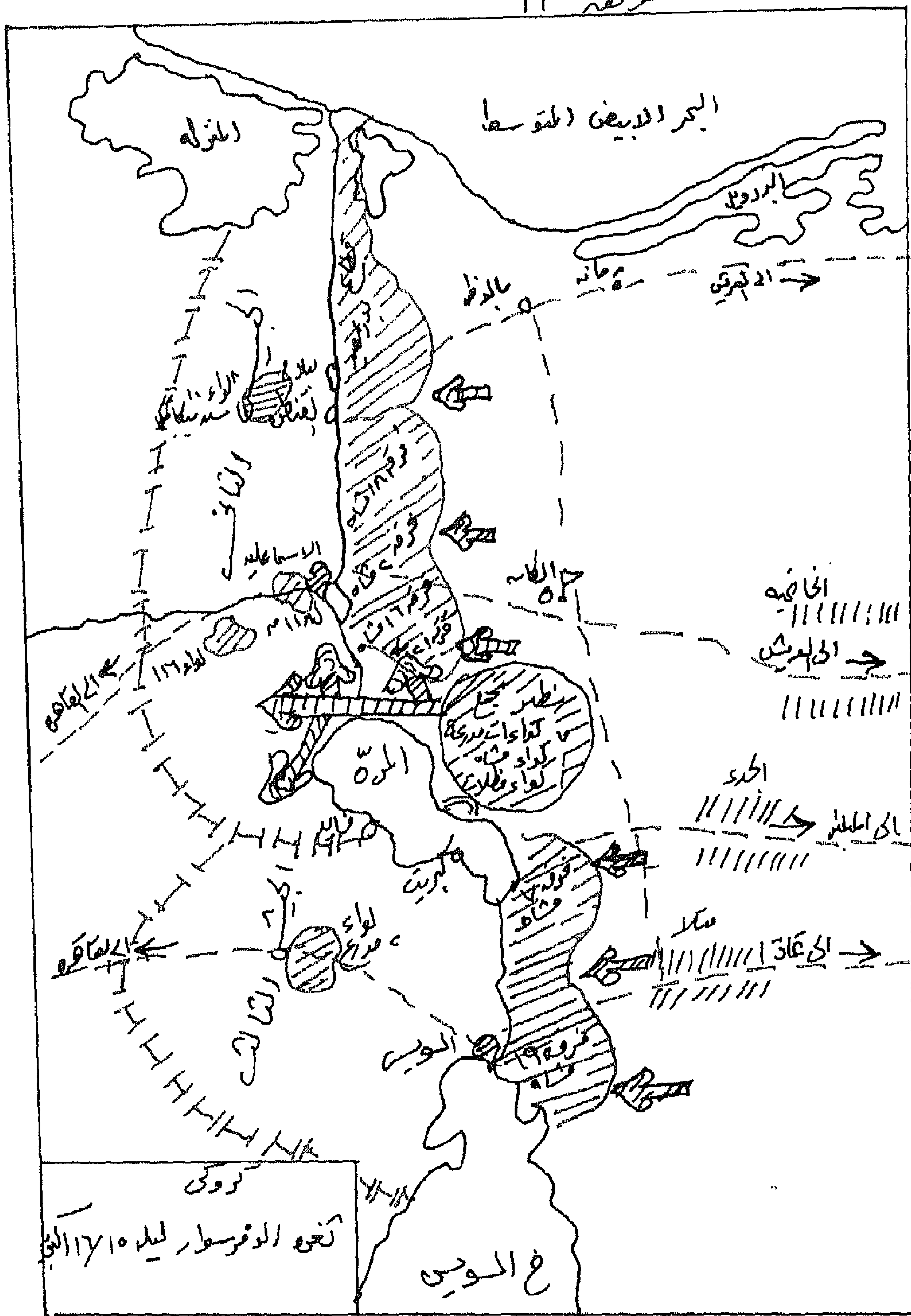
بورسعيد
المنزلة
البحر الأبيض المتوسط
رمانه
بالوظة
قطاع بورسعيد
القنطرة
الإسماعيلية
الطاسة
الدفرسوار
البحيرات المرة
فايد
كبريت
الجدي
متلا
الجيش الثالث
السويس
البحر الأحمر

كروكي
رؤوس الكباري حتى يوم ٩ أكتوبر ٧٣

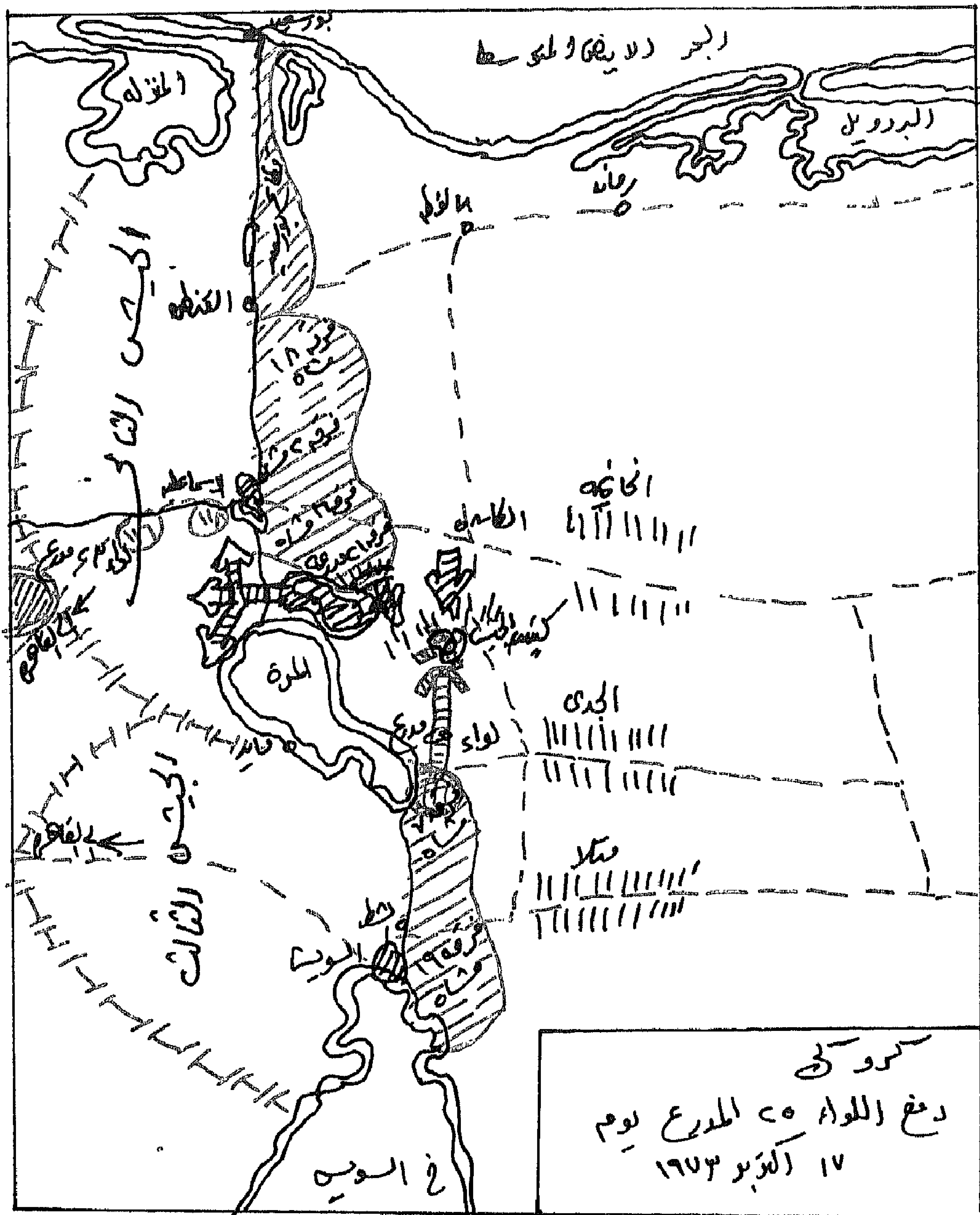
مرفق ١٠

بورسعيد
المنزلة
البحر الأبيض المتوسط
العريش
رمانة
بالوظة
القنطرة
الجيش الثاني
البلاح
الإسماعيلية
الطاسة
إلى الجفجافة
إلى القاهرة
الدفرسوار
البحيرة المرة
فايد
الجيش الثالث
الجدي
متلا
الشط
السويس
خليج السويس
إلى القاهرة

مفتاح
حجم واتجاهات الهجوم يوم ١٤ أكتوبر


مرفق ١١
البحر الابيض المتوسط
المنزلة
البردويل
رمانة
بالوظة
الى العريش
الاسماعيلية
البحيرة المرة
السويس
خ السويس
كروكي
ثغرة الدفرسوار ليلة ١٥/١٦ اكتوبر

مرفق ١٢


البحر الأبيض المتوسط
المنزلة
البردويل
رمانة
القنطرة
الإسماعيلية
البحيرة المرة
السويس
خ السويس
الجدي
متلا
القاهرة
كروكي
دفع اللواء ٢٥ المدرع يوم
١٧ أكتوبر ١٩٧٣

مرفق ١٣

كروكي
الموقف يوم ٢٢ أكتوبر ٧٣

مرفق ١٤

الاسماعيلية

الى القاهرة

لواء مدرع
+ ١ لواء مشاة

البحيرة المرة

فايد

كبريت

لواء مدرع
+ ١ لواء مشاة

لواء مدرع
+ ١ لواء مشاة

مركز الاحتياطي القريب

لواء مدرع حراسة

لواء مدرع ليبي

لواء دبابات

لواء مشاة جمهوري

السويس

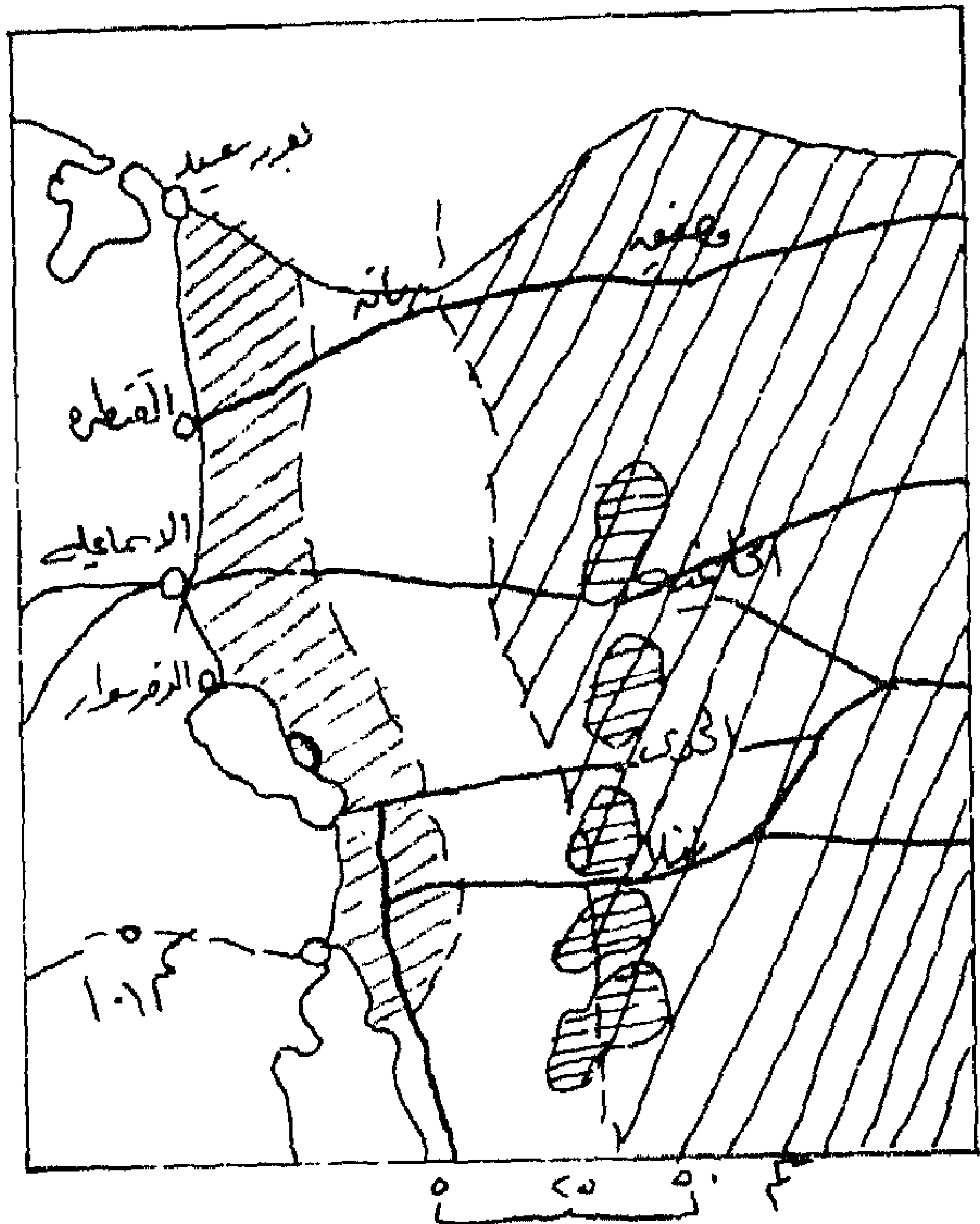
الى القاهرة

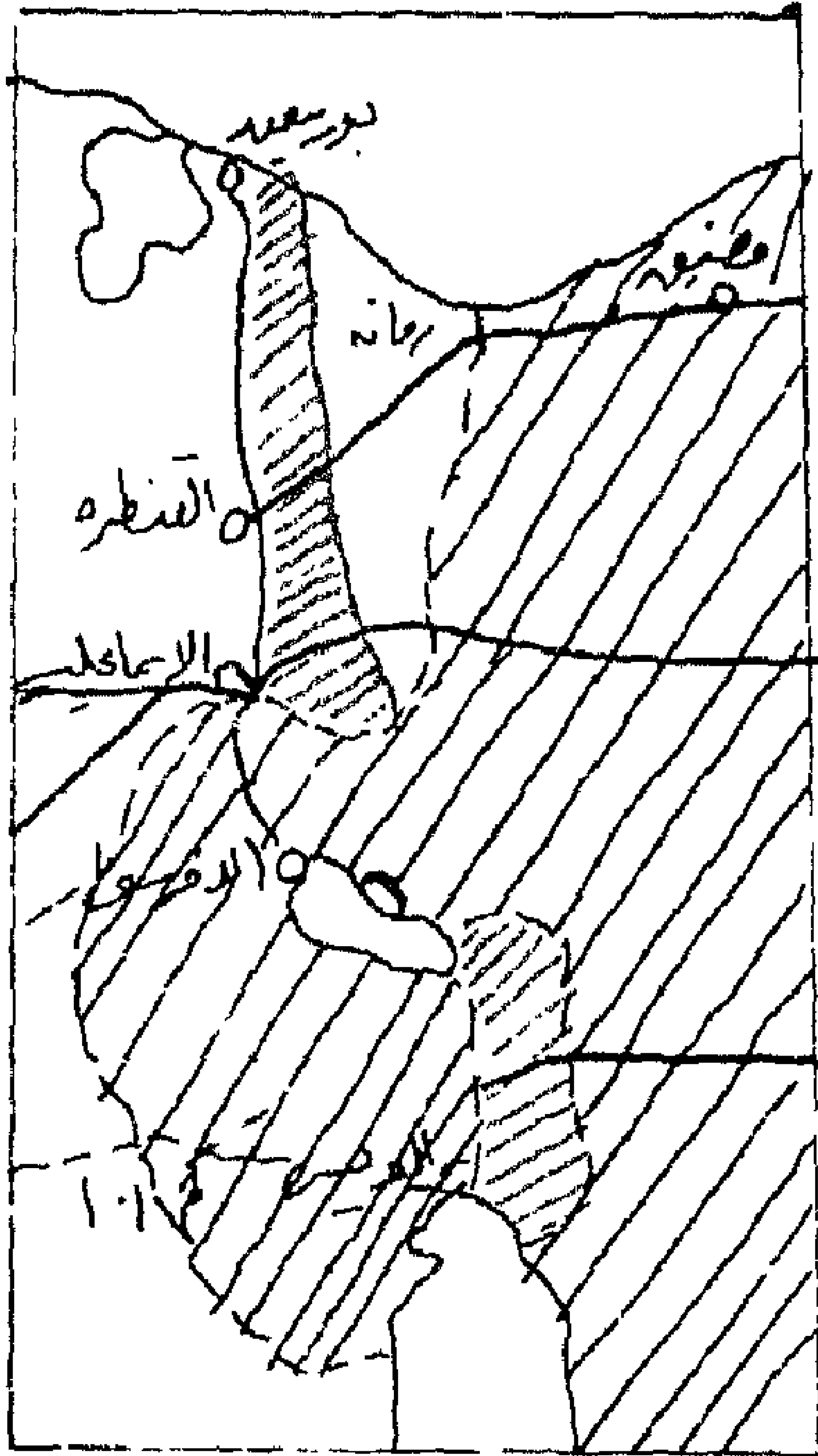
الاديبية

خليج السويس

كروكي عن
الموقف العسكري يوم ٢٥ اكتوبر ٧٣

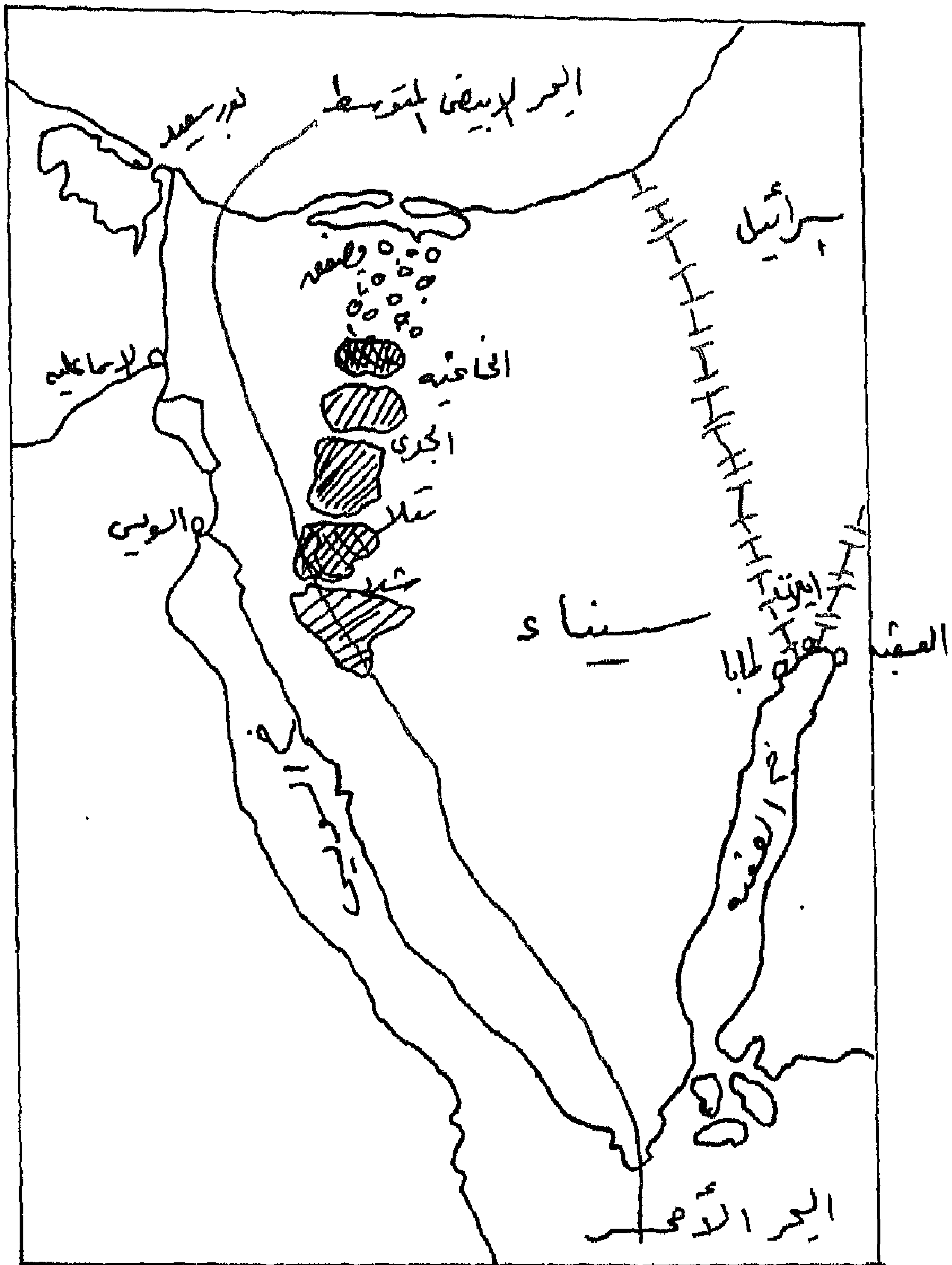
مرفق ١٥





القوات الإسرائيلية بعد فصل الاشتباك الأول من ٥/٣/١٩٧٤	القوات الإسرائيلية قبل فصل الاشتباك الأول حتى ١٨/١١/١٩٧٣

مرفق ١٦



الحدود الدولية بين مصر واسرائيل

الخط الأحمر الذي اعتبرته اسرائيل حدودها الآمنة

مرفق رقم ١٧

البحر الابيض المتوسط
بورسعيد
المنزلة
رفح
العريش
القنطرة
الاسماعيلية
فايد
السويس
(أ)
(ب)
(ج)
٤ كتائب حدود
(٤٠٠٠ فرد)
٤ كتائب مشاه اسرائيل
(٤٠٠٠ فرد)
قوات الأمم المتحدة
منطقة منزوعة السلاح والقوات
سيناء
خ السويس
خ العقبة
طابا
العقبة
السعودية
البحر الأحمر

كروكي يبين ترتيبات الأمن
((الحدود والمناطق))

الفهرس

رقم الايداع : ٥٠٧٢ / ١٩٨٨
الترقيم الدولى : ٥ - ٠٩٨ - ٤٤٢ - ٩٧٧

هذا الكتاب

□ هذه الدراسة توضح جميع المعارك التي وقعت خلال المدة من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ حتى يوم ٢٨ /١٠ /١٩٧٣ حيث توقف القتال نهائياً عقب وصول قوات هيئة الأمم المتحدة إلى قطاع السويس وكانت القوات الإسرائيلية قد احتلت من أراضينا حوالي ١٢٠٠ كم من النطاق الخلفي لمواقع الجيش الثالث حتى علامة الكيلو (١٠١) طريق القاهرة ــ السويس. والمعارك والعمليات التي قامت بها تشكيلات الجيشين الثاني والثالث واحتياطي القيادة العامة والوحدات الخاصة وهى ثلاث عشرة معركة هجومية بالاضافة إلى معركة العبور الشهيرة شرق القناة وعدد عشر معارك دفاعية غرب القناة.

وجاءت دراستي لجهود القوى الثلاث الرئيسية، وهى: القوات البحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوي منفصلة بالنسبة للتميز النوعي في القتال لكل منها.

وأخيراً أؤكد للقاريء أن هدفي من هذه الدراسة المتواضعة هو توضيح وإبراز خبرات قتال على المستوى التعبوي والاستراتيجي من خلال الأعمال الايجابية والسلبية التي قامت بها قواتنا بالاضافة إلى دروس ومواقف تصلح لإضاءة الفكر العسكري لقادتنا في الأجيال القادمة بإذن الله.

فريق أول م / محمد فوزى
وزير الحربية الأسبق

دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة
ت ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

9. 00